ما هي القاديانية؟

دراسة شاملة وعرض علمي للقاديانية
ومدى تأثيرها في المجتمع الإسلامي

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

• دار القلم الكويت
شارع السور - عمارة السعد - بجوار وزارة الخارجية
ص.ب ٢٠١٤٦ هاتف ٢٤٥٨٤٢٨ - ٢٤٥٧٤٠٧

أبو الأعلى المودودي
أمير الجماعة الإسلامية باكستان

ما هي القاديانية؟

دراسة شاملة وعرض علمي للقاديانية
ومدى تأثيرها في المجتمع الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » والصلاة والسلام على محمد الأمين وعلى آله وصحبه اجمعين ، ومن دعا بدعوته وعمل بسنته الى يوم الدين : وبعد ،

فان المسلمين في باكستان والهند ابتلوا منذ مطلع القرن العشرين الميلادي بمشكلة دينية المظهر ، سياسية الجوهر . استفحل أمرها وتفاقم خطبها على مرّ الايام ألا وهـي النحلة القاديانية أو بالأحرى المؤامرة الاستعمارية ضد الإسلام والمسلمين . وبمجرد أن رفعت هذه النحلة رأسها وتطاير شرارها بادر علماء المسلمين وقادتهم إلى مواجهتها ومقاومتها . فألفوا مؤلفات كثيرة أماطوا فيها اللثام عن وجه هذه النحلة وكشفوا عما فيها من مواطن الخطورة على كيان الأمة الإسلامية . وهذا الكتاب الذي بين

يدي القاريء الكريم يحتوي على ما جاد به يراع الاستاذ ابو الأعلى المودودي قائد الحركة الإسلامية في باكستان في هذا الموضوع من مقالات وتصريحات في مناسبات مختلفة . ومن هذه المقالات والتصريحات ما يتناول أصل هذه النحلة ويدحض أسسها ويفند أراجيفها ، ومنها ما يتناول الآثار الوخيمة لهذه النحلة في المجتمع الإسلامي . وقد جمعنا هذه المقالات لنقدم للقارىء - في هذا الكتاب - صورة متكاملة عن موضوع القاديانية .

وإننا وقد عانينا من هذه النحلة المآسي والآلام ولاقينا منها المؤامرات الرهيبة . نرى من واجبنا الإسلامي أن نكشف لإخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عن حقيقة هذه النحلة أو المؤامرة الاستعمارية لئلا يقعوا فريسة لها عن غفلة أو جهل ويصبحوا في مواجهة نفس المتاعب التي يواجهها إخوانهم في باكستان والهند . اذ من طبيعة هذه النحلة أنها لا تدخل بلدا من بلاد المسلمين إلا وعكرت صفوه وخرّبت أمنه وصرفت أبناءه عن المسائل الاصلية الى الصراع الداخلي المدمر .

نسأل الله تعالى أن يجنب الامة الاسلامية كيد الخائنين ومؤامرات المستعمرين ، وأن يوفق قادتها لما فيه خيرها وصلاحها في الدنيا والآخرة .

تحريراً في ١٣٨٨/٧/٧ هـ
الموافق ١٩٦٧/١٠/١١ م

خليل احمد الحامدي
معتمد دار العروبة للدعوة الإسلامية
لاهور – باكستان

الباب الأول

تاريخ القاديانية

- الميرزا : نشأته وحياته .
- المراحل التدريجية لدعاويه الكاذبة .

نشأة الميرزا وحياته

ولد الميرزا غلام أحمد حوالى سنة ١٨٣٩م في مدينة قاديان إحدى مدن مقاطعة بنجاب بالهند في بيت من البيوتات التي اشتهرت بخدمة سياسة الانكليز الاستعمارية وتحقيق مصالحهم البغيضة. فالميرزا غلام مرتضى: والد الميرزا غلام احمد المتنبي كان من أخلص أصدقاء الاحتلال الانكليزي الذي فرض سيطرته تلك الايام على شبه القارة الهندية . وقد ذكر ذلك الميرزا غلام أحمد بنفسه واعتبره من جلائل الاعمال التي قام بها والده الميرزا غلام مرتضى لتثبيت دعائم الحكم الانكليزي في الهند . فيقول :

« ان والدي : الميرزا غلام مرتضى كان من الذين شرّفهم حاكم المقاطعة بتخصيص مقعد لهم في قصره خلال المناسبات الرسمية . وكان والدي من الموالين المخلصين للحكومة الانكليزية . وقد امدّ الحكومة السامية — اي الحكومة الانكليزية — خلال الثورة

..كبرى (١) التي قامت عام ١٨٥٧م بخمسين فرسا اشتراها من ماله الخاص وبخمسين فارسا . وكان هذا العون أكثر بكثير مما في طاقته (٢) » . كما ان أسرة الميرزا غلام أحمد كانت تدين بالولاء الخالص الصادق لحكم السيخ الذين حكموا بعض مناطق الهند قبل الاحتلال الانكليزي ومن المعروف ان السيخ كانوا الد اعداء الإسلام والمسلمين . فحين استولوا على مقاطعة بنجاب وما جاورها من البلدان ، بعد تفكك الحكم الإسلامي في البلاد ، أعملوا فيها أيدي السلب والنهب ، وعاثوا في الارض فسادا ، وكانوا يأتون المنكرات ويشفون غليلهم بقتل النساء والعجزة ، وهتك الأعراض ، وسفك دماء الابرياء من أبناء الإسلام وإهانة المساجد وتعطيل شعائر الإسلام . وقد كانوا جفاة غلاظا لم يرقبوا في الاهالي إلا ولاذمة . الا ان الميرزا غلام مرتضى لم

---

(١) يقصد الثورة الكبرى التي حدثت في الهند عام ١٨٥٧م وقام بها أهل الهند ضد الحكم الإنكليزي إلا أن النجاح لم يكن حليفهم وتمكن الجيش الإنكليزي من قمع الثورة والقضاء على الثوار وقد صب الجيش الانكليزي على الثوار بعد تمكنه من قمع الثورة انواعاً من الظلم والتنكيل وضروباً من التعذيب يقشعر من سماعه الأبدان وإن ما ارتكبوه من قتل وتشريد ونفي وإجلاء وسفك دماء الأبرياء ومصادرة للأموال وانتهاك الحرمات واعتداء على ربات الخدور ، قد سود وجه التاريخ البريطاني في هذه البلاد . والميرزا لا يطلق على هذه الانطلاقة الكبرى كلمة " الثورة " كما جاءت في الترجمة العربية . وإنما يطلق عليها كلمة "الغدر الشامل" لأنه يعتبر الحرب التحريرية ضد الإستعمار الإنكليزي خروجاً على السادة الإنكليز وخيانة في حقهم . (المترجم)

(٢) التحفة القيصرية : تأليف الميرزا غلام احمد ص ١٦ .

بقصر في مساندة حكم السيخ الطغاة . وكان بينه وبين الحكام السيخ من علاقات الصداقة والودّ ما دفعت المهراجا رانجيت سينغ مؤسس دولة السيخ إلى طلب عودته الى قاديان (وطنه القديم) من مهجره الذي كان يعيش فيه ، فجاء وانضم هو واخوانه الى جيش المهاراجا رانجيت سينغ وقد جاء في كتاب « المجدد الاعظم » الذي ألفه أحد اتباع الميرزا غلام احمد في سيرته :

« من المؤكد أن أسرة الميرزا غلام مرتضى قد تغيرت أحوالها في عهد المهاراجا رانجيت سنغ فاستبدلت بالضيق فرجا وبالعسر رخاء ورغداً ، حيث اعاد المهاراجا الى هذه الأسرة ما كان لها من عقارات في مدينة القاديان وما جاورها ، وأسند الى الميرزا غلام مرتضى منصبا عسكريا حساسا تحت إشرافه المباشر . وقد قام الميرزا غلام مرتضى بخدمات عسكرية جليـــلة تحت توجيه المهاراجا[1] ، وجاء في موضوع آخر من هذا الكتاب :

« إن الميرزا غلام مرتضى انضم الى جيش المهاراجا رانجيت سنغ ، وابلى بلاء حسنا في معارك نشبت في ثغور كشمير وغيرها . . . كما أنه ادى خدمات عظيمة في قمع القلاقل التي حدثت في منطقة هزارة . ولما نشبت ثورة عام ١٨٤٨م ضد الحكومة الانكليزية بقي وفيّا مخلصا للحكومة السامية ودافع عنها »[2] .

ولهذه الأسرة خدمات مشكورة في استئصال شافة « الغدر

---

(١) المجدد الاعظم ص ١٦ و ١٧ .

(٢) المجدد الأعظم تأليف الدكتور بشارت أحمد ص ١٥ .

الشامل » الذي أثير عام ١٨٥٧م حيث ان الميرزا غلام مرتضى بذل جهوداً جبارة في مجال التجنيد العام . وكان ابنه غلام قادر (اخو الميرزا غلام احمد) في فرقة صاحب السمو الجنرال نكلسون وكان يحارب المسلمين مع العساكر الانكليزية ، وحينما تولى الجنرال نكلسون في موقعة تريمو واعدم الثوار الذين هربوا من مدينة سيالكوت كان غلام قادر من رجال حاشيته » (١) .

ويقول الميرزا غلام أحمد نفسه :

«لم تبخل عائلتي ولم تضن ، ولن تبخل ولن تضن بدماء ابنائها في خدمة مصالح الحكومة الانكليزية ابدا (٢) .

ويقول في موضوع آخر :

«لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية وموازرتها . وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الامر الانجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضها الى بعض لملأ خمسين خزانة . وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل والروم (كذا) » (٣)

ويقول في محل آخر :

«لقد ظللت منذ حداثة سني ، وقد ناهزت اليوم الستين ، أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص للحكومة الانجليزية ولما فيه خيرها ، والعطف عليها . وأنادي

---

(١) كتاب البرية تأليف الميرزا غلام أحمد ص ٣ .

(٢) ترياق القلوب ، تأليف الميرزا غلام أحمد ص ١٥ .

(٣) ملحق بكتاب شهادة القرآن ، الطبعة السادسة ص ١٠ .

بالغاء فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم والتي تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة . »[1]

ويقول بشير الدين محمود احمد ابن الميرزا غلام احمد القادياني وخليفته الثاني في كتاب سمّاه : « تحفة شهزادة ويلز » (أي هدية لسموّ الامير وليّ العهد) وهذا الكتاب هو رسالة قدمها بشير الدين محمود احمد الى الامير ويلز نجل جورج الخامس ملك المملكة البريطانية العظمى الراحل . وذلك بمناسبة زيارته للهند ايام الاحتلال الانكليزى سنة ۱۹۳۱م . فيقول بشير الدين محمود احمد مخاطبا الأمير وليّ العهد :

«يانجل ملكنا المعظم وولي عهد المملكة البريطانية : انا إمام الجماعة الاحمدية ،وخليفة مؤسسها المسيح الموعود عليه السلام أرحب بك بالنيابة عن افراد الجماعة الاحمدية اجمعين عند زيارتك الهند ، واؤكد لك بأن الجماعة الاحمدية هي وفية للحكومة البريطانية وستبقى وفية لها ان شاء الله تعالى ».

«ان عواطف المحبة والاحترام والود التي تضمرها الجماعة الاحمدية للتاج البريطاني لايقدرها الا الذين يكونون قد حيل بينهم وبين عزيز لديهم بحائل من الفراق والهجران ، وبعد طول انتظار اذا بذلك العزيز الذي شغف حبه قلوبهم يأتيهم فيبدّل الهجران بالوصال والبين باللقاء » .

« يا سمو الامير المحترم إن هذه التحفة (يقصد الرسالة) التي تقدم

---

(۱) ملحق بكتاب شهادة القرآن ، الطبعة السادسة ص ۱۰ .

اليك من الجماعة التي تحملت مصائب شتى على مدى ثلاثين عاما أو اكثر بايدى اعدائها وذويها (يقصد المسلمين) بسبب طاعتهم وولائهم لجدتك المحترمة الملكة فكتوريا وبعدها جدك المعظم الامبراطور السابق ادوارد السابع ثم والدك المحترم : الملك المعظم الامبراطور الحالي . وهي لم تبتغ بعملها هذا أن تنال اية مكافأة من الحكومة . »

«إن منهج هذه الجماعة من يوم تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة تبتعد عن جميع اعمال الفتنة والفساد (يقصد حركات تحرير البلاد من الاحتلال الانكليزى) وان مؤسسها عليه السلام كان قد وضع ضمن شروط المبايعة التي لا يمكن للمرء ان ينضم الى الجماعة بدونها ، ضرورة ان يتعهد الشخص بان يطيع الحكومة القائمة ، ولهذا اجتنب اعضاء هذه الجماعة دائما الفتنة والفساد ، وأصبحوا اسوة وقدوة للآخرين . »

«فيا سمو الأمير المعظم ان هذه التحفة تقدم اليك من الجماعة التي اثبتت ولاءها واخلاصها كالشمس في رابعة النهار وتحملت جميع انواع الشدائد من أجل عرش آبائك . وان شهادة صدقها واخلاصها وصفاء نيتها مكتوبة باحرف من الدماء في افق السماء » . [1]

وقد امدت حركة الميرزا غلام احمد الحكومة الإنكليزية بخير جواسيسها لخدمة مصالحها الاستعمارية وقد كانوا اصدقاء اوفياء وكانوا موضع ثقة الحكومة الانكليزية ، وقد خدموها

(١) كتاب تحفة شاهزادة ويلز " تأليف الميرزا بشير الدين محمود أحمد

في الهند وخارج الهند ، وبذلوا نفوسهم ودماءهم في سبيلها بسخاء كعبد اللطيف القادياني الذي كان في أفغانستان يدعو الى القاديانية وينكر على الجهاد.وخافت حكومة افغانستان ان تقضي دعوته على عاطفة الجهاد وروح الحرية التي يمتاز بها الشعب الافغاني فحكم عليهم بالاعدام . وكذلك الملا عبد الحليم والملا نور علي القاديانيان اللذين عثرت الحكومة الافغانية آنذاك عندهما على رسائل ووثائق تدل على انهما عميلان للحكومة الانكليزية وأنهما يدبّران مؤامرة ضد الحكومة الافغانية . فكان جزاءهما الاعدام ، كما صرّح بذلك وزير خارجية افغانستان سنة ١٩٢٥م . ونقلت « الفضل » : جريدة القاديانيين الرسمية ذلك الحادث وابدت اعجابها بهذه التضحية الجليلة التي قاما بهـــا في سبيل سياسة الانكليز بجرأة تفوق الوصف . وذلك في ٣ مارس من ذلك العام .

ولد الميرزا غلام احمد ، كما اشرنا في البداية ، حوالى سنة ١٨٣٩م أو ١٨٤٠م حسبما كتبه الميرزا في تأليفه : كتاب البرية . الا انّ احد مؤرخيه كتب انه ولد سنة ١٨٣٥م . [1] وتروي عنه زوجه: أنه اى الميرزا غلام احمد كان في ايام طفولته مولعا باصطياد العصافير [2] وتلقى دارسته في بيته على بعض المدرسين ولما بلغ من عمره ٢٩ سنة تقلد وظيفة الكاتب في المحكمة الابتدائية

---

(١) المجدد الأعظم "ص ١٦ و ١٧ .

(٢) سيرة المهدي ، تأليف الصاحبزادة بشير أحمد القادياني ، ج ١- ص ٣٦ .

الانكليزية في مدينة سيالكوت مقابل راتب هين . وذلك في الفترة ما بين ١٨٦٤م و ١٨٦٨م . "(١) وهناك تعلم شيئا من اللغة الانكليزية . وشارك في امتحان الدراسة القانونية ولكنه رسب(٢) . واخيرا انصرف الى ادارة شؤون المزارع التي كان يملكها . وكان في هذه الفترة يرفع العديد من الشكاوى الى المحاكم لاستعادة عقاراته حتى اصبح حضوره للمحاكم ورفع الشكاوى ضد الآخرين شغله الشاغل . الى ان مات عنه والده الميرزا غلام مرتضى. وذلك في سنة ١٨٧٦م . وبمجرد موت والده ادّعى انه يتلقى الالهامات من الله تعالى . (٣) .

وكان الميرزا غلام احمد مصابا بطائفة من الامراض الفتاكة الخطيرة . .ونحن نسرد فيما يلي بعض هذه الامراض كما ورد في تأليفاته وتأليفات أتباعه .

الهستيريا :

«عن حضرة الوالدة (اي زوجة الميرزا غلام احمد) قالت . ان حضرة المسيح الموعود اصيب بالصداع ودوار الرأس والهستيريا اول مرة حين ولادة البشير الاول . . . ثم توالت نوبات هذه الامراض الخطيرة مرة بعد اخرى » (٤)

---

(١) سيرة المهدي ج ١ ص ٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٣٨ .
(٣) كتاب البرية : تأليف الميرزا غلام أحمد ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ .
(٤) سيرة المهدي ج ١ ص ١٣ .

«وعن الدكتور محمد اسماعيل ، قال سمعت من حضرة المسيح الموعود اكثر من مرة يقول : اني مصاب بالهستيريا . وكان يقول احيانا اني مصاب بالقُطْرب »[1]

القُطْرب :

«اصيب حضرة الميرزا بمرض القطرب . الا ان هذا المرض لم يكن متوارثا وانما اصابه من مؤثرات خارجية »[2]

الماليخوليا :

القطرب نوع من الماليخوليا الذي هو ضرب من الجنون وهو يفسد العقل ويقطب الوجه ويديم الحزن ويُهيم بالليل ويغوّر العينين وينحل البدن .

السل وامراض الصدر :

«ان حضرة الاقدس اى الميرزا — ذكر امراض السل والصدر فيما ذكر من الامراض التي أصابته . وقد اصابه هذا المرض حين كان والده حيا يرزق . وقد لازم الفراش حوالى ستة اشهر بسبب هذا المرض »[3] .

«وعن حضرة الوالدة (اى زوجة الميرزا غلام) ، قالت : ان

---

(١) سيرة المهدي ج ٢ ص ٥٥ .

(٢) رسالة ريفيفيو قاديان ص ١٠ ، العدد الصادر في اغسطس ١٩٢٦م

(٣) حياة أحمد : تأليف يعقوب علي القادياني ج ٢ رقم ١ ص ٧٩ .

حضرة الميرزا اصابه مرض السل وكان جدك (جد الراوى وهو والد الميرزا) حيًا . وقد اشتد هذا المرض حتى كدنا نيأس من حياته [1]

مرضان خطيران :

«يلازمني مرضان خطيران : مرض في النصف الاعلى من جسدي . ومرض في النصف الاسفل منه : اما الذى في النصف الاعلى فهو دوار الرأس . واما الذي في النصف الاسفل فهو سلس البول . وهذان المرضان يلازمانني منذ نشرت ادعائي بكوني ماموراً من الله » [2]

طائفة اخرى من الامراض :

«انا رجل دائم المرض . يتنابني بين حين وآخر ، دوار الرأس والصداع والارق والتشنج القلبي . وكذلك يلازمني الذيابيطس من امد غير يسير . وتمسني الحاجة الى البول اكثر من مائة مرة في ليلة واحدة . وان الامراض التي تنشأ عن سلس البول هي كلها تلازمني [3] .

ضعف عصبي :

« ان هذا العاجز – اي الميرزا – مصاب بضعف في الاعصاب.

---

(١) سيرة المهدى ج ١ ص ٤٢

(٢) حقيقة الوحي للميرزا غلام احمد ص ٢٠٦ و ٢٠٧

(٣) ملحق الاربعين تأليف الميرزا غلام احمد رقم ٣ و ٤ ص ٤

ان الهواء البارد والمطر يسببان لي الاضرار والمتاعب[1] .

سوء الذاكرة :

ذاكرتي سيئة جدا . الى حد اني مهما قابلت احدا من الناس مرارا وتكرارا انساه . ولا استطيع الاعراب عما اعاني من فساد الذاكرة من الآلام . »[2] .

واخيرا قد وافاه الأجل المحتوم في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨م بمرض الهيضه (الكوليرا) فخلفه احد اتباعه الطبيب نور الدين ثم خلفه ابنه بشير الدين محمود احمد الذي توفي قبل سنتين . وتولى الخلافة هذه الايام الميرزا ناصر احمد بن بشير الدين محمود احمد. ولما تأسست باكستان بقي جماعة منهم في قاديان في الهند ، ولا يزالون فيها يحافظون على اموالهم ومقدساتهم ، وهجر الباقون بمن فيهم خليفتهم الراحل بشير الدين محمود احمد الى باكستان حيث أسسو مدينة خاصة بهم سموها ربوة تشبها بما جاء في قوله تعالى «وآوينا هما الى ربوة ذات قرار ومعين » وهذا هو المنطق القادياني المعروف . والمسلمون يسمونهم «قاديانيين » نسبة الى مدينة قاديان التي نشأت فيها هذه الحركة وترعرعت. وهم يسمون انفسهم «احمديين » نسبة الى مؤسس

(١) المكتوبات الأحمدية ج ٥ رقم ٢ تأليف يعقوب علي العرفاني القادياني
(٢) المكتوبات الأحمدية ج ٥ رقم ٣ ص ٢١

الحركة غلام احمد المتنبي الكذاب . وذلك تضليلا للناس وذرّا الرماد في عيونهم . واتباع هذه الحركة منقسمون الى فرقتين : الأولى: القاديانية أو الاحمدية . والثانية : اللاهورية . والفرقة الاولى تعتقد في الميرزا غلام احمد نبيا مرسلا من الله تعالى ومسيحا موعودا . والفرقة الثانية تعتبره مجدد القرن الرابع عشر الهجري . والمسيح الموعود. وكل منهما يسمي فرقته بالاحمدية . والمسلمون لا يفرقون بين هاتين الفرقتين . فهما في نظرهم سواء . « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » الى آخر الآية .

المراحل التدريجية لدعاويه الكاذبة

ونلقي فيما يلي الاضواء على المراحل التي قطعتها الحركة القاديانية وما قام به الميرزا غلام احمد من مختلف الادعاءات ومدى تاثير هذه الادعاءات في اذهان اتباعه واعمالهم .

ان الميرزا غلام احمد ظهر في سنة ١٨٨٠ م كأحد الدعاة الى الاسلام والمناظرين لخصومه من غير المسلمين . وسنعرض في هذا البيان مختلف مراحل حياته منذ سنة ١٨٨٠م الى يوم وفاته (٢٦-٥-١٩٠٨م) ونرتبها ترتيبا تاريخيا ثم نذكر ما اعلن في هذه المراحل من مختلف العقائد والافكار لنتبين ما كان عليه من العقائد والافكار المتعددة المتضاربة المختلفة بين مرحلة واخرى .

الترتيب التاريخي :

١ - سنة ١٨٨٠ - ١٨٨٨م : ما كان الميرزا في هذه المرحلة الا مناظرا عاديا يدعو الى الاسلام ويدافع عنه ازاء من يطعن فيه ويشن عليه الغارات من غير المسلمين ، وكان حريصا

اشد الحرص على أن يوضح أن كل عقيدة من عقائده موافقة لعقائد سائر المسلمين ، وكان المسلمون يتوجسون خلال كتاباته ضروبا من الادّعاءات المبطنة ويحسبون لها حسابا ، لأن الميرزا كان يقول عن نفسه إنه افضل اولياء الامة [1] ولكنه كان يعود فيطمئنهم ويلطف غضبهم في كل مرة ويحاول تأويل أقواله لأقناعهم بصحة عقائده .

٢ ـ وفي شهر ديسمبر سنة ١٨٨٨م نادى في المسلمين و دعاهم الى مبايعته وبدأ منذ اوائل سنة ١٨٨٩م يأخذ منهم البيعة . كان يدعي حينذاك كونه « مجدد العصر » و « مأمورا من الله » . ويظهر للناس مماثلته للمسيح زعما منه انه لايقوم بمهمة الدعوى والارشادالا بمثل ما كان عليه المسيح من التواضع والدعة والمسكنة .

٣ ـ وفي سنة ١٨٩١م اعلن ان المسيح قد مات وادعى انه هو المسيح الموعود والمهدى المعهود ، مما اقلق عامة المسلمين واقامهم واقعدهم [2] .وفي بدء هذه المرحلة يكتب الميرزا نفسه « ثم بقيت الى اثنتي عشرة سنة — وهي مدة مديدة — غافلا كل الغفلة عن ان الله تعالى قد خاطبني بالمسيح الموعود بكل اصرار وشدة في البراهين (البراهين الاحمدية) وما زلت على عقيدة نزول عيسى

---

(١) سيرة المهدى للميرزا بشير الدين احمد ابن الميرزا غلام احمد : الجزء الأول ص ١٤ و ٣١ و ٨٩ – وايضا تبليغ الرسالة : الجزء الاول ، ص ١١ و١٣و ١٥

(٢) سيرة المهدي بشير الدين أحمد ص ٣١ و ٨٩

العامة . ولكن لما انقضت اثنتا عشرة سنة ، آن ان تنكشف على العقيدة الثابتة . فتواتر عليّ الالهام انك انت المسيح الموعود [١] .

٤ — وفي سنة ١٩٠٠م بدأ الخواص من اتْباع الميرزا يلقبونه بالنبي صراحة وينزلونه المنزلة السامية التي قد خصها القرآن بالانبياء .اما الميرزا، فكان يصدقهم تارة ويحاول اخرى اقناع الذين كانوا مترددين في الايمان بنبوته ، بتأويل نبوته بكلمات « النبي الناقص » أو « النبي الجزئي »أو « النبي المحدَّث » مثلا . وفي هذا الدور خطب احد اتباع الميرزا —وهو المولوي عبد الكريم — خطبة الجمعة في ٧-٨-١٩٠٠م قال فيها «واعلموا انكم ان لم تحكموا المسيح الموعود في كل ما يشجر بينكم وتؤمنوا به كما آمن الصحابة بالنبي الكريم (صلى الله عليه وسلم)، كنتم الى حد كبير من المفرقين بين رسل الله كغير الاحمديين . » وبعد صلاة الجمعة صدقه الميرزا وايده قائلا نعم ! ان مذهبي هو عين ما قد بينته في خطبتك [٢]. ولكن لم يتجاوز الميرزا حد التأييد والمصادقة للقائلين بنبوته بل كان يتجنب دعوى النبوة بصراحة في هذا الدور . وكانت عقيدته في تلك الايام — على حسب ما بينه ابنه وخليفته الميرزا بشير الدين محمود احمد ان له فضلا جزئيا على المسيح ، واذا قيل انه نبي ، فانما هي نبوة جزئية أو نبوة غير كاملة .

---

(١) الاعجاز الأحمدي : ملحق نزول المسيح ص ٧ ونفس التصريح ورد في كتابه : حقيقة الوحي ص ١٤٩ .

٥ — وفي سنة ١٩٠١م اعلن الميرزا بوجه سافر انه النبي والرسول ولم يعد في اكثر كتاباته يقيد نبوته ورسالته بكلمات النقص أو « الجزئية » أو المحدثية [١] ويصرح جلال الدين شمس — احد القاديانيين —عن هذا في كتابه « مآل منكري النبوة » بان السيد الاقدس —اى الميرزا — قد انكر في بعض كتاباته قبل سنة ١٩٠١ نبوته وقال لست نبيا ولكني محدّث ، ولكنه لم يقل في كتاباته بعد سنة ١٩٠١م ان نبوته هذه نبوة ناقصة أو نبوة محدث ، بل ما زال يصرح بكونه النبي بكلمات واضحة [٢] . وفي هذا يقول الميرزا بشير الدين محمود احمد «انه —اى الميرزا — غير عقيدته في سنة ١٩٠١م وكانت سنة ١٩٠١م فترة انتقال من العقيدة الاولى الى العقيدة الثانية ... فقد ثبت ان المصادر التي انكر فيها نبوته قبل ١٩٠١م ،صارت منسوخة ، فلا يصح ان يحتج بها احد الآن » [٣] .

٦ — وفي سنة ١٩٠٤م اضاف الميرزا دعوى جديدة الى دعاويه السابقة وهي انه كرشن [٤] .

---

(١) سيرة المهدي ج ١ ص ٣١ — (٢) مآل منكري النبوة ص ١٩

(٣) حقيقة النبوة (اردو) لميرزا محمود أحمد ص ١٢١

(٤) محاضرة الميرزا في سيالكوت (اردو) في ٢ — ١١ — ١٩٠٤ ص ٣٤ . وهم يعتقدون فيه ما يعتقد المسلمون في الله عز وجل . وكرشن هذا معبود من معبودي الهنادك .

وسنعرض فيما يلي من المسائل التي كانت مثار الجدل والنزاع بين المسلمين والقاديانيين ، مستندين الى ما ادلى به الميرزا من بيانات في هذه المراحل وما كان لجماعته فيها من رأي :

ختم النبوة :

العقيدة الابتدائية : ما كانت عقيدة الميرزا في مسألة ختم النبوة في بدء الامر الا نفس العقيدة التي عليها جمهور المسلمين اي ان النبوة قد انقطعت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يأتي بعده اي نبي الى يوم القيامة . وقد صرح بذلك في كتبه العديدة كما قال :

١ـ « الا تعرف ان الرب الرحيم ذا الفضل قد سمى نبينا بخاتم النبيين بدون استثناء وقد فسره نبينا لاهل السؤال بقوله : « لا نبي بعدي » بكل وضوح ، فان جوزنا ظهور نبي آخر بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقد جوزنا انفتاح باب النبوة بعد انغلاقه وهو غير صحيح ، كما هو ظاهر على المسلمين . وكيف يأتي نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وقد انقطع الوحي بعد وفاته وختم الله الانبياء على نبوته (١)

٢ـ « وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال مرة بعد مرة ان لا نبي بعدى . وكان هذا الحديث اى « لا نبي بعدى » من القوة والصحة حيث لا مجال لاحد ان يرتاب فيه . وكذلك كان

---

(١) حمامة البشرى للميرزا غلام أحمد ص ٣٤ .

القرآن ــ الذي كل لفظة منه قاطعة ــ بصدق قوله «ولكن رسول الله وخاتم النبيين» ومعنى ذلك ان النبوة قد انقطعت بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم [1].

٣ ــ «لا يجوز ان يأتي احد بعد نبينا من حيث هو نبي مرسل من الله» [2].

٣ ــ «لا يجوز القرآن ان يأتي رسول بعد خاتم النبيين، جديدا كان أو قديما [3].

٥ ــ «من سوء الادب ومنتهى الوقاحة والجسارة غير المحمودة ان يترك احد نصوص القرآن الواضحة ويتبع الافكار الركيكة ويعتقد باتيان نبي جديد بعد خاتم النبيين» [4]

٦ ــ «واني قائل بجميع الامور الداخلة في العقائد الاسلامية واعتقد كأحد اهل السنة بكل الأمور التي هي مسلمة الثبوت من القرآن والسنة، واقول ان كل من يدعي النبوة والرسالة بعد سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم هو كذاب وكافر [5]

٧ ــ «والآن انا اقر اقرارا واضحا امام المسلمين في بيت الله

---

(١) كتاب البرية للميرزا غلام أحمد ص ١٨٤ .
(٢) ازالة الأوهام للميرزا غلام أحمد ص ٥٧٧
(٣) إزالة الأوهام ص ٦٧١
(٤) أيام الصلح للميرزا غلام أحمد ص ١٤٦ .
(٥) نشرة من الميرزا غلام أحمد صادرة في ٢ ــ ١٠ ــ ١٨٩١ وهي مندرجة في تبليغ الرسالة ج ٢ ص ٢

هذا – جامع دهلي – بأني من القائلين بختم نبوة خاتم النبي صلى الله عليه وسلم وانه لا دين لمن ينكر ختم النبوة وأنه خارج من دائرة الاسلام » (١)

تأويل الدعاوى الابتدائية :

ما زال الميرزا يسكن ثورة المسلمين ويلطف سخطهم في بدء الامر ويقنعهم بانه على عقيدة صحيحة بتأويل اقواله وكتاباته التي اشتم منها المسلمون انه قد قام بادّعاء النبوة . وفيما يلي نذكر مختلف تأويلاته التي برر بها اقواله :

١ : «ونحن ايضا نلعن مدّعي النبوة ونقول بلا اله الا الله محمد رسول الله ، ونؤمن بختم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا نقول بوحي النبوة ، ولكن نقول بوحي الولاية الذي يتلقاه الاولياء في ظل النبوة المحمدية وباتباعه صلى الله عليه وسلم ... وبالجملة ليست هنا ايضا دعوى النبوة وانما عندنا دعوى الولاية والمجدّدية » (٢)

٢ : «وليس هذا العاجز نبيا ولا رسولا وانما هو خادم ومتبع بسيط لنبيه المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم » (٣)

---

(١) بيان الميرزا في جامع دهلي في ٢٣ – ١٠ – ١٨٩١ وهو مندرج في كتابه «تبليغ الرسالة» ج ٢ ص ٤٤ .

(٢) نشرة من الميرزا غلام أحمد مندرجة في تبليغ الرسالة ج ٦ ص ٣٠٢

(٣) إرشاد الميرزا غلام أحمد المندرج في قمر الهدى لقمر الدين الجهلمي القادياني ص ٥٨ .

٣ : «لاشك ان الالهام الذي قد انزله الله على هذا العبد قد استعملت فيه بكثرة كلماتُ النبي والرسول والمرسل بالنسبة لهذا العاجز ، فليست هي بمحمولة على معانيها الاصلية ... ونحن من القائلين والمعترفين بانه لا يجوز ان يأتي نبي جديد أو قديم بعد محمد صلى الله عليه وسلم بمفهوم من مفاهيم النبوة الحقيقية . والقرآن مانع من ظهور مثل هؤلاء الانبياء، ولكن الله اذا شاء خاطب احدا بكلمة النبي أو الرسول بمقتضى المعاني المجازية » (١)

٣ : «وانه وان كان ألهم هذا العاجز بالتواتر خلال العشرين سنة الماضية وقد وردت في هذا الالهام كلمات الرسول أو النبي ، ولكن يخطئ من يظن ان المراد بهذه النبوة والرسالة النبوة والرسالة الحقيقيتان... وبما ان مثل هذه الكلمات التي لم تستعمل الا على سبيل الاستعارة ، قد توجب الفتنة في الاسلام وتفضي بالناس الى النتائج السيئة ، فلاينبغي ان تأتي هذه الكلمات — الرسول والنبي — على لسان رجال الجماعة ومحاوراتهم العادية » (٢)

٥ : « لست نبيا ولكني محدّث من عند الله وكليمه » (٣)

---

(١) السراج المنير للميرزا غلام أحمد ص ٣٠٢ .

(٢) رسالة للميرزا غلام أحمد مندرجة في جريدة الحكم الصادرة (بالقاديان) في ١٧ — ٨ — ١٨٩٩ م .

(٣) مرآة كمالات الاسلام للميرزا غلام أحمد ص ٣٨٣ .

٦ : وإني ما ادعيت بالنبوة قط ولاقلت لهم اني نبي ، ولكنهم استعجلوا واخطأوا في فهم قولي... واني ما قلت للناس سوى ما كتبت في كتبي أى اني محدث وان الله يكلمني كما يكلم المحدثين »[1]

٧: «المحدّث من المرسلين احد افراد الامة ونبي بصفة ناقصة »[2]

٨: «المحدث ايضا نبي ببعض معانيه ، وان لم تكن له النبوة التامة ولكنه نبي بصفة جزئية لانه مشرف بكلام الله وهو يطلع على الامور الغيبية ويحفظ وحيه ايضا كوحي الانبياء من تدخّل الشيطان »[3]

٩: «وان هذا العاجز ما ادعى النبوة أو الرسالة الحقيقية قط في حياته ، ولا يستلزم الكفران يستعمل المرء كلمة على وجه غير حقيقي ويستعملها في كلامه مع الناس على معناها الشامل من جهة اللغة ، ولكني لا احب هذا ولا ذاك لانه قد يبعث الريب في قلوب عامة المسلمين »[4]

---

(١) حمامة البشرى للميرزا غلام أحمد ص ٩٦ (قد ذكرنا من قبل أن عبارات هذا الكتاب مترجمة من ترجمتها الأردية وأصل الكتاب بالعربية نفسها).

(٢) إزالة الأوهام للميرزا غلام أحمد ص ٥٦٩

(٣) توضيح المرام للميرزا غلام أحمد ص ١٨

(٤) مصير آتهم للميرزا غلام أحمد ص ٢٧

١٠ «فاذن ليس هذا الا نزاعا لفظيا اى ان الذي تسمونه المكالمة والمخاطبة ، اسميه انا النبوة اذا كثر ، وذلك بموجب الامر الالهي . ولكل ان يصطلح » [١]

١١ : « اني التمس من جميع المسلمين ان الكلمات التي قد وردت في كتب هذا العاجز «كفتح الإسلام» «وتوضيح المرام» و«ازالة الاوهام» مثل ان المحدث نبي ببعض معانيه » أو «ان المحدثية نبوة جزئية أو « المحدثية نبوة ناقصة» فليست كل هذه الكلمات بمحمولة على معانيها الاصلية بل انما استعملت بسذاجة على وجوهها اللغوية . والا فاني لا ادعي النبوة الحقيقية ابداً ... اريد ان اوضح لاخواني المسلمين جميعا انهم ان كانوا ساخطين علي لاجل هذه الكلمات وهي تشق على قلوبهم ، فليتصوروها مغيرة وليفهموها من عندي في معنى كلمة المحدث . فاني لست ارضى بحال من الاحوال ان القي في المسلمين الشقاق والنفاق ... لهم ان يفهموا كلمة المحدث مكان النبي في كل موضع وليتصوروها — اى كلمة النبي — منسوخة » [٢]

الدعاوى المختلفة للنبوة :

ثم ان الميرزا ادعى النبوة . وما كانت لهذه الدعوى صورة

---

(١) تكملة حقيقة الوحي للميرزا [illegible] ص ٦٨

(٢) بيان خطي للميرزا غلام أحمد القادياني في ٣ — ٢ — ١٨٩٢ وهو مندرج في تبليغ الرسالة ج ٢ ص ٩٥ .

واحدة بعينها ولكن كانت تختلف باختلاف الظروف والأحوال :

١ — النبي الامّي : «ثم نزل عليّ وحي الله كالمطر فيما بعد ولم يدعني اقوم على هذه العقيدة (اي العقيدة الّتي اشير اليها سابقا) وخاطبني بالنبي مخاطبة صريحة ولكني نبي من جهة وامّيّ (من افراد الامة) من جهة اخرى»[١]

٢ — النبي غير حامل الشريعة : «وقد انقطعت الان النبوّات كلها الا النبوة المحمدية ، فلا ياتي نبي ذو شريعة ولا يمكن ان يكون احد نبيا بدون شريعة ، الا من هو من الامة نفسها من ذي قبل ، فبناء على هذا انا فرد من الامة المحمدية ونبي ايضا»[٢]

٣ — حامل الشريعة : «نعم ! لكم ان تعرفوا ما هي الشريعة . كل من بين للناس اوامر ونواهي بوحيه وسن لأمته قانونا ، هو صاحب الشريعة ... والذي يوحي الى فيه الاوامر والنواهي كذلك ... وان قلتم ان المراد بالشريعة الشرعية الّتي فيها احكام جديدة ، فهو باطل . قال الله تعالى «ان هذا لفي الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى» اي ان التعليم القرآني موجود في التوراة ايضا»[٣]

٤ — النبي الظلي والمتجسد : «فكما ان النبوّات الحقيقية

---

(١) حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد ص ١٤٩ .

(٢) التجليات الالهية للميرزا غلام أحمد ص ٢٤

(٣) الأربعين رقم ٤ للميرزا غلام أحمد ص ٧ و ٨٣

والمستقلة هي من اقسام النبوة ، كذلك النبوة الظلية والتجسدية من اقسام النبوة ... ان كون المسيح الموعود نبيا ظليا لا يسلب المسيح الموعود النبوة ، وانما يظهر نوعية نبوته ... والنبي الظلي يتمتع بكل ما يتمتع به الانبياء الحقيقيون والمستقلون من الحقوق ، لانه ليس هناك اى فرق في نفس النبوة »[1]

٥ — تجسد محمد صلى الله عليه وسلم : «وانا بموجب الآية « وآخرين منهم لما يلحقو بهم » خاتم النبيين نفسه على وجه التجسد ، والله تعالى قد سماني بمحمد واحمد في البراهين الاحمدية قبل عشرين سنة وما جعلني الا جسد محمد صلى الله عليه وسلم نفسه »[2].

٦— مجموع الانبياء جميعا : ما مضى في الدنيا نبي الا وقد اوتيت اسمه . كما ان الله تعالى قد قال في البراهين الاحمدية : انا آدم : وانا نوح ، وانا ابراهيم ، وانا اسحاق ، وانا يعقوب ، وانا اسماعيل ، وانا موسى ، وانا داود ، وانا عيسى ، وانا محمد ، صلى الله عليه وسلم على وجه التجسد[3]

٧ — ختم النبوة بنبوة الميرزا : «والله تعالى قد خصني لانال في هذه الامة اسم النبي ولا يستحق ان ينال هذا الاسم احد غيري » [4]

---

(١) كلمة الفصل ص ١١٨ .
(٢) إزالة الخطأ للميرزا غلام أحمد .
(٣) تكملة حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد ص ٨٤
(٤) حقيقة الوحي الميرزا غلام أحمد ص ٣٩١

«لا يمكن ان يظهر في الامة المحمدية اكثر من نبي واحد، فقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يظهر في امته الا نبي واحد فقط وهو المسيح الموعود وما سمي غيره نبي الله اصلا وما اخبر بظهور نبي آخر بل قد نفى غيره بقوله «لا نبي بعدي» وقال بوضوح تام انه لا يأتي نبي أو رسول بعدي الا المسيح الموعود »[1].

التأويلات المختلفة لختم النبوة :

ولكي تساير هذه الادعاءات المختلفة عقيدة عامة المسلمين في باب ختم النبوة، جاء الميرزا ورجال جماعته بتأويلات مختلفة لختم النبوة نذكر بعضها فيما يلي :

التأويل الأول : «فان كان الله كرّم احدا من هذه لامة وسماه بالنبي اذا نال درجة الوحي والالهام والنبوة بمجرد اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فان خاتم النبوة اي طابعها لا ينقض بذلك لانه لا يزال من افراد الامة الاسلامية. ولكن مما ينافي ختم النبوة ان يأتي نبي من غير الامة الاسلامية»[2]

«ان محمداً (صلى الله عليه وسلم) خاتم الانبياء بمفهوم انه قد تمت عليه كمالات النبوة وانه لا يأتي بعده رسول ذو شريعة جديدة ولا نبي من غير امته»[3].

---

(١) تشحيذ الأذهان ج ٩ رقم ٣ ص ٣٠ – ٣٣

(٢) العين المسيحية للميرزا غلام أحمد ص ٤١

(٣) عين المعرفة للميرزا غلام أحمد الملحق ص ٩

التأويل الثاني : «قد جعل الله جل شأنه محمدا صلى الله عليه وسلم صاحب الخاتم اى اعطاه الخاتم لافاضة الكمال وذلك مالم يؤته احد غيره ولذلك سمي بخاتم النبين اي ان اطاعته تمنح كمالات النبوة وان التفاته الروحي يصنع الانبياء »[1].

«وقال المسيح الموعود عليه السلام في خاتم النبيين ان المراد به انه لا يمكن ان تصدق الآن نبوة ايّ نبي من الانبياء الا بخاتمه (صلى الله عليه وسلم) ، وكما ان كل قرطاس لا يكون مصداقا مستندا الاحين يطبع عليه بالخاتم ، فكذلك كل نبوة لاتكون مطبوعة بخاتمه وتصديقه (صلى الله عليه وسلم) تكون غير صحيحة »[2].

التأويل الثالث : «ومن حكمة الله تعالى ولطفه بالأمة المحمدية ان رفع عنها هذه الكلمة — النبوة — ثلاثة عشر قرنا بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك لتتم عظم نبوته ثم لما كانت عظمة الاسلام تقتضي ان يكون في الامة افراد تطلق عليهم كلمة النبي بعده صلى الله عليه وسلم لتتم المشابهة بالسلسلة القديمة — اى سلسلة الانبياء الموسوبين — اجريت على لسانه — صلى الله عليه وسلم —كلمة «النبي» للمسيح الموعود في آخر الزمان »[3].

(١) حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد ص ٩٦

(٢) الملفوظات الأحمدية لمحمد منظور المي القادياني ج ٥ ص ٢٩٠ .

(٣) إرشاد الميرزا غلام أحمد . المندرج في عدد جريدة الحكم الصادر في ١٧ — ٤ — ١٩٠٣.

التأويل الرابع : وانا محمد صلى الله عليه وسلم بصفة ظلية . فلأجل هذا ما انفض هذا الخاتم — خاتم النبين — لان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بقيت على حالها منحصرة في محمد وحده ، اي ان محمدا وحده هو النبي الى الآن . واذا كنت انا محمدا بصفة تجسدية وقد انعكست في مرآة ظليتي الكمالات المحمدية مع النبوة المحمدية بصفة تجسدية ، فاي رجل غيره يكون قد ادعى النبوة بصفة مستقلة ؟ (١).

موقفه في شأن نزول الوحي عليه :

وكذلك مازال موقف الميرزا بشأن الوحي ونزول جبريل عرضة للتغير والتقلب. وها نحن نذكر تفصيله في ما يأتي :

الوحي :

الموقف الابتدائي : « فان جوزنا ظهور نبي آخر بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقد جوزنا انفتاح باب النبوة بعد انغلاقه وهو غير صحيح كما هو ظاهر للمسلمين ، وكيف يأتي نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد انقطع الوحي بعد وفاته وختم الله الانبياء على نبوته » (٢) .

« والظاهر انه وان افترض نزول الوحي مرة، اي افترض انه ما جاء جبريل باكثر من فقرة ثم سكت بعدها ، فان ذلك مما ينافي ختم النبوة ، لانه اذا انفض طابع الختمية وبدأ وحي

---

(١) إزالة الخطأ للميرزا غلام أحمد

(٢) حمامة البشرى للميرزا غلام أحمد ص ٣٤

الرسالة ينزل ، فان نزول الوحي – قليلا أو كثيرا – سواء لا فرق بينهما ... وقد منع جبريل الآن اى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل بالوحي على احد ابدا »[1].

«لا يجوز القرآن ان يأتي نبي جديد أو قديم بعد خاتم النبيين ، فان الرسول لا يتلقى علم الدين الا بواسطة جبريل وان باب نزول جبريل بسلسلة وحي الرسالة مقفل ومن الممتنع ان يأتي الرسول بدون أن تكون سلسلة وحي الرسالة باقية »[2].

«ومن حقيقة الرسول وماهيته ان يتلقى العلوم الدينية بواسطة جبريل وقد ثبت الان ان وحي الرسالة منقطع الى يوم القيامة »[3].

«من سوء الادب والوقاحة والجسارة غير المحمودة ان يترك احد نصوص القرآن الصريحة ويتبع الافكار الركيكة ويعتقد انه سيأتي نبي بعد خاتم النبيين وان يبدأ سلسلة وحي النبوة بعد انقطاع وحي النبوة ، فان الذي فيه شأن النبوة كان وحيه من غير شك وحي النبوة »[4].

الموقف الثاني : «نحن ايضا نلعن مدعي النبوة ونقول بلا اله الا الله محمد رسول الله ونؤمن بختم نبوة محمد صلى الله

---

(١) إزالة الأوهام الميرزا غلام أحمد ص ٥٧٧
(٢) المصدر نفسه ص ٧٦١
(٣) المصدر نفسه ص ٦١٤
(٤) أيام الصلح الميرزا غلام أحمد ص ١٤٦

عليه وسلم ولا نقول بوحي النبوة ولكن نقول بوحي الولاية الذي يتلقاه الاولياء تحت ظل النبوة المحمدية وباتباعه صلى الله عليه وسلم » [1].

«أو من الضروري ان يكون كل مدع للالهام نبيا ؟ [2].

«لست نبيا ولكن محدّث من الله وكليمه» [3].

الموقف الثالث : «من العقيدة الباطلة الواهية ان يظن احد ان باب الوحي قد انغلق الى ابد الاباد بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولا رجاء فيه — اى في انفتاح هذا الباب — في المستقبل الى يوم القيامة . كأنكم امرتم ان لاتعبدوا الا القصص والاساطير فهل من الممكن ان يكون الدين الذي لا يعرف الله فيه معرفة مباشرة دينا» [4].

«والذي انا اسمع من وحي الله . والله هو منزه عن الخطأ، وأنا أعرف أنه منزه عن الخطأ كالقرآن . والله هذا هو ايماني . والله ان هذا لهو كلام الله وهو من لسان الله الوحيد الطاهر » [5].

---

(١) تبليغ الرسالة للميرزا غلام أحمد ج ٦ ص ٣٠٢ —

(٢) الحرب المقدسة للميرزا ص ٦٧

(٣) مرآة كمالات الاسلام للميرزا غلام أحمد ص ٣٨٣

(٤) تكملة البراهين الأحمدية ج ٥ ص ١٨٣ . والذي ينبغي ملاحظته بصفة خاصة أن الجزء الخامس من البراهين الأحمدية نشر سنة ١٩٠٨ أي سنة وفاة الميرزا غلام أحمد .

(٥) الدر الثمين ميرزا غلام أحمد ص ٢٨٢ ونزول المسيح للميرزا غلام أحمد ص ٩٩ .

«ولا يقل ايماني بما يوحى الي عن ايماني بالتوراة والانجيل والقرآن »[1].

«جاءني جبريل ، واصطفاني وادار اصبعه واشار ان ربك سيعصمك من الاعداء »[2].

مسألة المسيح ونزول المسيح :

وكذلك ما زال موقف الميرزا في باب المسيح ونزوله مرة اخرى واعتبار نفسه المسيح الموعود عرضة للتبديل والتغيير في مختلف المراحل . وفي ما يلي تفصيل ذلك :

الموقف الابتدائي : « ان دعوى هذا العاجز انه مثيل للمسيح — وقد ظن عنه بعض قليلي الفهم من الناس أنه المسيح الموعود — ليست هذه بدعوى جديدة لم يعهد بها الناس إلا لأول مرة من لساني واني ما ادعيت قط اني المسيح بن مريم . والذي يتهمني بهذا ، فانه المفتري الكذاب . بل الذي قد نشر من جانبي منذ سبعة أو ثمانية اعوام هو اني مثيل للمسيح »[3].

«من الممكن ومن الممكن حقا ان يأتي في زمن من الازمان مسيح تنطبق عليه بعض الفاظ الحديث الظاهرة »[4].

«قد اظهر على هذا العاجز ان هذا الفقير نموذج لحياة المسيح الاولى من جهة مسكنته وتواضعه وتوكله وآياته وانواره

---

(١) الأربعين رقم ٤ ص ٢٥ .
(٢) مواهب الرحمن للميرزا غلام أحمد ص ٤٣
(٣) إزالة الأوهام للميرزا غلام أحمد ص ١٩٠
(٤) المصدر نفسه ص ١٩٩

وان فطرة هذا العاجز فطرة المسيح تتشابهان في ماينهما تشابها عظيما »[1].

« قد اخبر هذا الضعيف — يقصد نفسه — ايضا بانه مجدد زمانه وان كمالاته تشابه كمالات المسيح على الوجه الروحي »[2].

« فان قيل انه من الضروري ان يكون مثيل المسيح ايضا نبيا لان المسيح كان نبيا ، فالجواب الاول عن هذا ان سيدنا ومولانا ما اشترط للمسيح القادم بالنبوة وكتب بكل وضوح انه سيكون رجلا مسلما متبعا للشريعة الفرقانية شأن عامة المسلمين ولا يظهر شيئا اكثر من هذا »[3].

الموقف الثاني : « وهذا هو عيسى المرتقب . وليس المراد بمريم وعيسى في العبارات الالهامية الا انا . وبالنسبة الي قيل انا سنوتيه امارة من الامارات وقيل ايضا (في شأني) انه هو عيسى بن مريم الذي كنتم تنتظرونه ، وان الذي يشك فيه الناس هو الحق وانه هو القادم ، وليس منشأ الشك الا الجهل وقلة الفهم »[4].

« وهو قد سماني بمريم في الجزء الثالث من البراهين الاحمدية ثم نشأت في الصفة المريمية الى سنتين كما هو الظاهر من البراهين الاحمدية وما زلت انمو واتربى وراء الحجاب ثم ... نفخ فيّ روح

(١) البراهين الأحمدية للميرزا غلام أحمد ص ٤٩٩

(٢) تبليغ الرسالة للميرزا غلام أحمد ج ١ ص ١٥

(٣) توضيح المرام أيضاً ص ١٩ .

(٤) سفينة نوح للميرزا غلام أحمد ص ٤٨

عيسى كمريم وحملت بعيسى على وجه الاستعارة . ثم بعد عدة اشهر ــ جعلت عيسى بعد ان كنت مريم بالهام جاءني في آخر الجزء الرابع من البراهين الاحمدية فهكذا اصبحت ابن مريم . والله ما اطلعني على هذا السر الخفي عند البراهين الاحمدية » (١).

« فاعلموا حقا ان هذا هو ابن مريم النازل ، فانه ما وجد في زمانه كعيسى بن مريم شيخا يكون له ابا روحيا ويسبب ولادته الروحية . ثم ان الله هو الذي قد تولاه واخذه في حضن تربيته وسمى عبده بابن مريم ...فهذا عيسى بن مريم على الوجه التمثيلي فانه قد ولد من غير اب . وهل تستطيعون ان تثبتوا انه منخرط في احدى سلاسلكم الاربعة ؟ فاذن من هو ان لم يكن ابن مريم ؟ (٢).

« وعليكم ان تعرفوا الآن ان لفظة «دمشق» الواردة في حديث مسلم اى ان ما جاء في صحيح مسلم من ان المسيح ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، فان هذه اللفظة ما زالت تحير الرجال المحققين منذ اول الامر ... فاعلموا انه قد

---

(١) إزالة الأوهام ص ٦٥٩

(٢) الحق أن لفظة « دمشق» الواردة في حديث صحيح مسلم ما حيرت أحداً من أهل العلم قبل الميرزا ، ولا يوجد أي أثر للحيرة في كلام أحد من قد تناولوا هذا الحديث بالشرح ، ولكن الميرزا المسكين أقلقه وأعياه حيلة يختارها ليكون المسيح الموعود على ما جاء في الحديث من الصراحة باسم مدينة « دمشق » لنزول عيسى بن مريم .

اطلعني الله على ما يراد من مدينة دمشق مدينة يسكنها رجال يزيديون في خلالهم متبعون ليزيد الخبيث في عاداته وافكاره والله قد اظهرلي ان مدينة قاديان هذه بما ان الساكنين فيها يزيديون في طباعهم ، تشابه دمشق وتماثلها مماثلة »[1].

والله الذي بعثني والذي من عمل الملعونين الافتراءعليه أنه جعلني المسيح الموعود وارسلني الى الدنيا »[2].

الجماعة القاديانية أمة مستقلة :

وقد صرح الميرزا نفسه بالمبدأ القائل بان كل نبى يكوّن لنفسه امة مستقلة . وهو قد سمّى جماعته بالامة غير مرة في خطبه وكتبه . ونستشهد لذلك بالعبارات الآتية :

١ـ «ومن ادّعى النبوة : فانه من دعواه أن يقر بوجود الله ويقول ان الوحي ينزل عليّ من الله تعالى ، وان يبلـغ الناس ذلك الكلام الذي نزل عليه من الله تعالى ويكوّن امة تؤمن به نبيا مرسلا من الله وتقول ان كتابه كتاب الله »[3].

٢ ـ نعم ! لكم ان تعرفوا ما هي الشريعة ، كل من بين للناس اوامر ونواهي بوحيه ، وسن لامته قانونا : هو صاحب

---

(١) على هامش إزالة الأوهام ص ٦٣ و ٧٣

(٢) تبليغ الرسالة ج ١١ ص ١٨

(٣) مرآة كمالات الاسلام للميرزا غلام أحمد ص ٣٤٤

الشريعة ... والذي يوحي الي فيه الامر والنهي »[1].

واما المسيح السابق – اى المسيح ابن مريم – فلم يكن الا المسيح فقط ، فقد ضلت امته وانقطعت السلسلة الموسوية . ولو كنت انا مسيحيا فقط ، لما حدث لي ايضا الا هذا ، ولكنى بالاضافة الى كوني المسيح « مهدى ومتجسد » لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ايضا ، فاذن تتفرق امتي الى فئتين : فئة تصطبغ بالصبغة المسيحية ، وسوف تهلك . وفئة تصطبغ بالصبغة المهدوية »[2].

نتائج عدم الإيمان بالميرزا غلام أحمد من الجهة العقائدية :

الموقف الابتدائي : «قد جاء هذا العاجز من الله تعالى محدثا لهذه الامة ، والمحدث هو النبى باحد معانيه ، وان لم تكن له النبوة التامة ، غير انه نبي بصفة جزئية .. ويكون من الواجب عليه كالانبياء ان ينادي في الناس ويطلعهم على نفسه بصوت عال . ومن يكفر به يستوجب العقاب الى حد ما »[3].

ومما اذهب اليه منذ اول امري ان الانسان لا يكون كافرا أو دجالا لاجل انكاره لدعواي ، ويكون ضالا منحرفا عن جادة الصواب . ولا اقول انه عديم الايمان .(وقال في الهامش) : وينبغي ان لا يغيب عن البال في هذا الصدد انه من اختصاص

---

(١) الأربعين رقم ٤ ص ٧ و ٧٣

(٢) إرشاد الميرزا غلام أحمد المندرج في جريدة الفضل في ٢٦ – ١ – ١٩١٦م

(٣) توضيح المرام للميرزا غلام أحمد ص ١٨

الانبياء الذين يأتون بالشريعة والاحكام الجديدة وحدهم ان يكفروا المنكرين لدعواهم . اما المحدثون والملهمون بعد صاحب الشريعة . فلا يصبح المرء كافرا اذا لم يؤمن بهم ولو بأي مكانة رفيعة كانوا يتمتعون في الجناب الالهى »[1].

«وكل مسلم قد بلغته دعوتي ، وان كان مسلما ولكنه لا يحكمني ولا يؤمن بي مسيحاً موعوداً، ولا يعتقد ان وحيي هو من عند الله فهو يستوجب المؤاخذة في السماء »[2].

« كل رجل لا يؤمن بالمسيح الموعود أولا يحس بالحاجة الى الايمان به ، فانه جاهل محض بحقيقة الاسلام وغاية النبوة وغرض الرسالة . ولا يمكن ان يكون مسلما صادقا متبعا حقا لله ورسوله ... والله قد سمى الذين لا يؤمنون به وينحرفون عنه بالفساق »[3].

الموقف الاخير : «وكل رجل لا يتبعك ولا يدخل في بيعتك ويبقى مخالفا لك ، هو عاص لله والرسول وهو من اصحاب النار »[4].

«ولما اتضح الآن انه لانجاة بدون الايمان بالمسيح الموعود،

---

(١) ترياق القلوب ص ١٣٠

(٢) تحفة الندوة الميرزا غلام أحمد ص ٤

(٣) حجة الله : محاضرة الميرزا ألقاها في لاهور . منقولة من كتاب « النبوة في الاسلام » لمحمد علي اللاهوري ص ٢١٤

(٤) نشرة معيار الإسلام الميرزا غلام أحمد ،في ٢٥ - ٥ - ١٩٠٠ منقولة من كلمة الفصل لبشير أحمد القادياني ص ١٢٩

فلماذا تبذل المحاولات في اثبات الاسلام لغير الاحمدية[1] ؟

« والمسيح الموعود كلما خاطب غير الاحمديين بكلمة المسلمين ، فانه لامعنى لقوله الا انهم يدعون اعتناق الاسلام ، والا فما كان يعتقد انهم مسلمون وذلك بموجب الامر الالهي » [2].

« (بعد الاستشهاد بعبارة للميرزا غلام احمد يقول صاحب كلمة الفصل) : « وان هذه العبارة للمسيح الموعود قد حلت لنا امورا عديدة . الاول : ان الله اخبر المسيح الموعود بواسطة الالهام ان من لا يؤمن بك ليس بمسلم بل انه لم يخبره بذلك فحسب بل امره ان لاتعتقد ان من لا يؤمن بك هو مسلم . والثاني : ان المسيح الموعود ما اخرج عبد الحكيم من الجماعه الا لانه كان يرى غير الاحمديين مسلمين . والثالث : ان العقيدة بان غير الاحمديين مسلمون عقيدة فاسدة . والرابع : ان من يعتقد هذا ، قد سد في وجهه باب الرحمة الالهية » [3].

« الكفر على نوعين : كفر ان ينكر المرء الاسلام بتاتا ولا يؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . وكفر ان لا يؤمن بالمسيح الموعود ويكذبه على رغم تمام الحجة عليه .

ويظهر بالتأمل في الامر ان هذين النوعين من الكفر داخلان

---

(١) كلمة مفصل ص ١٢٩

(٢) كلمة الفصل ص ١٢٦

(٣) كلمة الفصل ص ١٢٥

في نوع واحد بعينه »[1].

«ان جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة المسيح الموعود كافرون خارجون من دائرة الاسلام ، ولو كانوا لم يسمعوا بالمسيح الموعود »[2].

«كل رجل يؤمن بموسى ولا يؤمن بعيسى ، أو يؤمن بعيسى ولا يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم) أو يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ولا يؤمن بالمسيح الموعود ، فما هو بكافر فحسب ، بل هو غارق في الكفر وخارج عن دائرة الاسلام »[3].

«ان الله قد انزل محمدا (صلى الله عليه وسلم) مرة اخرى في قاديان لينجز وعده »[4].

«فالمسيح الموعود هو محمد رسول الله وقد جاء الى الدنيا مرة اخرى لنشر الاسلام »[5].

«وها قد وضح الامر الآن . اذا كان انكار النبي الكريم

---

(١) حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد ص ١٢٩

(٢) مرآة الصدق للميرزا بشير الدين محمود أحمد ص ٢٥

(٣) كلمة الفصل ص ١١٠

(٤) كلمة الفصل ص ١٠٥

(٥) المصدر نفسه ص ١٥٨

كفرا ، فانه ينبغي ان يكون انكار المسيح الموعود كفرا ايضا ، فان المسيح الموعود ليس بشخص غير النبى الكريم ، بل انه هوا نفسه »[1].

« والذي يظهر انه ليس من هؤلاء ولا هؤلاء ، فانه ايضا من المكذبين لنا في حقيقة الامر . والذي لا يصدقنا ، ويقول انه يرى فينا خيرا ، فهو ايضا من المخالفين لنا »[2].

نتائج عدم الإيمان بالميرزا من الجهة العملية :

« ثم ان المسيح الموعود قد امر امرا واضحا انه لا ينبغي ان تبقى العلاقة بيننا وبين غير الاحمديين في امور افراحهم واتراحهم . واذا كان لا يحل لنا ان نشاركهم في مصائبهم ، فكيف يجوز لنا أن نصلي على موتاهم ؟ »[3].

يقول حضرة الميرزا عليه السلام ان لا بأس بالزواج من بنات غير الاحمديين لانه من الجائز الزواج من بنات اهل الكتاب[4].

« نعلن ليعرف الجميع انه لا يجوز للاحمديين ان ينكحو

---

(١) كلمة الفصل ص ١٤٧

(٢) مآل منكري الخلافة لجلال الدين الشمس القادياني ص ٨٢

(٣) جريدة الفضل ١٨ – ٢ – ١٩١٦

(٤) جريدة الفضل ١٦ – ١٢ – ١٩٢٠

بناتهم من غير الاحمديين وعليهم بأخذ الحيطة في هذا الباب في المستقبل»[1].

«ان حضرة المسيح عليه السلام ما صلى على ولده (الميرزا فضل احمد المرحوم) لاشئ الا لانه كان من غير الاحمديين»[2].

«واعلموا، كما اخبرني ربي، انه حرام عليكم بتاتا ان تصلوا خلف رجل مكفر او مكذب أو متردد، بل ينبغي ان لا يكون امامكم الا منكم»[3].

«اعتقد ان الذين يصلون خلف غير الاحمديين لا تجوز الصلاة عليهم اذا ماتوا فانهم ليسوا بالاحمديين عندي. وكذلك ان الذين ينكحون بناتهم رجالا غير الاحمديين ويموتون قبل ان يتوبوا، لاتجوز الصلاة عليهم ايضا»[4].

«لم يبح المسيح الموعود من معاملة غير الاحمديين الا بما عامل به النبي الكريم النصارى. فاى شئ قد بقي الآن نشاركهم فيه؟ ان العلاقة بين الناس علاقتين: علاقة دينية وعلاقة دنيوية

---

(١) إعلان مراقب الأمور العامة (بقاديان) المنقول من جريدة الفضل ١٤ - ٢ - ١٩٣٣.
(٢) جريدة الفضل ١٥ - ١٢ - ١٩٢١
(٣) الأربعين رقم ٣ الميرزا غلام أحمد ص ٣٤
(٤) رسالة الميرزا بشير الدين محمود أحمد المنشورة في عدد جريدة الفضل في ١٣ - ٤ - ١٩٢٦.

فاكبر وسيلة من وسائل العلاقة الدينية هي الاشتراك في العبادة ، واهم وسيلة من وسائل العلاقة الدنيوية هي التزاوج .وقد حرمت علينا كلتا هاتين الوسيلتين ، فان قلتم انه يجوز الزاوج من بناتهم ، قلت نعم ! يجوز ايضا ان نتزوج من بنات النصارى . فان قلتم لماذا يجوز السلام على غير الاحمديين ؟ قلت : قد ثبت من الحديث انه قد رد النبي صلى الله عليه وسلم حتى على اليهود سلامهم احيانا »[1].

---

(١) كلمة الفصل ص ١٦٩

الباب الثاني

كشف القناع عن وجه القاديانية ومخططاتها

- مواقف المسلمين وعلمائهم وقادتهم نحو القاديانية .
- المسألة القاديانية .
- البيانات التي أدلى بها المؤلف في محكمة التحقيق عن القاديانية ومزاعمها ومؤامراتها
- البيان الأول .
- البيان الثاني
- البيان الثالث .

مواقف المسلمين وعلمائهم وقادتهم نحو القاديانية

لقد فزع لهذه الفتنة القاديانية علماء الاسلام وقادة الفكر في الهند في حينها فحاربوها باقلامهم وألسنتهم وعلمهم واعتبروا المعتنقين لهذه النحلة خارجين عن دائرة الاسلام . وذلك أقصى ما كان يمكن في عهد الحكم الانكليزي . إلا أن زعماء الهندوس قد رحبوا بالفكرة القاديانية آخر الترحيب وحبذوها وصفقوا لها لأنها تفيض على الهند القداسة وتصرف وجه المسلمين عن دين محمد العربي صلى الله عليه وسلم وعن مكة المكرمة والمدينة المنورة الى المتنبي المحلي والى مركز «القاديان» الذي أضفى عليه المدعو غلام احمد واتباعه ثوب القداسة والاحترام . واليك بعض الأمثلة التي تؤكد ذلك : يقول أحد أتباع القاديانية : «ان الذي يزور قبة المسيح الموعود البيضاء في القاديان له نصيب من البركات التي تختص بقبة النبى الخضراء في المدينة. فما اشقى الرجل الذي يحرم نفسه من هذه البركات خلال الحج الاكبر الى -

قاديان [1] ويقول الخليفة الثاني للميرزا غلام أحمد : « الحج الى قاديان حج تمثيلي لحج بيت الله الحرام » [2] . ويقول احد اتباع القاديانية : « والحج الى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب ، لأن الحج اليوم إلى مكة لا يؤدي رسالته ولا يفي بغرضه [3] .

بل تقدموا خطوة أخرى وطبقوا على قاديان ما نزل من الآيات القرآنية في شأن بلد الله الحرام والمسجد الأقصى المبارك . يقول الميرزا غلام أحمد في تأويل قوله تعالى : « ومن دخله كان آمناً » إن هذه الآية تنعت المسجد الذي أسس في قاديان [4] . ويقول : « إن المراد بالمسجد الأقصى في قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » هو مسجد قاديان [5] ويقول الخليفة الثاني :

« أما إلهام حضرة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام

---

(١) صحيفة الفضل القاديانية : العدد ١٨٤٨ الصادر في دسمبر ١٩٢٢ م

(٢) خطبة بشير الدين محمود أحمد الخليفة الثاني للميرزا غلام أحمد المنشور في جريدة الفضل العدد ٦٦ المجلد ٢٠

(٣) جريدة بيغام صلح ، العدد الصادر في ١٩ ابريل ١٩٣٣ م

(٤) البراهين الأحمدية للميرزا غلام أحمد ص ٥٥٨

(٥) نشرة الميرزا غلام أحمد الصادرة في مايو ١٩٠٠ م والمندرجة في كتاب تبليغ الرسالة ج ٩

بأننا نموت إما في مكة أو في المدينة فنقول : إن هذين الاسمين لقاديان »[1] .

هكذا حاول القاديانيون أن يجعلوا نحلتهم دينا له نبيه ومركزه واصحابه وخلفاؤه ومقدساته وتاريخه ، وشخصياته ، ويقطعون صلة اتباع القاديانية عن تراث الاسلامي الخالد وعن منابع الاسلام ومصادره وعن المقدسات الاسلامية وعن مركز الاسلام الروحي . وحتى انهم يطلقون على رجالهم لقب «رضي الله عنهم » وعلى زعيمهم « لقب عليه السلام » وعلى عائلته لقب « أم المؤمنين » ويروون عنه بإسناد كإسناد الصحاح وبهذا السبب نفسه انبرى زعماء الهندوس ، ومنهم الباندبت جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند الراحل ، يرحبون بالفكرة القاديانية ويدافعون عنها بدافع من النزعة الوطنية . وكذلك الانكليز باركوا هذه النحلة وشجعوها بل هم الذين غرسوها ورعوها لان الدعوة القاديانية تحتوي على عناصر تبث بذور الشقاق في صفوف المسلمين وتمزق شملهم وقد كانت اصلح اداة لتحقيق الاغراض الاستعمارية . وبرغم أن المسلمين ظلوا يعلنون بأن القاديانين غير مسلمين ومارقين من الاسلام فإن الانكليز لم يكترثوا لتصريحات المسلمين واصروا على اعتبار القاديانيين طائفة من الطوائف الاسلامية وكانوا يقصدون من وراء ذلك ايجاد فرقة في صفوف الامة الاسلامية تعادي المسلمين من حيث

---

(١) الخطاب السنوي لمحمود أحمد ابن الميرزا غلام أحمد المنشور في جريدة الفضل في ٥ يناير ١٩٣٣ .

فكرتها ودعوتها في جانب ، وفي الجانب الآخر يتوقف كيانها وبقاؤها على تأييد الحكم الانكليزي وتؤدي دورها في خدمة المصالح الانكليزية واستمر الاستعمار الانكليزي يربي النحلة القاديانية في حضنه ويغذيها بلبان فكره ودهائه حتى استفحل امرها وتفاقم خطبها لتدخلها في السياسة وقد أخذ الاستعمار بيدها مشجعا حتى تبوأت المناصب الرئيسية في الادارة المدنية وفي الجيش .

وقد طالب المسلمون مرارا وتكرارا في عهد الاحتلال الانكليزي بفصل القاديانيين عن المسلمين الا أن نداءاتهم عادت صرخة في الواد ونفخة في الرماد . وفي طليعة الذين ابدوا مطالبة المسلمين بفصل القاديانيين عن الامة الاسلامية المفكر الاسلامي المعروف الدكتور محمد إقبال رحمه الله انبرى هذا المسلم المؤمن للدفاع عن حظيرة الاسلام ، ورد كيد القاديانية في نحرها ، وتطهير الدين المتين — على حسب تعبيره نفسه — من ارجاسها وادناسها . فنشر تصريحات ومقالات عديدة في الصحف بين فيها موقف الاسلام من هذه النحلة المارقة وكشف عن عورات القاديانين ، واماط اللثام عن خدماتهم للاستعمار البريطاني وتمسكهم باذياله . يقول الدكتور رحمه الله في احدى تصريحاته :

«ان كل طائفة دينية في الامة الاسلامية يقوم كيانها على ادعاء نبوة جديدة وتعلن بكفر جميع المسلمين الذين لم يصدقوا بهذه النبوة المزعومة يجب ان ينظر اليها المسلمون كخطر جدى

على وحدة المجتمع الاسلامي لأن وحدته وتماسكه وتضامنه لا تقوم الا على دعامة عقيدة ختم النبوة » . [1]

وعلى الحكومة أن تدرس الوضع الراهن بجد وعناية . وتحاول فهم عواطف عامة المسلمين في هذه المسألة التي يعطونها كل الاهمية لأجل الحفاظ على وحدة الامة » [2] .

«وخير سبيل لحكام الهند (وهم الانكليز في ذلك الوقت) هو ان يعتبروا القاديانيين امة منفصلة عن المسلمين ، وهذا الانفصال يلائم موقف القاديانيين انفسهم . ويمكن أن يتحملهم المسلمون بعد ذلك مثل تحملهم وجود الديانات الاخرى » [3]

وقال الدكتور في رسالة وجهها الى كبرى صحف الهند حينذاك (Statesman) التي اثارت هذه المسألة :

«ان القاديانية مؤامرة مدروسة ترمي الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ولأجل ذلك ان القاديانين يتخذون موقف الانفصال الكامل من المسلمين في الشؤون الدينية والاجتماعية . [4]

وقال «ان عقيدتنا بان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم

---

(١) الاسلام والأحمدية تأليف الدكتور محمد إقبال ص ٩٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٠

(٤) جريدة Statesman العدد الصادر في ١٠ يونيو ١٩٣٥ م

النبيين هو الاساس الذي يرسم خط الانفصال بكل دقة بين الدين الاسلامي وبين الديانات الاخرى التي تشارك المسلمين في عقيدة التوحيد ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن تقول باستمرار الوحي والنبوة «كبرهموسماج» في الهند. وهذا الخط هو الذي يستطيع الانسان بموجبه الحكم على طائفة من الطوائف بكونها متصلة بالاسلام أو منفصلة عنه. ولا أعرف في التاريخ طائفة مسلمة تجرأت على تخطي هذا الخط. صحيح ان البهائية في ايران انكرت عقيدة ختم النبوة ولكنها اعلنت بصراحة انها طائفة مستقلة، وليست مسلمة حسب المصطلح الاسلامي اننا نعتقد ان الاسلام دين اوحى الله به. ولكن بقاء الاسلام كمجتمع أو امة يتوقف على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم. اذن فليس للقاديانية إلا أن تختار أحد الامرين: اما ان يتبعوا البهائية في انفصالها عن المسلمين، واما ان يتخلوا عن تفسيراتهم المصطنعة لعقيدة ختم النبوة في الاسلام. ان تفسيراتهم الماكرة لاتنم الا عن حرصهم على البقاء في محيط المجتمع الاسلامي ليستغلوا انتماءهم اليه في تحقيق مآربهم السياسية التي لا تتحصل الا باسم المسلمين».

«زد على ذلك تنكر القاديانيين لمبادئ الاسلام الاساسية واطلاق لقب قومي جديد (اى لقب احمدي) على انفسهم وعدم مشاركتهم في صلاة المسلمين خلف امامهم. ومقاطعتهم الاجتماعية للمسلمين في افراحهم واتراحهم واعظم من كل هذا وذاك اعلانهم بكفر سائر العالم الاسلامي — ان هذه

النواحي كلها تبرهن بصراحة متناهية أن القاديانين قوم منفصلون عن المسلمين كل الانفصال » .

وقال الدكتور رحمه الله ردا على كلمة البانديت جواهر لال نهرو الزعيم الهندوسي الراحل ، الذي تساءل: لماذا يلح المسلمون على فصل القاديانية من الاسلام ، بينما هي طائفة من طوائف المسلمين المتنوعة ، فقال الدكتور رحمه الله :

«القاديانية تريد أن تنحت من امة النبى العربي صلى الله عليه وسلم امة جديدة تؤمن بالنبى الهندي »وقال انها اشد خطرا على الحياة الاجتماعية الاسلامية في الهند من عقائد اسفنورا الفيلسوف اليهودي الثائر على نظام اليهود » .

ومن الجهود التي بذلها الدكتور محمد اقبال لقمع هذه الفتنة أنه طلب من المسلمين أن لا يُقبل احد من القاديانيين عضوا في جمعية من الجمعيات الاسلامية . وبدأ في ذلك بجمعية «حماية الاسلام» في لاهور التي كان هو رئيسا لها ، فاستقال من رئاستها احتجاجا على انضمام القاديانيين اليها ، وبقي متمسكا بموقفه ثلاثة اشهر ، حتى تطهرت الجمعية وفروعها وكلياتها ومدارسها من كل من كان ينتمي الى القاديانية .

وخلاصة القول إن للدكتور محمد إقبال جولات وصولات في قمع هذه الفتنة في مصدرها .

ولما بالغ القاديانيون، بايعاز من الاستعمار الإنكليزي ، في المساس بكرامة النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

حدثت بين القاديانين وعامة المسلمين اشتباكات ومنازعات في جميع المجالات ، وثارت حفيظتهم وغيرتهم على الاسلام ونبيه العظيم صلى الله عليه وسلم ضد هؤلا المارقين من الاسلام فنشأت عن ذلك مشكلات اجتماعية مختلفة . ولاسيما في مجال الاحوال الشخصية . ورفعت الشكاوى الى المحاكم المدنية . ومن ثم اصبحت الدعوة القاديانية وموقفها من الاسلام والمسلمين موضع النقاش والبحث في مسرح المحاكم فهذا رجل —مثلا— تزوج بفتاة من المسلمين فانكشف لها انه قادياني أو اعتنق القاديانية فرفضت الفتاة ان تبقى حليلة له . وعلى غرار ذلك رفعت كثير من الشكاوى الى المحاكم . وصدرت من عدة محاكم أحكام باعتبار القاديانيين غير مسلمين وبطلان التزاوج بينهم وبين المسلمين . ومن اهم قرارات المحاكم في هذه القضية قرار محكمة مدينة « بهاول ناجار » برئاسة القاضي محمد اكبر خان سنة ١٩٣٥م. ومما جاء في هذا القرار :

وان المدعية : السيدة غلام عائشة التي رفعت الشكوى الى المحكمة تريد الغاء صلتها الزوجية من عبد الرزاق القادياني اثبتت بدلائل قاطعة أن سلسلة النبوة انقطعت بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم . وان التفسيرات التي اخذ بها المدعى عليه (عبد الرزاق القادياني) للعقائد الاسلامية تناقض كل المناقضة للتفسيرات التي قررتها وفهمتها الامة الاسلامية على مدار التاريخ. ولذلك لايمكن اعتبار المدعى عليه رجلا من المسلمين .

بل انه قد ارتد عن الاسلام ونكاح المرتد بالمرأة المسلمة يعتبر ملغىً في الاحوال الشخصية . ونقرر بأن المدعية لم تعد حليلة المدعى عليه منذ يوم ارتداده . ولها أن تطلب منه تكاليف المحاكمة » هذا ، وان المسلمين في القارة الهندية ما زالوا يضمرون للقاديانية عواطف العداء والحنق والتذمر ويشاركهم في ذلك قادة الفكر الاسلامي . الا أن عواطفهم هذه لم تشكل اضطرابات شاملة وقلاقل عامة طول عهد الاحتلال البريطاني لأسباب ذكرناها فيما مضى . ولكن لما انقسمت الهند ، وتكونت باكستان دولة مستقلة، وعقد المسلمون على حكومتهم الشعبية رجاءهم في معالجة المعضلة القاديانية ، ووضع حد لنشاطها في المجتمع الإسلامي ، وجعلهم أقلية غير إسلامية في دستور البلاد المقرر وضعه في المستقبل . وبدل أن تعمل الحكومة في هذا الصدد شيئاً يذكر ، ظلت تبسط على القاديانيين جناح عطفها وحمايتها ، تقطعهم الأراضي الواسعة وتسند اليهم نصيباً وافراً من المناصب الحساسة في دوائرها . الأمر الذي زاد الطين بلة .

ونظراً لخطورة الوضع واستفحال الأمر عقد قادة الإسلام وزعماء الجمعيات الإسلامية الذين كانوا يمثلون كل مذهب من المذاهب الإسلامية السائدة في باكستان اجتماعاً في يناير ١٩٥٣م بمدينة كراتشي ناقشوا فيه الوضع السائد ودرسوا القاديانية وفكروا في معالجتها . فوضعوا مقترحات للدستور الاسلامي المنشود من ناحية ، ومن الناحية الاخرى طالبوا الحكومة بأن تجعل القاديانيين اقلية غير مسلمة على غرار

الاقليات غير الاسلامية الاخرى في البلاد ، وأن تخصص لهم بعض المقاعد في المجلس النيابي حسب النسبة العددية . فهذا الاجتماع ، الذي خرج فيه علماء الاسلام الممثلين لكافة الطوائف الاسلامية عن قوس واحد فيما قرروا ، لم يسجل موقفا جديدا في وحدة كلمة العلماء المسلمين فيما يتعلق بعقائد الاسلام ومبادئه الاساسية فحسب ، بل أكد كذلك على اجماعهم على كون القاديانيين خارجين من دائرة الاسلام وثائرين على النبوة المحمدية على صاحبها الف الف سلام .

غير أن الامر لم يكن سهلا هينا كما فهم ، لأن القاديانين ، كما قلنا فيما سبق ، كانوا متربعين على المناصب الرئيسية منذ الاحتلال الانكليزي . فلما تأسست باكستان كانوا هم الذين يسيطرون على المناصب الحساسة : المدنية والعسكرية ، ويتقلدون الوظائف التي لها تأثيرها في المجتمع مستغلين في ذلك وضعهم السابق ونفوذهم الشامل . واوضح مثال لذلك هو تقلد ظفر الله خان مهام وزارة الخارجية . ومن المعلوم أن ظفر الله ليس من زعماء القاديانية ودعاتها المتحمسين فحسب ، بل هو من ابرز الشخصيات الصديقة للانجليز بل من غرسهم وصنعهم . فاصبح رجل هذا شأنه وزير الخارجية في دولة يعتقد هو أن أغلبية سكانها كفار لا يصدقون ادعاء الميرزا غلام احمد بالنبوة ، وتعتقد الاغلبية أنه خارج عن الاسلام . واستغل ظفر الله خان وظيفته في تدعيم اركان الخارجية والسفارات والمفوضيات في العالم باتباع جماعته ،

وسلطهم على رقاب الموظفين المسلمين يتحكمون فيهم كما يشاؤون ويستغلون مناصبهم وسلطاتهم في نشر نحلتهم واقامة مراكزهم . كما يريدون . كما أنه دعم نفوذ القاديانية في البلاد الاسلامية باستغلال موقف باكستان مناصرة وتأييد القضايا العربية في قاعة الامم المتحدة . مما ساد المسلمين استياء وتذمر ، وعيل صبرهم . واخير انفجر بركان ما كان يجيش في صدورهم من قلق وغيظ وقامت في البلاد بغتة حركة عنيفة سنة ١٩٥٣ م تطالب بعزل ظفرالله خان عن منصب وزارة الخارجية وجعل القاديانيين في عداد الاقليات غير الاسلامية وكانت حركة شعبية هائلة لم يشهد تاريخ هذه البلاد نظيرا لها منذ زمن بعيد .

وفي مثل هذا الوضع المكفهر الشائك الفت الرسالة الاولى من هذه المجموعة وهي رسالة «المسألة القاديانية» . وكان الغرض من تأليف هذه الرسالة اقناع الحكومة بصحة مطالبة العلماء وعامة المسلمين النصح للجماهير المسلمة بأن لا يتركوا المجال للمغرضين أو المخربين وأن يلتزموا حدود القانون في عرض مطالبهم على الحكومة . وكان عرض القضية باسلوب علمي نزيه كما يشاهده القارئ في الصفحات التالية .

ولكن من أعاجيب الدهر أن الحكومة بدل أن تفيق من غوايتها ، وتعالج وضع البلاد بالحكمة والتبصر تمادت في غيها ، وزادت من ضغطها على الجماهير ردعا لهم من هذه المطالبة

فاعلنت الحكم العرفي في مناطق الحركة ، وشرعت تقمعها بالحديد والنار . ودام الحكم العرفي الذي كان يتولاه الجيش ثلاثة اشهر استشهد خلالها مئات المسلمين برصاص الجيش والشرطة ، وقبض على آلاف مؤلفة من العلماء وعامة المسلمين وزج بهم في السجون .[1]

وبعد انتهاء الاضطرابات وارتفاع الحكم العرفي شكلت الحكومة محكمة التحقيق لبحث أسباب الاضطرابات وفرض الحكم العرفي . وقد بدأت المحكمة بتوجيه طائفة من الاسئلة الى الاحزاب السياسية والدينية التي كانت لها أدنى علاقة بهذه القضية . وأدلى كل منهم برأيه في هذا الموضوع . وكذلك وجهت إليّ هذه الاسئلة فسجلت ردي عليها في البيانات الثلاثة [2] التي سيرد ذكرها في الصفحات القادمة .

---

(١) ومنهم الأستاذ أبو الأعلى المودودي مؤلف « المسألة القاديانية » . وأقيمت محاكم عسكرية تقرر عقوبات على القائمين بالحركة والمساندين لها . كما عرضت قضية الأستاذ على نفس المحكمة الاستئنافية التي لم تلبث أن حكمت عليه بالإعدام أولا ، ثم استبدلت هذا الحكم بالسجن أربعة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة . ولم تكن جريمته إلا أنه ألف الرسالة المذكورة التي أوضح فيها موقف القاديانية من الاسلام والمسلمين ، وأضح موجبات تقتضي جعل القاديانيين أقلية غير مسلمة في باكستان . (المترجم) .

(٢) سجل الأستاذ حفظه الله هذه البيانات وهو رهن السجن يعاني ما يعانيه السجناء ولا يصل اليه كتاب ولا قرطاس ولا جريدة ، ولا يتيسر له الاجتماع بمحاميه إلا تحت رقابة شديدة . ولكن العراقيل كلها

وقد ألحقت بهذه المجموعة رسالة اخرى عنوانها : «عقيدة ختم النبوة» وهذه الرسالة هي جــزء من تفسيري لسورة الاحزاب[1] وقد بينت في صدد تفسير الآية الكريمة : «ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما» مسألة ختم النبوة في ضوء مصادر الشريعة الاسلامية . مــن القرآن والسنة واجماع علماء الامة . وقد تناولت بالبحث والمناقشة جميع الادلة التي يأخذ بها منكرو ختم النبوة ، ورددت عليها ردا سيكون مقنعا لمن له قلب أو القى السمع وهو شهيد ، كما تعرضت لمسألة نزول عيسى بن مريم وظهور المهدي لإزالة ما كان يعلق ببعض الاذهان من شبهات حــول هذه المسألة، وتحطيم التفسيرات المضللة التي يلتجىء اليها القاديانيون ومن يحذو حذوهم من أصحاب الدعوات الهدامة.

والدعوة القاديانية لها دعاة ومراكز في شتى اقطار الارض، ولاسيما في بعض البلدان الافريقية وفي البلاد الاوروبية

= لم تمنعه من القيام بواجبه فأتى ببياناته المشار اليها ، وعرضها على محكمة التحقيق . ومما لا يكابر فيه أحد أن الأستاذ المودودي حفظه الله قد كشف في هذه البيانات القناع عن وجه النحلة القاديانية بتفصيل وإن يتبين منه القارىء : حقيقة هذه الدعوة الهدامة ، وعلاقتها بالقوى الاستعمارية ، وخطرها على المجتمع الاسلامي ، وما يترتب عليها من مشكلات تمزق وحدة المجتمع الإسلامي وتبدد طاقاته . «المترجم» .

(1) للأستاذ المودودي تفسير للقرآن الحكيم أسماه : «تفهيم القرآن» «المترجم» .

وبخاصة البلاد التي كانت تحت السيطرة البريطانية . وعدد مراكزهم في العالم حسب تصريحهم انفسهم يقارب واحداً وثلاثين مركزا ومن أغرب ما يكون أن لهم مركزاً حتى في اسرائيل . وننقل للقراء فيما يلي مقتبسات من بيان احد علماء المسلمين في سورية وهو محمد خير القادري ، عن مركز القاديانية في اسرائيل . يقول :

« اراد القاديانيون التبشير بدينهم الجديد في البلاد العربية فبحثوا في البلدة التي يجدونها اكثر ملائمة لهم ليؤسسوا فيها مركز تبشيرهم فلم يجدوا خيرا من مدينة حيفا . ويرجع ذلك لسبب واحد هو الاستظلال بالراية البريطانية التي يجدون تحت ظلها مأوا وامنا واستقراراً . وهكذا فقد اسسوا في حيفا مركزهم، ومنه يرسلون دعاتهم للبلدان العربية . ومنذ انسحبت الحكومة الانكليزية من حيفا وجد القاديانيون تحت لواء (اسرائيل) امنا وسلاما وظلا ظليلا . ولا يزال مركزهم الى الآن في مدينة حيفا يدخلون فلسطين ويخرجون منها الى البلاد العربية .

وفضلا عن أن جميع البلدان العربية والاسلامية قاطعت اسرائيل فان القاديانية لا تزال معها في صلات حسنة ووداد ووئام والقاديانيون يدخلون فلسطين ويخرجون منها بكل حرية واطمئنان »[1]

---

(١) ومن الجدير بالإشارة أن القاديانيين في إسرائيل يقيمون على الجواز البريطاني ، لأن حكومة باكستان لا تصدر الجواز الذي يسمح لصاحبه بالدخول إلى إسرائيل ، وهي لم تعترف بدويلة الصهاينة الغاصبين به . « المترجم » .

وان موالاة القاديانيين للانكليز (العدو التقليدي للمسلمين) ، ثم لإسرائيل لدليل قاطع بانهم غير مسلمين ... واننا نلفت نظر الحكومات العربية والاسلامية وبخاصة الجامعة العربية ولجنة مقاطعة اسرائيل الى انذار القاديانيين باغـلاق مكتبهم في اسرائيل ، والا طردوا من البلدان العربية ومنعوا من دخولها اسوة بالشركات والمعامل الاوروبية التي تفتح لـها فروعاً في اسرائيل (١) .

ويقول المصدر القادياني نفسه :

« يقع مكتب التبشير الاحمدي على جبل الكرمل في حيفا — اسرائيل . ولنا فيه مسجد ، ودار للتبشير ، ومكتبة عامة ، ومكتبة لبيع الكتب ، ومدرسة ويصدر مكتبنا مجلة شهرية : اسمها « البشرى » التي توزع في البلدان الناطقة بلغة الضاد . وقد قام هذا المكتب بنقل الشئ الكثير من تعاليم المسيح الموعود الى اللغة العربية » .

« وطرأت على مكتب التبشير الاحمدي مؤثرات من عدة نواحي بسبب تقسيم فلسطين . ان الذين بقوا في اسرائيل من المسلمين يتغذون ويسترشدون من مكتبنا الذي ينتهز كل فرصة لخدماتهم . وقبل مدة قابل مبشرنا رئيس بلدية حيفا ، وناقش معه عدة مسائل . وقد عرض عـلى مكتبنا

(١) القاديانية : مطية الاستعمار البغيض — تأليف محمد خير لقادري ص ١٢ ، و ١٣ ، طبع في دمشق — سوريا .

انشاء مدرسة بقرب جبل الكبابير الذي يسكن فيه عدد لا يستهان به من اتباع فرقتنا ، كما انه وعد بمقابلة مبشرنا في الكبابير فاوفى بوعده وشرفه بزيارته يرافقه اربع شخصيات هامة . واستقبلهم رجال فرقتنا وطلبة مدرستنا . وعقدوا حفلة ترحيبية . وعند عودتهم سجلوا انطباعاتهم في سجل الزائرين » .

« وهناك حادث بسيط يعرف به ما لمكتبنا التبشيري في اسرائيل من اهمية ومكانة . وهو انه لما اراد مبشرنا محمد شريف العودة الى مركز الاحمدية في باكستان ارسل اليه رئيس اسرائيل رسالة طلب فيها ان يزوره قبل سفره الى باكستان . فانتهز محمد شريف هذه الزيارة ، وقدم له نسخة من ترجمة المانية للقرآن الكريم التي قبلها باعجاب . وهذه المقابلة وما جرى فيها من الامور نشرته الصحافة الاسرائيلية على اوسع نطاق ، واذيع باختصار من اذاعة اسرائيل »[1] .

والذي يتبينه القارئ من هذه المقتبسات أن القاديانيين بينما هم يبثون فكرتهم في العرب الفلسطينين الذين لا يزالون يعيشون عيشة ذل ومهان فيما يسمى اسرائيل ، ويستغلون وضعهم المزري يتمتعون بعطف الصهاينة ويحققون مآربهم في اذلال العرب واخماد جذوة الجهاد

---

(١) كتاب « بعثاتنا الخارجية » تأليف الميرزا مبارك أحمد القادياني ، الطبعة الخامسة ، طبع في مطبعة « نصرت آرت » بربوة في باكستان .

في نفوسهم واجبارهم على ولاء الحكومة القائمة . وذلك باقناعهم بفكرة الغاء الجهاد على لسان ما يدعى المسيح الموعود .

وهذا قليل من كثير مما لهذه الحركة من جهود ومكايد ومؤامرات ومخططات وشرور وويلات . وهناك شيء هام نريد أن نلفت اليه الانظار : وهو ان دعاة القاديانية عندما يشرعون في بث دعوتها وفكرتها في اوساط المسلمين لا يظهرون إلا في مظهر دعاة الاسلام ، ولا يطلقون على مهمتهم الا كلمات البعث والتجديد ، لا يقاع المسلمين السذج في مصيدتهم . ثم إذا اطمأنوا الى المتأثرين بفكرتهم ، ورأوهم قد اقتنعوا بما يدعون اليه يتخلون عن لباسهم الزور ويلقنونهم بصراحة ضرورة الايمان بالمتنبي الكذاب واعتناق المبادئ التي وضعها هو وزعماؤهم بكل ما فيها من انحراف وفساد . فمنهم من تبين الأمر وهم قليلون . ومنهم من وقع فريسة لهم ، وخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المسألة القاديانية

انعقد في كراتشي في شهر يناير عام ١٩٥٣ م موتمر حافل اشتركت فيه نخبة من العلماء والمشايخ يمثلون مختلف الطوائف الاسلامية من جميع نواحـــي باكستان الشرقية والغربية ، ممن يوثق بهم ويرجع اليهم، ونظروا جميعا فيما قدمته الحكومة الى المجلس التشريعي من مقترحات وتوصيات للدستور الجديد ، واتفقوا عـــلى طائفة من الاقتراحات والتعديلات منها الاقتراح التالي :

« نطالب المجلس التشريعي بالنسبة لجميع اولئك الذين يعتقدون ويرون الميرزا غلام احمد القادياني زعيما دينيا لأنفسهم بأن يعدهم اقلية كسائر الأقليات غير المسلمة في البلاد ، وأن يخصص لهم مقعداً واحداً من مقاعد البرلمان بمقاطعة بنجاب » .

اما بالنسبة لسائر مقترحات العلماء فقد كانت من الوضوح والمعقولية بدرجة اخرست اعداء العلماء جميعا حتى لم يستطيعوا أن يقدحوا فيها بشيْ ، واذا كان بعضهم

قد ذكر عنها شيئا فلم يكن لكلامه قيمة ولا وزن عند الطبقة المتعلمة المثقفة في البلاد .

اما هذا الاقتراح ــ الخاص بالقاديانية ــ فهو وان كان ــ فيما نراه ــ علاجا حاسما وحلا موفقا لهذه المسألة ، الا أن عددا غير يسير من رجالنا المتعلمين لا يزال غير مقتنع بصحته وسداده ومعقوليته .

وها نحن أولاء نعرض على القراء بكل وضوح تلك الحجج والبراهين التي حثت العلماء على تقديم اقتراحهم هذا بالاجماع .

ان كون القاديانيين امة خارجة عن الامة الاسلامية ، ليس الا نتيجة طبيعية ومنطقية لما اختاروه هم لانفسهم من المكانة في هذه الامة ، فهم الذين أحدثوا الاسباب التي تقطعهم عن سائر المسلمين وتجعلهم أمة خارجة عن سائر المسلمين .

فأول ما يخرجهم عن المسلمين ويبعدهم عنهم هوما جاؤا به من التفسير الحديث (لختم النبوة) وقد خالفوا فيه تفسير جميع المسلمين المتفق عليه بينهم .

فما زال المسلمون يعتقدون منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن ــ ولا يزالون يعتقدون اليوم ــ أن سيدنا النبي العربي محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ، فلا نبي ولا رسول بعده الى يوم القيامة . وذلك هو المعنى الذي فهمه الصحابة ، رضوان الله عليهم جميعا ، من قول الله عز وجل

في كتابه الكريم « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »[1] وهم لذلك حاربوا كل من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا هو المعنى الذي ما زال المسلمون يفهمونه في جميع العصور المتعاقبة ، فلم يقبلوا من بين أنفسهم رجلا ادعى النبوة .

اما القاديانيون فقد فسروا « خاتم النبيين » لاول مرة في تاريخ المسلمين بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الانبياء اى طابعهم ، فكل نبي يظهر الآن بعده ، تكون نبوته مطبوعا بخاتمه صلى الله عليه وسلم . ويمكننا في هذا المقام أن نقدم للقراء عدة نصوص من كتب القاديانيين تبين هذا المعنى وتوضحه ، ولكنا نكتفي هنا بأن نعرض عليهم ثلاثة نصوص :

« قال المسيح الموعود عليه السلام في خاتم النبين : إن المراد به انه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة اىّ نبي من الانبياء إلا بخاتمه (صلى الله عليه وسلم) ،وكما ان كل قرطاس لا يكون مصدقا مؤكدا الا حين يطبع عليه بالخاتم، فكذلك كل نبوة لا تكون مطبوعا عليها بخاتمه وتصديقه (صلى الله عليه وسلم) تكون غير صحيحة »[2]

« لا ننكر ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو

(١) سورة الأحزاب : الآية : ٤٠

(٢) ملفوظات أحمدية : بترتيب محمد منظور إلهي القادياني . ص ٢٩٠

خاتم النبيين ، ولكن الختم ليس المراد به ما يفهمه السواد الاعظم من الناس ، اذ هو يخالف كل المخالفة عظمة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وجلالة شأنه وعلو منزلته . ومعناه ان النبى صلى الله عليه وسلم قد حرم امته من نعمة النبوة العظمى » .

« وانما المراد به أنه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء اى طابعهم ، فلا نبى الآن الا من يصدقه هو صلى الله الله عليه وسلم ... وبهذا المعنى نؤمن بأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين »[1]

« الخاتم هو الطابع ، فاذا كان النبي الكريم طابعا ، فكيف يكون طابعا اذا لم يكن في أمته نبى »[2]

وهذا الاختلاف في التفسير لم يقف عند مجرد تأويل لفظة واحدة ، بل لقد اعلن القاديانيون فيما بعد ، وجاهروا بأنه ليس من الممكن ان يأتي نبى واحد فقط بعد النبى صلى الله عليه وسلم بل من المحتمل أن يأتي مئات وألوف من الانبياء .

وهذا ايضاً واضح كل الوضوح في نصوص القاديانيين انفسهم ، وها نحن اولاء نذكر للقراء بعضها :

---

(١) جريدة الفضل اليومية ، في عددها الصادر في ٢٢ سبتمبر ١٩٣٩ م . هذه الجريدة لسان حال القاديانيين وكانت تصدر من قاديان قبل تقسيم البلاد وتصدر من ربوة : مدينة القاديانيين في باكستان .

(٢) جريدة الفضل في عددها الصادر في [illegible] م

« ومما هو واضح كالشمس في رابعة النهار أن باب النبوة لا يزال مفتوحا بعد النبى صلى الله عليه وسلم[1]

« وقد زعموا — اى المسلمون — ان خزائن الله قد نفدت ... وما زعمهم هذا الا لأنهم لم يقدروا الله حق قدره ، والا فاني اقول انه لا يأتي نبى واحد فقط بل يأتي الوف من الانبياء[2]

« وان وضعوا السيوف على جانبي عنقي ، ثم طلب مني أحد أن أقول : انه لا يأتي نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، لأقولن له انك كذاب ، فانه لا يجوز ، ، بل لا بد أن يأتي الانبياء بعده »[3]

وهكذا فتح ميرزا غلام احمد القادياني باب النبوة ثم قام مدعيا بنبوته، وصدقت الطائفة القاديانية ادعاءه هذا وأقرت له بالنبوة بالمعنى الحقيقي التام . وها نحن نذكر للقراء ما يشهد بذلك شهادة ناطقة من اقوال القاديانيين الثابتة العديدة :

« وأيضا قد صرح المسيح الموعود — اى الميرزا غلام احمد — في كتبه بدعواه للرسالة والنبوة ، كما كتب :

---

(١) حقيقة النبوة : تأليف الميرزا بشير الدين محمود أحمد بن الميرزا غلام أحمد الخليفة الثاني للقاديانيين ص ٢٢٨

(٢) أنوار الخلافة : تأليف الميرزا بشير الدين محمود أحمد ص ٦٢ .

(٣) أنوار الخلافة ص ٦٥

« ادعى فأقول : انا رسول ونبي »[1] . أو كما كتب : « انا نبي وفقاً لأمر الله ، وأكون آثما ان انكرت ذلك ، واذا كان الله هو الذي يسمبني بالنبي ، فكيف لي ان أنكر ذلك؟ انني سأتمسك بهذا الامر حتى اجاوز هذه الدنيا . وكتب المسيح الموعود ذلك القول في رسالة سجلها قبل وفاته بثلاثة ايام فقط : كتبها في ٢٣ مايوا سنة ١٩٠٨م ونشرت في « أخبار عام » في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨م يوم وفاته »[2]

« فالمعنى الذي تعطينا اياه الشريعة الاسلامية عن النبي لا يسمح بان يكون المسيح الموعود نبيا رمزيا فقط ،بل لا بد أن يكون نبيا حقيقيا »[3]

ومن صميم ما تقتضيه الدعوى بالنبوة تكفير كل من لا يؤمن بها وذلك هو عين مافعله القاديانيون . فهم يكفرون علنـــا في خطبهم وكتاباتهم جميـــع المسلمين الذين لا يؤمنون بالميرزا غلام احمد القادياني . ونذكر للقراء فيما يلي بعض ما يشهد بذلك من صريح عباراتهم :

« ان جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة المسيح الموعود كافرون خارجون عن دائرة الاسلام ،

---

(١) راجع جريدة بدر : العدد الصادر في ٥ مارس ١٩٠٨ م

(٢) كلمة الفصل : تأليف الصاحبزادة بشير أحمد القادياني المدرجة في برقم ٣ ج ١٤ ص ١١٠ .

(٣) حقيقة النبوة : تأليف الميرزا بشير الدين محمود أحمد ص ١٧٤

ولو كانوالم يسمعوا باسم المسيح الموعود » [١]

« كل رجل يؤمن بموسى ولا يؤمن بعيسى ، أو يؤمن بعيسى ولا يؤمن بمحمد أو يؤمن بمحمد ولا يؤمن بالمسيح الموعود ، فما هو بكافر فحسب ، بل هو راسخ في الكفر وخارج عن دائرة الاسلام » [٢]

وبما اننا نؤمن بنبوة الميرزا عليه السلام ، وغير الاحمديين لا يؤمنون بها ، فكل رجل من غير الاحمديين كافر بحسب ما جاء في القرآن ، اذ ان الكفر ولو بنبي واحد هو الكفر » [٣]

ولا يقتصر القاديانيون على قولهم بأنهم مخالفون للمسلمين في أمر نبوة ميرزا غلام أحمد فحسب ، بل هم يقولون أيضاً انه ليس هناك من شي يجمع بينهم وبين المسلمين ، فربهم غير رب المسلمين، وإسلامهم غير إسلامهم ، وقرآنهم غير قرآنهم وصلاتهم غير صلاتهم، وصيامهم غير صيامهم ...الخ

وقد نشر خطاب لخليفة القاديانيين في جريدة الفضل في تاريخ ٢١ اغسطس سنة ١٩٢٧ م بعنوان « نصائح الطلاب » أوضح الخليفةفيها لطلاب جماعته ماهو الفرق والخلاف بين الأحمديين

---

(١) آئينة صداقت « مرآة الصدق » لمؤلفه الميرزا بشير الدين محمود أحمد ص٣٥

(٢) كلمة الفصل لمؤلفه الصاحبزادة بشير أحمد القادياني ، المنشورة في مجلة ريفيفيو آف ريليجنس ص ١١٠ .

(٣) بيان الميرزا بشير الدين محمود أحمد في محكمة كوراد أسابور المنشور في جريدة الفضل في عددها الصادر في ٢٦ و ٢٩ يونيو ١٩٢٢ م

وغير الأحمديين . فمما جاء في هذا الخطاب :

« ... قال المسيح الموعود إن إسلامهم – أي إسلام المسلمين – غير إسلامنا ، وإلههم غير إلهنا ، وحجهم غير حجنا ، وهكذا نخالفهم في كل شيء » .

ونشرت جريدة الفضل كذلك في عددها الصادر في ٣٠ يوليو سنة ١٩٣١ خطاباً آخر للخليفة ذكر فيه النقاش الذي دار بين الأحمديين ، والميرزا غلام أحمد حي بينهم ، حول ما إذا كان ينبغي للقاديانيين أن ينشئوا معهداً للعلوم الدينية يكون مستقلاً دينياً خاصاً بهم أم لا ، فقالت طائفة منهم لا ينبغي للأحمديين أن ينشئوا لهم معهداً للعلوم الدينية يكون مستقلاً عن معاهد المسلمين . وكانت الحجة التي تستدل بها هذه الطائفة : « اننا لانخالف سائر المسلمين إلا في مسائل قليلة معلومة قد بينها لنا المسيح الموعود عليه السلام وأوضح لنا الدلائل عليها ، فمن الممكن أن نتعلم سائر المسائل الاخرى من المعاهد الاخرى » . وكانت الطائفة الاخرى تخالف الاولى في هذا الرأي فبينما هم كذلك طلع عليهم الميرزا غلام احمد نفسه ، ولما سمع ما هم فيه من المناقشة ، قطع فيها وحكم بينهم بالكلمات التالية – على حسب ما بينه خليفته الحالي : « من الخطأ بأننا لا نخالف المسلمين الا في مسألة وفاة المسيح أو غيرها من المسائل الاخرى . قال : اننا نخالفهم في ذات الله تعالى ، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن

والصلاة والحج والزكاة » وبمجمل القول قد فصل لهم الميرزا غلام احمد الموضوع وبين لهم أننا نخالفهم في كل المسائل » .

وقد افضى القاديانيون انفسهم بهذا الخلاف الشامل بينهم وبين المسلمين الى نتائجه النهائية المنطقية ، وقطعوا صلاتهم بالمسلمين ونظموا انفسهم تنظيما مستقلا عنهم كأنهم أمة ليست منهم في قليل ولا كثير . وذلك مما تشهد به كتابات القاديانين انفسهم :

« وقد اكد المسيح الموعود النهى عن صلاة الاحمديين خلف رجل من غير الاحمديين ، وكثيرا ما ترد إليّ من الخارج رسائل يسألني اصحابها عن هذا الامر المرة بعد المرة ، ولذلك فاني اقول لهم مهما اعدتم عليّ السؤال عن هذا الامر ، فاني لن اجيبكم الا بأنه لا تجوز صلاة الاحمدي خلف رجل من غير الاحمديين » (١) .

« من الواجب علينا الا نعتبر غير الاحمديين مسلمين والانصلي خلفهم » ، اذ انهم عندنا كفروا بنبى من انبياء الله » (٢) .

« اذا مات ولد لرجل من غير الاحمديين، فلماذا ينبغي علينا الا نصلي على جنازته في حين أنه لم ينكر المسيح

---

(١) أنوار الخلافة : تأليف الميرزا بشير الدين محمود أحمد ص ٨٩

(٢) أنوار الخلافة : ص ٩٠

الموعود ؟ وانا بدوري أسأل من يلقي عليّ هذا السؤال : ان كان ذلك جائزا فلماذا لا نصلي على جنازة اولاد الهنادك والنصارى ؟ .. ان اولاد غير الاحمديين ليسوا الا منهم ولذلك لا تجوز الصلاة عليهم [1]

« وقد ابدى المسيح الموعـود سخطه الشديد عـلى أحمدي يريد أن يزوج ابنته برجل من غير الاحمديين . وقد سأله رجل عن ذلك مرة بعد مرة وعرض عليه ضروبا من الاعذار ، ولكن لم يأت في كل مرة الا بقوله : أمسك عليك بنتك ولا تزوجها برجل من غير الاحمديين . ثم ان هذا الرجل زوج ابنته بعد وفاة المسيح الموعود برجل من غير الاحمديين ، فعزله الخليفة الأول عن امامة الاحمديين ولم يقبل له توبة في ست سنين من سني خلافته مع انه لم يزل يتوب من فعلته مرة بعد مرة » [2] .

« لم يبح المسيح الموعود ان يتعامل الاحمدي مع غير الاحمديين الا بما عامل به النبي الكريم النصارى . وقد فرّق بيننا وبين غير الاحمديين في الصلاة وحرّم علينا أن نزوجهم بناتنا . ونهينا عن الصلاة على موتاهم ، فأي شيء قد بقي الآن نشاركهم فيه ؟ ان العلاقات بين الناس على نوعين : علاقة دينية ، وعلاقة دنيوية فأكبر وسيلة من وسائل العلاقة الدينية هي الاشتراك في العبادة ،

---

(١) أنوار الخلافة : ص ٩٣

(٢) أنوار الخلافة : ص ٩٣ و ٩٤

واهم وسيلة من وسائل العلاقة الدنيوية ، هي التزاوج . وقد حرمت علينا هاتين الوسيلتين . فان قلتم انه يجوز الزواج من بناتهم (اي بنات غير الاحمديين) . قلت نعم : ويجوز ايضا أن نتزوج من بنات النصارى . فان قلتم : لماذا يجوز السلام على غير الاحمديين ؟ قلت : قد ثبت من الحديث انه قد رد النبي صلى الله عليه وسلم حتى على اليهود سلامهم في بعض الاحيان » (١)

ولم يقف امر قطع الصلات والروابط بالمسلمين عند حد الكتابة والخطابة فحسب ، بل مما يشهد به مئات الالوف من اهل البلاد ان القاديانين قد انفصلوا عن المسلمين انفصالا واقعيا فعليا ايضا ، وانهم قد اصبحوا أمة مستقلة تماما عنهم ، فهم لا يشاركونهم بالفعل في الصلوات المكتوبة ولا في الصلاة على الموتى ولا في التزاوج .

فليت شعري أي مبرر معقول بقي بعد هذا ليظلوا مندمجين في أمة واحدة مع المسلمين ، ارادوا ذلك أم لم يريدوا ؟ أو ليس من الواجب الاعتراف بحقيقة الانفصال بيننا وبينهم من الوجهة القانونية اليوم ، وقد تم هذا الانفصال بالفعل منذ خمسين سنة حتى هذه الساعة من الوجهة العقائدية والوجهة العملية ؟

والحق ان الحركة القاديانية قد اثبتت لنا اليوم بالتجربة

---

(١) كلمة الفصل المنشورة في مجلة ريفيفيو آف ريليجنس ص ١٦٩

العملية ما كان يصعب علينا ادراكه قبل ذلك من الوجهة النظرية المجردة مما في عقيدة ختم النبوة من الحكم والمصالح وقد كان المرء منا يتساءل حينذاك عن سبب انقطاع سلسلة الوحي وتوقف بعث الانبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم. اما اليوم فقد اثبتت لنا التجربة ما في ذلك من الحكمة البالغة ، وبينت لنا النعمة الكبرى التي أنعم الله تعالى بها على الامة الاسلامية ، وذلك لانه جمع جميع الناطقين بكلمة التوحيد على اتّباع نبي واحد لكي يحفظ على الامة وحدتها ولكي يحكم عروتها وصلاتها .. وذلك في حين ان هذه التجربة نفسها تبين لنا كيف تفرق الدعوى المتجددة بالنبوات الامة الواحدة الى امم كثيرة وتشتت شملها ..

فان ايقظتنا هذه التجربة اليوم وبصرتنا بالحقائق ، وقطعنا عن جسد الامة الاسلامية هذه الامة الجديدة — اي الأمة القاديانية — فلن يتجرأ احد بعد اليوم أن يقوم فينا يدعي النبوة ويشرع في تمزيق الامة وتفرقة كلمتها . أما إذا قبلنا اليوم هذا التمزيق والتفرقة وسكتنا على ذلك ، فلن يكون معنى ذلك الا أننا نشجع الكثيرين من مدّعي النبوة ونكون لهم عونا لادعاءاتهم في المستقبل ، ونشترك بذلك في تفرقة كلمة المسلمين ..ويكون سكوتنا قدوة لمن بعدنا فلن يقف الامر عند بث الخلاف والتشتت في الأمة مرة أو مرتين بل سيكتب على مجتمعنا ان يواجه في كل يوم نوعا جديدا من اخطار التمزيق والتفرقة ..

هذه هي الحجة الحقيقية التي نستند اليها في مطالبتنا بجعل القاديانيين اقلية كسائر الاقليات غير المسلمة في البلاد ، وهي في الواقع حجة مقنعة لا يكاد احد يقارعها بحجة معقولـــة . غير ان الذين يعارضون هـــذه المطالبة يريدون ان يصرفوا الناس عنـــا ويبعدونها عن اذهانهم بطرق ملتوية . فيأتون باعتراضات اخرى لا تمت الى صميم المسالة بصلة مباشرة ، فيقولون مثلا :

ما زالت الفرق المختلفة من المسلمين منذ اول الامر ولا تزال الى اليوم يكفر بعضها بعضا ، فان اخذنا نقطع عن جسد الأمة كل فرقة تكفرها فرقة اخرى من المسلمين ، فلن تبقى للامة عين ولا اثر بعد حين من الزمن .

وكذلك يقولون : إن المسلمين توجد فيهم ما عدا القاديانين عدة طوائف لا تخالف السواد الاعظم خلافا شديدا في العقائد الاساسية فحسب ، بل قد انقطعت عن المسلمين واستقلت عنها فعلا وقطعت صلاتها الدينية والاجتماعية بهم على غرار القاديانيين فهل تقطعون عن الأمة هذه الطوائف ايضا ؟ ام انكم انما تخصون القاديانين وحدهم بمثل هذه المعاملةلحنق عليهم في صدوركم ؟ وأى جناية بعينها قد جناها القاديانيون تجعلكم تصرون هذا الاصرار الشديد على قطعهم عن الامة المسلمة وحدهم دون سائر الفرق والطوائف

وكذلك يقولون : ان الاقلية من شأنها هي أن تطالب بالانفصال . الا أنه من الغريب في هذه القضية أن الاغلبية

هي الي تلح على فصل الاقليـــة رغم اصرار الاقلية على التعايش مع الاغلبية

وقد انخدع آخرون بما يقوم به القاديانيون من دعوة الى الاسلام ، ولذلك فهم يقولون : ان القاديانيين ما زالوا منذ البداية يدافعون عن الاسلام ويردون هجمات المسيحيين ورجال حزب آريا وغيرهم ممن شنوا غاراتهم على الاسلام ، وهم يعملون ايضا على نشر الاسلام في جميع اقطار الارض ، فهل يجوز أن يعاملوا بمثل هذه المعاملة اليوم ؟

وسنتناول بالتحليل هذه الاعتراضات ، ونجيب عليها واحدة بعد لخرى :

١ — لاريب أن المسلمين مصابون بداء سيء شديد هو أنه ما زالت طوائفهم المختلفة يكفر بعضها بعضا ولا يزال بعضها فريسة لهذا الداء الى يومنا هذا . ولكن من الخطأ أن يكون ذلك حجة في دمج القاديانيين في المسلمين وجعلهم جزءا منهم وذلك لعدة اسباب .

اولا : لا يجوز أن تعرض بعض أمثلة سيئة لعملية التكفير ثم يحكم حكما قاطعابأن التكفير يكون دائماً عملا غير مقبول ولا ينبغي تكفير أحد من الناس على أي عمل من الاعمال .

والحق أنه اذا كان التكفير على الخلافات التافهة في

المسائل الفرعية شيئا غير مستحسن وعملا مستقبحا ، فكذلك ايضا من الخطأ الفادح عدم التكفير على الارتداد البواح عن المبادئ الاساسية للدين .

والذين يستنتجون من عملية التكفير الصادر من بعض العلماء بغير الحق أن كل نوع من التكفير غير مباح ، نسألهم هل يمكن أن يظل الشخص مسلما حتى ولو قام يدعي الألوهية أو النبوة أو ارتد عن عقائد الاسلام الاساسية ارتداداً واضحا صريحا ؟

ثانيا : ان فرق المسلمين وطوائفهم التي يقال عنها اليوم بأنها تكفر بعضها بعضا ، قد اجتمع علماؤها اخيرا في كراتشي واقروا بالاتفاق المبادىء الاساسية للدولة الاسلامية ، وواضح من أمرهم أنهم ما فعلوا كل ما فعلوه الا عن تسليم بأن كلا منهم يرى الآخر مسلما مثله . وأي شيء أدل على ما نقول من أنه لم يقل أحد منهم بخروج غيره من ربقة الاسلام بالرغم لما بينهم من خلاف .

فالخوف من أن يكون اخراج القاديانيين من دائرة الاسلام يفتح بابا لاخراج الطوائف المختلفة من الاسلام ليس الا خوفا وهميا مصطنعا .

ثالثا : أن تكفير الامة للقاديانيين ليس من نوع تكفير الطوائف المختلفة الأخرى بعضها بعضا ، فان القاديانيين قالوا بنبوة جديدة تعتبر جميع الذين آمنوا بها أمة خاصة

وتكفر جميع من لم يؤمن بها . ولذلك فان جميع القاديانيين يجمعون على تكفير المسلمين . كما أن المسلمين قد اجمعوا على تكفيرهم . ولذلك فانه من البديهي أن الخلاف بين المسلمين والقاديانيين خلاف اساسي لا يقاس ولا ينبغي أن يقاس ابدا على ما بين مختلف فرق المسلمين من خلافات في المسائل الفرعية .

٢ ـ ولا شك كذلك أن هناك بعض طوائف اخرى غير القاديانيين تخالف المسلمين في المبادىء الاساسية وقد قطعت عنهم روابطها الدينية والاجتماعية ونظمت كيانها تنظيما مستقلا عن المسلمين . ولكن أمر هذه الطوائف مختلف كل الاختلاف عن أمر القاديانيين من وجوه عديدة :

اولا : ان هذه الطوائف قد انفصلت تماما عن المسلمين وانعزلت عن صفوفهم كل الانعزال حيث اصبح مثلها كمثل صخور صغيرة متساقطة على جانب من الطريق لا يتعرض لها أحد ولا تتعرض هي لأحد ، فمن الممكن الصبر على وجودها . أما القاديانيون فهم يلجون في صفوف المسلمين كأنهم منهم وينشرون فكرتهم ويدعون الى طريقهم ومبادئهم ويناظرون الناس ويجادلونهم باسم الاسلام ويسعون سعيا متواصلا في تحطيم اجزاء الامة المسلمة وضمها الى مجتمعهم . وقد منى المسلمون بسببهم

بفتنة عظيمة من الاختلال والتفكك والفوضى . فلا يمكن أن نصبر على أمرهم كما نصبر على أمر الطوائف الاخرى .

ثانيا : إن مسألة اتباع هذه الطوائف انما هي مسألة فقهية : هل يمكن أن يعدوا لاجل عقائدهم الخاصة من أتباع الاسلام أم لا ؟ ونحن ان فرضنا انهم ليسوا من أتباع الاسلام مثلا ، فنظرا لركودهم وضآلة آثرهم فان وجودهم لا يضر المسلمين بشيء ، ولا يهدد إيمانهم بالخطر ، ولن تنشأ بسببهم مشكلات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية .

اما القاديانيون فما زالت دعوتهم الى فكرتهم وعقيدتهم بين المسلمين خطرا داهما على إيمان مئات الالوف من ضعاف الايمان من افراد الامة الاسلامية . هذا من جانب ومن جانب آخر فإن كل اسرة تنجح فيها دعوتهم ، لا تلبث ان تقع على الفور في مشكلة اجتماعية خطيرة ، فسرعان ما يتفرق المرء عن زوجه ، وينفصل الاب عن ابنه وتقوم العداوة بين الاخوين حتى لا يشتركا في الافراح والأتراح . مضافا الى ذلك تكتل القاديانيين وتواطوءهم ضد المسلمين في الدوائر الرسمية ومجالات التجارة والصناعة والزراعة وما الى ذلك من نواحي الحياة الاجتماعية الأمر الذي اثار الوانا من المشاكل بجانب المشكلة الاجتماعية .

ثم ان الطوائف الاخرى من غير القاديانيين ليس لها من ميول واتجاهات سياسية ما يمكن اعتباره خطرا على حياتنا

الاجتماعية بوجه من الوجوه . أما القاديانيون ، ففيهم ولا شك بعض نزعات وميول سياسية خطيرة لا يمكن الاغماض عنها بحال من الاحوال .

انهم ما زالوا منذ أول امرهم على يقين تا م من أن كل من يقوم بدعوى لنبوة جديدة — فردا كان أو جماعة — يصعب أن تزدهر دعوته وتصل الى غايتها في مجتمع مسلم حرّ مستقل .

وهم يعرفون أن الأمة الاسلامية تكره مثل هذه الدعاوى التي تفرق بين المؤمنين بها وغير المؤمنين بها تفريق الاسلام والكفر وتأتي بذلك على قواعد النظام الديني وتمزق شمل المجتمع المسلم .

وهم كذلك يعرفون تاريخ المسلمين ولا يخفى عليهم كيف عامل به المسلمون كل من قام فيهم بمثل هذه الدعاوى الباطلة منذ عهد الصحابة الى يومنا هذا .

وكذلك هم يدركون تماما أنه ما تسلم المسلمون بأنفسهم زمام السلطة والحكم في بلد من البلاد أو قطر من الاقطار الا وحرموا مثل هذه النبوات الجديدة الباطلة أن يكون لها وجود بينهم — ولا يرجى منهم أن يسمحوا بذلك ابدا في المستقبل .

وهم كذلك يعلمون علم اليقين انه لا يمكن لامرىء ان يجعل الحكومة مطمئنة الى ولائه واخلاصه وحبه لها ثم يقوم في دائرة الدين بما تسول له نفسه من الدعاوى ويبذر

في دين المسلمين ومجتمعهم ما يشاء من بذور الفتنة والشقاق والتفرقة، اللهم الا تحت ظل دولة غير اسلامية .

مازال القاديانيون على معرفة بكل ذلك منذ اول امرهم ولذلك ظلوا يؤثرون حكومة الكفر على حكومة الاسلام . وهم وإن جعلوا الأمة الاسلامية ميدان صيدهم الذي يقتنصون منه فرائسهم دائما لأنهم لا يدعون الناس الى فكرتهم ونحلتهم الا باسم الاسلام ولا يستعينون الا باسلحة الدين والشريعة ، الا أنه من مصلحتهم المؤكدة أن يظل نظـــام الكفر جاثما فوق صدور المسلمين ، غالبا على أمرهم ، لأنهم في ظـــل هذا النظام وحده يمكنهم أن ينالوا ثقته ويكتسبوا تقديره ويستظلوا بحمايته ، ثم يتمكنون في نفس الوقت مـــن التغلغل في صفوف المسلمين والعمل على بث التضليل والانحراف بينهم بكل حرية ووقاحة . اما الامة المسلمة الحرة المستقلة فهي في نظرهم ارض قاحلة جدباء لا يحبونها ولا يمكن ان يرضوا بها من قرارة انفسهم .

ويمكننا في هذا المقام ان نستشهد على ما نقول بعدد غير يسير من بيانات ميرزا غلام احمد نفسه وبيانات كثير من اتباعه ، ولكننا نكتفي هنا بسرد بعضها :

يقول الميرزا غلام احمد : «بل لقد بالغت هـــذه الحكومة (أي الحكومة البريطانية) في الاحسان الينا ولها علينا أياد بيضاء ، حتى اننا ان خرجنا من ههنا (اي من حدود هذه الدولة) لا يمكن ان نلتجيء الى مكة ولا الـــى

قسطنطنية . فكيف يمكن اذن أن يمر في خاطرنا شيء من سوء الظن بهذه الحكومة ؟ (١)

ويقول : « لا يمكنني أن احقق دعوتي كمال التحقيق في مكة ولا في المدينة ولا في الروم ولا في الشام ولا في فارس ولا في كابل ، ولكن تحت هذه الحكومة التي أدعو لها دائما بالازدهار والانتصار » (٢)

ويقول «فكروا قليلا ، أي ارض في الدنيا تؤويكم إن فارقتم ظل هذه الحكومة ؟ دلوني على حكومة واحدة تقبلكم في كنفها ؟ ان كل حكومة من الحكومات الاسلامية تعض عليكم الانامل من الغيظ وتتربص بكم الدوائر وتترقب الفرص لقتلكم ، لانكم قد اصبحتم في نظرها كفارا ومرتدين . فاعرفوا لهذه النعمة الالهية (نعمة وجود الحكومة البريطانية) قدرها واعلموا علم اليقين أن الله تعالى ما اقام الحكومة الانكليزية في البلاد الا لخيركم وصالحكم ، فان حلت بهذه الحكومة آفة من الآفات ، فستبيدكم هذه الآفة ايضا ..

واذا اردتم برهانا على ما اقول فاستظلوا بحكم غيرها ، وعندئذ ستعلمون ماذا سينزل بكم ، ان الحكومة البريطانية رحمة لكم وبركة عليكم ، وهي الحصن الذي اقامه الله لوقايتكم ، فقدروها حق التقدير من اعماق قلوبكم

---

(١) الملفوظات الأحمدية ج ١ ص ١٤٦ .

(٢) تبليغ الرسالة لميرزا غلام أحمد ج ٦ ص ٦٩

ومهجكم . والانكليز خير لكم ألف مرة من هؤلاء المسلمين الذين يخالفونكم ؛ لان الانكليز لا يريدون اذلالكم ولا يرون وجوب قتلكم ». [1]

ويقول : « ليس يخاف على الذين يدرسون تاريخ الأمم ما عاملت به الحكومة الفارسية الميرزا علي محمد باب مؤسس الفرقة البابية واتباعه المساكين فقد انزلت بهم الوانا من الشدائد . لا لشيء الا لمجرد الخلاف الديني كما لا يخفى على المطلعين على الحوادث الهامة في التاريخ ما عاملت به الحكومة التركية ، التي تعتبر دولة اوروبية ، بهاء الله مؤسس الفرقة البابية البهائية واتباعه بين عامي ١٨٦٣ — ١٨٩٣ فقد زجت بهم في غياهب سجون القسطنطينية اولا ثم في سجون ايدرانوفل ومكة . اننا لا نعرف في الدنيا الا ثلاث دول كبيرة [2] وقد اظهرت جميعها من العصبية الدينية وضيق النظر في عصر المدنية هذا ما يجعلنا نستيقن بأن حرية الاحمديين انما هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاج البريطاني . . فجميع الأحمديين المخلصين الذين يعتقدون الميرزا عليه السلام مرسلا من الله ويعتبرونه رجلا مقدسا يجب عليهم أن يوقنوا من اعماق قلوبهم من غير مجاملة ولا رياء بأن

---

(١) « نصيحة غالية للجماعة » للميرزا غلام أحمد وهي مندرجة في « تبليغ الرسالة » ج ١٠ ص ١٢٣٥

(٢) الأغلب أن المراد بهذه الدول هي الدول الإسلامية في ذلك الوقت وهي تركيا وفارس وأفغانستان .

الحكومة البريطانية انما هي فضل لهم من الله وظل من رحمته ، وان يعتقدوا اعتقادا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بأن حياة هذه الحكومة هي حياتهم . [1]

العبارات السابقة تشهد شهادة واضحة على ان تلك الشرذمة من دعاة النبوة المختلفة يدركون تمام الادراك ان عبودية الكفار التي هي اكبر مصيبة بالنسبة للمسلمين هي بالنسبة لهم الخير كله ففي ظلها يستطيعون أن يعملوا ما تسول لهم انفسهم من بذر بذور الشقاق في صفوف المسلمين ويفتعلون ما يعن لهم أن يفتعلوا من فتن النبوات الجديدة . واما إن قامت حكومة يحكم فيها المسلمون انفسهم بانفسهم بكل حرية واستقلال فإنها على رغم كونها رحمة بالنسبة للمسلين تصبح آفة بالنسبة للقاديانيين اذ ان المسلمين الاحرار لا يمكنهم ان يصبروا بحال من الاحوال على تخريب دينهم وغرس بذور الشقاق في مجتمعهم .

وأدهى من ذلك وأمر أن القاديانيين قد بدأ ينشأ فيهم بعد استقلال باكستان اتجاه جديد هو أن يؤسسوا في داخل هذه الدولة دويلة لأنفسهم . فما كادت تمضي على قيام باكستان سنة كاملة حتى القى الخليفة القادياني بشير الدين محمود أحمد خطبة في مدينة كوئتة في ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٨ نشرت في عدد الفضل الصادر في ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٨ . ومما جاء فيها :

---

(١) جريدة الفضل : العدد الصادر في ١٣ سبتمبر ١٩١٤ م

« اليكم مقاطعة بلوجستان البريطانية – التي هي جزء من بلوجستان الباكستانية الآن – عــدد سكانها نحو خمسمائة أو ستمائة ألف نسمة . وهذا العدد وإن كان أقل من عدد سكان المقاطعات الأخرى ولكن لهذه المقاطعة أهمية بالغة باعتبارها وحدة من وحدات البلاد . فكما أن الأفراد لهم قيمة في الدنيا كذلك لهذه الوحدة في كيان باكستان قيمتها – وإني لضارب لكم مثلا بالدستور الأمريكي فهناك تمثل كل ولاية في مجلس الشيوخ بعدد سواء من الأعضاء . ولا ينظر في ذلك إلى عدد سكان كل ولاية قلوا أم كثروا . فإذا أضفنا إلى بلوجستان البريطانية ولاية بلوجستان بكاملها لصار السكان قرابة المليون و هي تشكل أهمية كبرى لكونها وحدة من الوحدات . وإنكم لمدركون معي صعوبة تحويل سكان المقاطعات الكبيرة إلى أحمديين . ولكن ألاترون أنه من الممكن أن نحول سكان مقاطعة صغيرة كهذه إلى أحمديين . إننا إن أولينا تلك المقاطعة عنايتنا فمن الممكن أن ننشر لواء الأحمدية عليها ... إلا أن دعوتنا لن تنجح إلا إذا كانت قاعدتنا محكمة متينة فإن استحكمت القاعدة فإن دعوتنا ستأخذ في الإزدهار ، إذن فاحكموا قاعدتكم أولاً ... أقيموها في موضع من المواضع في البلاد ... فإن جعلنا سكان المقاطعة جميعاً أحمديين يكون في أيدينا مقاطعة يمكننا أن نقول عنها إنها مقاطعة أحمدية وذلك عمل يمكن أن يتم بسهولة »(١)

١ – بعد ذلك الكلام أريد ان أسأل الذين يريدون منا

(١) جريدة الفضل العدد الصادر في ١٣ أغسطس ١٩٤٨ م

ان نصبر على امر القاديانيين واعمالهم بحجة أن هناك في المسلمين طوائف اخرى : هل توجد مثل هذه النزعات والاتجاهات الخطيرة في طائفة من هذه الطوائف ؟ وهــل ترى احداها الحكم غير الاسلامي ملائما لدينها والحكم الاسلامي ضارا بها ؟ واذا قام الحكم الاسلامي في البلاد على الرغم من أنفسها تأججت نار الحسرة في صدور اهلها وبدأوا يفكرون في تأسيس دولة لانفسهم في داخل بلاد المسلمين ؟ فاذا لم تكن هناك من هذه الطوائف طائفــة هذا شأنها فلماذا يريدون منا أن نقيس عليهم القاديانيين ؟

وخذ الآن مسألة ثالثة وهي أن المطالبة بالانفصال إنما تصدر من الاقلية . اما إن جاءت الاغلبية الساحقة تقوم بهذه المطالبة فهذا امر مقلوب وغير معقول في الوقت ذاته .

ومن المعلوم ان الانسان لا يطالب بشيء ما لم تدفعه اليه حاجة ، وصحة طلبه لا بد ان تستند على صحة حاجته ومعقوليتها . وارتباط الاقلية القاديانية مع الاغلبية المسلمة لا يضر الا بالاخرى في هذه القضية، والأقلية الاحمدية تشكل انفصالا لتجني من وراء ذلك فوائد الانفصال في جانب ، وفي الجانب الآخر تجعل نفسها جزءا من الأغلبية الساحقة وتقطف ثمار الارتباط ايضا فلأجل ذلك قد اضطرت الاغلبية الى ان تطالب بفصل الاقلية الاحمدية من الناحية الدستورية فهي تقطع علاقاتها الدينية والاجتماعية مــع

المسلمين وتنظم افرادها تنظيما مستقلا عنهم ، وتحاربهم في كل مضما ر بخطة مدروسة في جانب ، وفي الجانب الآخر تندس في صفوف المسلمين كأنها منهم ، وتبث دعوتها بينهم . وتغرس بذور الشقاق والتفكك في المجتمع الاسلامي ، وتنال من الوظائف الحكومية نصيبا أوفر ، أضعافا مضاعفة من نصيبها المفروض أن تناله لو كانت من المسلمين . فمن الظاهر أن هذا الوضع لا يضر الا بالاغلبية . فليت شعري اي سبب معقول يقتضي (اذا كانت الاقلية لا تطالب بالانفصال بنفسها) أن يسمح لها بالجثوم فوق صدر الاغلبية أو تبقى في جسدها جرحا يقطر دما وترفض مطالبة الاغلبية بفصلها عنها .

إن دواعي الانفصال لم توجدها الاغلبية ، ولكن الاقلية هي التي اوجدتها بنفسها فهي التي انشأت مجتمعها مستقلا عن مجتمع المسلمين، وقطعت علاقاتها الدينية والاجتماعية بهم .فكان الاحرى بتلك الاقلية أن تقبل بهذا الانفصال الذي اختارته هي في واقع الأمر . فاذا كانت اليوم معرضة عن قبول الانفصال فالسؤال لا يتجه الا اليها . وعليها أن تسلط الاضواء على سبب هذا الاعراض .

لقد انعم الله عليكم بنعمة العقل والبصيرة فتبينوابأنفسكم لماذا هم معرضون عن قبول نتائج اعمالهم ؟ فان كانوا يريدون السوء والمكر والختل والغدر فمالكم يا من تدعون

تمثيل الاغلبية تتركونها تقع فريسة لمكر هذه الاقلية وغدرها ودسائسها ؟

ولنبحث الآن في المسألة الاخيرة وهي ان القاديانيين يدافعون عن الاسلام وينشرون دعوته فلا ينبغي أن يعاملوا بمثل هذه المعاملة ؟ .

والحق ان تلك دعوة فاسدة قد وقع المتعلمون الجدد عامة في مصيدتها وإنا نطلب اليهم أن يمعنوا النظر ويطيلوا التأمل فيما سنذكر لهم الآن من بيانات للميرزا غلام احمد نفسه ، فانها ستكشف لهم الغطاء عما كان يريد مؤسس هذه النحلة الجديدة من وراء نهوضه بالدعوة الى الاسلام والدفاع عنه :

كتب الميرزا في كتابه (ترياق القلوب : المطبوع في مطبعة ضياء الاسلام بقاديان في ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٠٢ الملحق رقم ٣ بعنوان « عريضة متواضعة الى جناب الحكومة السامية) : »

« لا ازال منذ عشرين عاما انشر بدافع من الحماسة القلبية كتبا باللغات الفارسية والعربية والانكليزية والاردية اكرر فيها مرة بعد مرة أن المسلمين من واجبهم الذي يكونون آثمين عند الله ان تركوه ، أن يكونوا أولياء مخلصين وفدائيين وفيين لهذه الحكومة ، ويكفوا ايديهم عن الجهاد ، ويتخلوا عن فكرة الانتظار للمهدي السفاح وما الى ذلك من الظنون الواهية التي لا يمكن ثبوتها من القرآن ابدا ، وأنهم

ان أبوا الاقلاع عن هذا الخطأ فمن واجبهم على الاقل ألا يكونوا كافرين لنعمة هذه الحكومة المحسنة وألا يكونوا آثمين عند الله بعدم الوفاء لها (١)

ثم ورد في هذه العريضة المتواضعة نفسها ما يلي :

« وها قد آن لي ان اقول لجناب حكومتي المحسنة بكل جرأة : ان هذه هي خدماتي التي قمت بها خلال العشرين سنة الماضية ولا يمكن ان تأتي اية اسرة اسلامية من أسر الهند البريطانية بما يضاهيها، ومن الظاهر ايضا ان المضي في تلقين الناس التعاليم المذكورة آنفا بكل تأكيد لمدة طويلة وهي عشرون عاما لا يمكن أن يتأتى من رجل منافق أو محب لذاته بل من رجل قلبه مشبع بالاخلاص الصادق لهذه الحكومة . نعم انا اقر باني اجادل رجال الديانات الاخرى بصدق نبيي ، وانشر كتب المجادلة ضد المبشرين المسيحيين والارساليات المسيحية . كما اقر بأنه لما قست كتابات المبشرين والارساليات المسيحية وتجاوزت حد الاعتدال ولاسيما ما نشر في « نورافشان » وهي جريدة مسيحية تصدر من مدينة لوديانة ، من كتابات مليئة بالخبث والبذاءة واستعمل هؤلاء المؤلفون في شأن نبينا صلى الله عليه وسلم ألفاظا سخيفة ركيكة — نعوذ بالله منها — مثل : أن هذا الرجل كان سارقا وناهبا وقاطعا للطرق وعاهرا ، ونشروا في مئات الصحف أن هذا الرجل كان مغرما ببنته غراما فيه

---

(١) ترياق القلوب ص ٣٠٧

سوء النية ، وكان مع ذلك كاذبا ، وكان النهب وسفك الدماء من شغله الشاغل » فلما رأيت هذه الكتب والجرائد خشيت في نفسي أن تؤثر هذه الكلمات في قلوب المسلمين وهم قوم سريعوا التهيج فيثوروا لذلك ، وكسرا لسورة المسلمين واطفاء لجذوة حماسهم رأيت بنيتي الصحيحة النزيهة أن من حسن السياسة للتخفيف من هذا السخط العام بأن اردّ على هذه الكتابات بشيء من الشدة حتى تنكسر سورة سريعي الغضب من الناس ولا يحدث شيء يخل بأمن البلاد . وللرد على الكتب من هذا النوع التي عظم فيهما فحش مؤلفيها الآنف كتبا قابلت فيها الشدة بمثلها لاني وجدت أن ذلك هو الطريق الوحيد لاطفاء جذوة الغيظ والغضب في نفوس المتحمسين من المسلمين . »[1]

ثم كتب بعد بضعة اسطر :

« فكل ما قد وقع مني ضد المبشرين المسيحيين لم يدفعني اليه الا رغبتي في أخذ المسلمين بالحكمة والسياسة ، وأن ادخل السرور على نفوسهم واميت ثورة نفوسهم المستوحشة . واني اقول مدّعيا : بانني اكثر المسلمين اخلاصا ومناصرة للحكومة البريطانية لان هناك ثلاثة امور قد جعلتني اسمو في اخلاصي لتلك الحكومة الى الدرجة الاولى ، واول تلك الامور نفوذ المغفور له والدي ،

---

(٢) ترياق القلوب ص ٣٠٨ و ٣٠٩

وثانيها ايادي هذه الحكومة السامية . وثالثها الالهام من الله تعالى »[1]

كذلك كتب الميرزا في ملحق كتابه شهادة القرآن « بعنوان » كلمة جديرة باستلفات انظار الحكومة :

« من ديني الذي انا ابديه للناس مرة بعد اخرى ان الاسلام منقسم الى قسمين : الاول ان نطيع الله تعالى ، الثاني ان نطيع الحكومة التي بسطت الامن واظلتنا بظلها وحمتنا من ايدي الظالمين . وهذه الحكومة هي الحكومة البريطانية »[2]

نص عريضة رفعها الميرزا غلام احمد الى « صاحب السمو قائمقام الحاكم دام مجده » التي قد اكد فيها الميرزا غلام احمد للحاكم اخلاص اسرته للحكومة البريطانية ، واشاد بما قامت به اسرته من الاعمال في سبيل خدمة تلك الحكومة . ونقل ما تلقى والده الميرزا غلام مرتضى خان من الرسائل من حاكم مديرية لاهـــور المعتمد المالي لمقاطعة بنجاب وغيرهما من الحكام الانكليز الآخرين الذين اعترفوا له فيها بالخدمات الجليلة التي تدل عـــلى الاخلاص والوفاء والحب والولاء للحكومة الانكليزية . وكذلك عدد له ما قام به اكابر اسرته الآخرون مـــن التضحيات والخدمات لهذه الحكومة المحسنة ، ثم كتب :

---

(١) ترياق القلوب ٣٠٩ و ٣١٠

(٢) شهادة القرآن : طبعة سادسة طبعت في مطبعة بنجاب بسيالكوت ص ٣ .

« ان العمل المهم الذي انا منصرف اليه بلساني وقلمي منذ اول عهدي بهذه الحياة الى هذا اليوم وانا ابن الستين هو ان اصرف قلوب المسلمين الى طريق الحب والولاء والاخلاص والوفاء الخالص الصادق للحكومة الانكليزية ، وازيل عن نفوس بعض سفهائهم الاوهام الخاطئة كالجهاد وغيره مما يصدهم عن صفاء القلوب ويصرفهم عن الصلات القائمة على الاخلاص » (١)

ثم كتب بعد قليل :

« واني لم اعمل على تعبئة قلوب مسلمي الهند البريطانية بالطاعة والولاء للحكومة البريطانية فحسب ، بل الفت كذلك كتبا كثيرة بالعربية والفارسية والاردية اطلعت فيها سكان البلاد الاسلامية الأخرى على ما نعمنا به من التمتع بالامن والسعادة والرفاهية والحرية في كنف الحكومة البريطانية وتحت ظلها الوارف » (٢)

ثم سجل قائمة طويلة لكتبه التي تشهد بخدماته الدالة على خالص الحب وعظيم الولاء فكتب :

« وعلى الحكومة ان تتحقق وتتبين من ان هؤلاء الالوف من المسلمين الذين كفروني واطالوا السنتهم

(١) تبليغ الرسالة ج ٧ ص ١٠ نسخة مطبوعة في مطبعة فاروق بقاديان في أغسطس ١٩٢٢ م

(٢) نفس المصدر ص ١٠

بالسب والشتم فيّ وفي رجال جماعتي وهم كثيرون ومنتشرون في بنجاب وفي سائر الهند ، والذين آلوا على انفسهم ان ينالونا بكل سوء ، ان السبب الحقيقي لكل ما فعلوه هو أني نشرت على الرغم من آرائهم آلافا مؤلفة من المطبوعات تفيض شكرا خالصا للحكومة وقد امليتها من قرارة نفسي وصميم روحي وقلبي وارسلت مثل هذه الكتب الى بلاد العرب والشام وغيرهما. أليست تلك الامور من الامور الثابتة الواضحة؟ واذا شرفتنا الحكومة السامية بعنايتها بي فاني سوف اقدم الشهادات الدالة على ذلك . واني لأقول بكل قوة واعلن للحكومة بكل تأكيد أن فرقتنا الجديدة هي في الدرجة الاولى من الولاء للحكومة ، وهي اكثر الفرق الاسلامية اخلاصا وحبا ووفاء واستعدادا للتضحية في سبيلها وليس في مبادئها ما يعد خطرا عليها بأي وجه من الوجوه » (١)

ثم كتب بعد قليل :

« واني لعلى يقين بأنه بقدر ما يكثر من اتباعي بقدر ما يقل المعتقدون بمسألة الجهاد المقدس، فان مجرد الايمان بي كالمسيح والمهدي هو انكار للجهاد » (٢)

ولنضرب الصفح قليلا عما إذا كان من الممكن ان

---

(١) المصدر السابق ص ١٠

(٢) المصدر السابق ص ١٧

تكون هذه العبارات وهذه اللغة لنبي من الانبياء ام لا ؟

والذي نريد ان نلفت اليه انظار القراء أن هذه هي الدواعي والبواعث التي اعلنها مؤسس هذه النحلة بنفسه وابتغاها من وراء قيامه بالدعوة الى الاسلام ونشر تعاليمه والدفاع عنه . فهل تبقى هذه « الخدمة للدين » حتى بعد كل هذا جديرة بالثناء مستحقة للتقدير والاجلال ؟ ولكنه إذا تعذر على أحد حتى بعد كل هذا ان يعرف حقيقة هذه الخدمة المزعومة للدين فسنطلب اليه أن يطيل النظر والتأمل فيما يلي من اعترافات القاديانيين أنفسهم :

يقول الميرزا بشير الدين محمود احمد الخليفة الثاني للميرزا غلام احمد :

« من المصادفة ان قد عثرنا أخيرا وبعد زمن طويل في احدى المكاتب على كتاب طبع قديما ثم نفدت نسخه واصبح من النوادر وصاحب هذا الكتاب هو مهندس ايطالي ظل يشغل منصبا كبيرا في افغانستان فقد جاء في كتابه أن المدعو صاحب زادة عبد اللطيف « القادياني » انما قتل في افغانستان لأنه كان يدعو الناس الى ترك الجهاد فأقض ذلك مضجع الحكومة الافغانية لانها خافت أن تسبب دعوته ضعفا في عاطفة الحرية بين الافغانيين وتسلط على رؤوسهم النفوذ الانكليزي ... ويثبت لنا من رواية ذلك الراوي الثقة أن الحكومة الافغانية لم تقدم على قتل ذلك القادياني الا لانه حرك لسانه داعيا الى معارضة

الجهاد وتركه »[1] .

وقد اصدر وزير خارجية حكومة افغانستان الاعلان التالي :

كان رجلان من اهل كابل : الملا عبد الحليم الجهار آسياني، والملاّ نور علي الحانوتي، قد اعتنقا العقائد القايانية واخــذا يضللان الناس بتلقينهم تلك العقيدة تحت ستار الاصلاح وقد رفع أمرهما الى المحكمة منذ زمن في قضية اخرى ، ووجدت عندهما رسائل من بعض الاجانب تثبت انهما قد تآمرا معهم ضد مصالح حكومة افغانستان ويظهر بوضوح من هذه الرسائل انهما كانا عميلين مرتزقين لاعداء افغانستان »[2]

ويقول احد دعاة القاديانية :

« اني كنت قد ذهبت الى روسيا للدعوة الى الاحمدية ولكنه لما كانت مصالح الاحمديين ومصالح الحكومة البريطانية متفقة مرتبطة بعضها ببعض فكنت كلما دعوت الناس الى فرقتي رأيت من الواجب على نفسي أن أقوم بخدمة الحكومة البريطانية ايضا »[3]

---

(١) من خطبة الجمعة لميرزا بشير الدين محمود أحمد ، المنشورة في جريدة الفضل الصادرة في ١٦ أغسطس سنة ١٩٣٥ م

(٢) جريدة الفضل الصادرة في ٣ مارس ١٩٢٥ م

(٣) تصريح محمد أمين الداعي القادياني المنشور في جريدة الفضل الصادرة في ٢٨ سبتمبر ١٩٢٢ م

يقول الخليفة القادياني :

« الدنيا تعتبرنا عملاء للانكليز .وعندما اشترك احد وزراء المانيا في افتتاح العمارة الاحمدية بألمانيا استجوبته حكومته : لماذا شاركت في مناسبة تخص جماعة هم عملاء للانكليز ؟ » [1]

يقول مسؤول قادياني :

« نرجو ان يتسع لناالميدان لنشر الاسلام مع اتساع الامبراطورية البريطانية ونتمكن من ادخال المسلمين في الاسلام من جديد مع جعل غير المسلمين مسلمين » [2]

وتقول جريدة الفضل القاديانية :

والواقع ان الحكومة البريطانية جنة لنا ولا تزال الجماعة الاحمدية تتقدم الى الامام تحت ظلها فاذا نحيتم هذه الجنة قليلا الى جانب فستعلمون كيف ينزل على رؤوسكم مطر مخيف من السهام المسمومة . فلماذا اذن لا نكون شاكرين لهذه الحكومة وقد اتحدت مصالحنا مع مصالحها ، وما هلاكها الا هلاكنا وما رقيها الا رقينا .

---

(١) من خطبة الخليفة القادياني ، المنشورة في جريدة الفضل الصادرة في أول نوفمبر ١٩٣٤ م

(٢) رأي مسؤول قادياني أعرب عنه بمناسبة جولة اللورد هاردنج بالعراق نشر في جريدة الفضل : العدد الصادر في ١١ فبراير سنة ١٩١٠ م

فحيثما تتسع رقعة هذه الحكومة يبرز لنا ميدان جديد من ميادين نشر الدعوة » [1]

ومما صرح به الخليفة القادياني ما يلي :

« وعلاقة الفرقة الاحمدية بالحكومة البريطانية ليست كعلاقات غيرها من الجماعات بها فان مقتضيات احوالنا تختلف عن غيرنا، فاننا نجد ان ما يفيد تلك الحكومة انما هو فائدة لنا فمع تقدم الحكومة البريطانية تسنح لنا الفرصة للتقدم الى الامام، واذا اصابها اذى — لا سمح الله — فلا عكننا أن نجتنبه ونعيش في امان » [2]

وها نحن قد اوضحنا لكم حقيقة الجماعة القاديانية وكشفنا الغطاء عن عقائدها واتجاهاتها واعمالها وسنبين لكم الآن تطور تلك الدعوة.

١ — مضى اكثر من نصف قرن كان المسلمون يعيشون فيه عيشة العبودية والذل في الحكم الانكليزي فقام في بنجاب رجل ادعى النبوة . فالامة التي قد جعلتها كلمة التوحيد والرسالة المحمدية امة واحدة ، ومجتمعاً واحداً ادعى فيها هذا الرجل فقال انه لا يكفي للناس ان ارادوا الاسلام ان يقتصروا على الايمان بالله الواحد وبرسالة

---

(١) جريدة الفضل : العدد الصادر في ١٩ أكتوبر ١٩١٥ م

(٢) تصريح الخليفة القادياني المنشور في جريدة الفضل : العدد الصادر في ٢٧ يوليو ١٩١٨ م

محمد صلى الله عليه وسلم ، بل لا بد لهم مع ذلك من أن يؤمنوا بنبوة ذلك المدعي وان كل من لم يؤمن به يعتبر كافرا خارجا عن حظيرة الاسلام .

٢ ــ وعلى هذا الادعاء كوّن ذلك الرجل ممن آمنوا به امة جديدة ومجتمعا مستقلا بنفسه فأصبح بينهم وبين المسلمين مثل ما بين المسلمين والهنادك والنصارى من الفرقة والتباعد في العقائد والاعمال . . واصبح القاديانيون لا يشاركون المسلمين لا في عقائدهم واعمالهم فحسب بل لا في آمالهم وآلامهم ولا فيما يربطونهم من روابط عائلية .

٣ ــ كان مؤسس هذه الامة الجديدة على شعور تام منذ اول أمره ان المجتمع المسلم لا يمكن ان يصبر عن طيب خاطر منه على هذه التفرقة وتشتت الكلمة، ولذلك اتخذ ذلك الرجل وعصابته طريق الولاء والاخلاص والمحبة والخدمة الاكيدة للحكومة الانكليزية . ولم يكن ذلك كسياسة عملية فحسب بل انهم احسوا ان مصلحتهم منوطة بسيطرة الكفر والباطل . فمن أجل ذلك ظلوا منذ اول عهدهم يتمنون للاستعباد الانكليزي الغلبة والانتشار والازدهار لا في بلاد الهند وحدها ، بل وفي سائر البلاد الاسلامية حتى يتمكنوا من نشر باطلهم ونفث سمومهم .

٤ ــ وبالتواطوء مع النفوذ الاجنبي خيبت هذه الجماعة جميع ما بذل المسلمون من الجهود في نصف

القرن الماضي لاخراجها من المجتمع الاسلامي كما أن الحكومة الانكليزية ابت الا ان تبقي هذه الطائفة الجديدة في عداد المسلمين ، مع انهم حرب عوان عليهم ومع ما هم عليه من خلاف متناه بينهم في كل الامور ، وقد اصيب المسلمون من ذلك بضرر مزدوج بينما ظفرت تلك الطائفة بالمنافع المزدوجة :

فقد ظلت الحكومة على الرغم من جهود العلماء تعمل على اقناع عامة المسلمين بأن القاديانيين ليسوا الا فرقة من فرق المسلمين انفسهم ، وان الطائفة القاديانية انما هي جزء من اجزاء المجتمع الاسلامي نفسه. الامر الذي سهل على القاديانيين نشر فكرتهم في المسلمين . فكان المسلم لا يساوره الخوف حين اعتناقه الدعوة القاديانية أن يطرد من مجتمع ويلتجىء الى المجتمع المسلم حين يعتنق القاديانية لا يتصور أنه بذلك قد خرج من الأمة الاسلامية وعقائدها ، مما سهل للقاديانية اكتساب أرض جديدة في صفوف المسلمين فكثر عددهم والحقوا بالمسلمين الضرر الكبير ؛ لأن مجتمعا جديدا يخالفهم كل المخالفة ما زال ينمو ويتفشى كالسرطان في ظل مجتمعهم الاسلامي .

ولما كانت الفتنة القاديانية قد رفعت رأسها في ارض البنجاب فقد اصيبت من ضرباتها وويلاتها وهزاتها بما لم تصب به ارض غيرها ولذلك كان طبيعيا أن يكون اهلها اكثر المسلمين غيظا واشدهم حنقا على هذه الفتنة .

ولقد نالت تلك الفرقة الحظوة لدى الحكومة الانكليزية فكانت تظفر بنصيب الاسد مــن المناصب في الجيش والشرطة والمحاكم وسائر دوائر الحكومة . والعجيب انها نالت كل ذلك من المناصب التي كانت الحكومة قد خصصتها للمسلمين من الوظائف لان الحكومة تعدها من الفرق الاسلامية . وفي الوقت نفسه ظلت الحكومة تعمل على إقناع المسلمين بأن هذه المناصب لا ينالها الا المسلمون انفسهم وبمثل هذه المعاملة عومل المسلمون في النواحي الاخرى الاقتصادية كالتجارة والصناعة والزراعة .

ـ البيان الأول

الحق ان بدء الخلاف القائم اليوم بين المسلمين والقاديانيين يرجع الى اوائل هذا القرن العشرين . والميرزا غلام احمد القادياني وان قام وظل يقوم بمختلف الدعاوي الى نهاية القرن التاسع عشر ، وان كان حدث في المسلمين قلق لاجل هذه الدعاوي، الا انه ما كان قد جاء الى ذلك الحين بدعوى قاطعة صريحة . وفي سنة ١٩٠٢ جاء بدعواه القاطعة الصريحة للنبوة ، ومن ثم قام نزاع شديد متواصل بين المؤمنين به وبين عامة المسلمين .

١ ـ دعوة النبوة الجديد هي الاساس للخلاف :

وسبب هذا النزاع ان النبوة هي احدى مسائل الاسلام الاساسية ومن الواجب على كل فرد من افراد المسلمين اذا قام فيهم رجل يدعي النبوة أن يقطع برأيه اما بالايمان بهذا المدعي به . أوالكفر به فالذين يؤمنون به يصبحون امة واحدة ويعتقدون كفر جميع من لم يؤمن بنبيهم هذا . وكذلك

يصبح الذين لا يؤمنون بهذا النبى امة مستقلة عن الطائفة المتقدمة الذكر ويعتقدون طبعا كفر كل من آمن بهذا النبى المستحدث . ومن اجل هذا ما زال المؤمنون بالميرزا وغير المؤمنين به يتقاطعون فيما بينهم منذ ظهور الميرزا بدعوى النبوة . وقد كفّر الميرزا نفسه وكذلك أتباعه وخلفاؤه من بعده علنا في خطبهم وكتاباتهم جميع المسلمين الذين ما آمنوا به . وكذلك ما زالت فرق المسلمين كلها تكفر الميرزا وأتباعه من اول امرهم .

٢ ــ الأسباب الاساسية الثلاثة للنزاع :

وهناك ثلاثة امور ظلت تزيد هذا النزاع حدة وتنفخ في ناره يوما فيوما :

أ : نشاط أتباع هذه النحلة الجديدة ، وتحمسهم للدعوة الى فكرتهم ومثابرتهم على المجادلة والمناظرة مما جعل كل رجل منهم يحدث صراعا عنيفا في بيته ووسطه الذي يعيش فيه .

ب : كون معظم هذا النشاط والمجادلات والمناظرات موجها لأحداث خلاف بين المسلمين مما جعل المسلمين يثورون عليهم وعلى دعوتهم في أغلب الاحيان .

ج : قيامهم بالدعوة الى فكرتهم ونحلتهم الجديدة باسم الاسلام مع بقائهم في مجتمع المسلمين كأنهم جزء

منه فيدخل في دينهم ضعاف الايمان قليلو المعرفة من افراد المسلمين ظنا منهم انهم لا يخرجون بذلك من الأمة الاسلامية ويدخلون في امة غيرها ، مما يثير الغضب والحنق في قلوب المسلمين اكثر مما اذا وجدوا رجلا يرتد عن دينهم على يد رجل من اليهود أو النصارى ، فان دعوته لا توهم رجلا من المسلمين انه لا يزال في عداد المسلمين مع خروجه من جماعتهم وانفصاله عنها ومخالفته لها .

٣ – ليست القاديانية بمفسدة دينية فحسب بل معضلة اجتماعية مرة ايضاً :

ما كان هذا النزاع في بدء امره الا نزاعا دينيا فحسب ولكن سرعان ما انقلب الى معضلة اجتماعية عنيفة مؤلمة . وذلك ان الميرزا وخلفاءه كلهم افتوا بأنه لا ينبغي ان يكون بين الاحمديين – ويريدون انفسهم – وغير الاحمديين من العلاقة الا مثل ما يكون بين المسلمين واليهود والنصارى : اى انه لا يجوز لاحمدي ان يزوج بنته برجل من المسلمين وان كان له ان يتزوج من بنته . ولا يحل له ان يصلي خلف رجل من غير الاحمديين أو يصلي على جنازة موتاهم . من نتيجته اللازمة أن قابلهم المسلمون بمثله . حتى نشأت بين المسلمين والقاديانيين حالة المقاطعة الاجتماعية . وما كانت الفرقة التي نشأت بين المسلمين والقاديانيين بهذه المقاطعة بفرقة موقتة ارتجالية . بل كانت فرقة ما زالت تتوسع وتتأكد

مع مرور الأيام . لأن القاديانية كانت حركة قائمة على مبادىء تخالف تمام المخالفة ما عليه المسلمون وكانت لا تزال تحدث الشقاق في أسر المسلمين برد فرد من أفرادها عن الاسلام وإدخاله في دينها . فما دخلت القاديانية بيتاً أو أسرة أو قرية أو حياً أو مجتمعاً من المجتمعات متبنّية المقاطعة الاجتماعية إلا بذرت فيها بذور الشقاق والمشاحنة والتباغض . ومن الممكن لكم أن تقدروا ما أحدثت القاديانية من المشاكسات والتطاحنات في المجتمع الاسلامي. من أن الرجال وزوجاتهم يعتقدون حرمة بعضهم على بعض أو يشكون على الأقل في إباحة ما بينهم من صلة الزوجية ، وانقطع الأخ عن الصلاة على جنازة أخيه إذا مات ، وبدأ الأب يعامل ابنه والابن أباه معاملة الكفار . وانقطعت علاقات الزواج والمصاهرة في الأسرة الواحدة .

ما زالت هذه المشاكسات تزداد شدة وغلظة خلال الخمسين سنة الماضية مع انتشار القاديانية وتقدمها ، وقد واجهت بنجاب هذه الفتنة وابتليت بويلاتها اكثر من اي ارض اخرى لأن سمومها سرت الى الوف من الاسر فيها .

٤ ــ الصراع الاقتصادي :

ما كاد يمضي الا مدة يسيرة من الزمن حتى امتد نزاع المسلمين والقاديانيين هذا الى ميدان الاقتصاد ايضا . وكان يوجد في القاديانيين ميل شديد الى التكتل منذ اول

امرهم، لاجل ما كان بينهم وبين المسلمين من نزاع ديني واجتماعي ، ولاجل ما كانوا عليه بطبيعة الحال من نشاط دائب في دعوتهم الجديدة . فنظموا انفسهم وبدأوا يؤثرون القاديانيين على غير القاديانيين حيثما حصلوا على السلطة في دوائر الحكومة، يتعاونون في ما بينهم على التقدم في كل شعبة من شعب الاقتصاد . وذلك مما زاد العلاقة بين المسلمين والقاديانيين سوءا فوق سوئها ، ولا يخفى على احد ما ظلت عليه الطائفتان من صراع عنيف ونضال متواصل في الوظائف الحكومية بصفة خاصة . وزادت الطين بلة محسوبية القاديانيين وتعبئة مختلف دوائر الحكومة باقربائهم وذويهم . وقد ابتليت بنجاب بهذه الفتنة وذاقت من وبالها اكثر مما ذاقته اي بلاد غيرها ، لان اكثر القاديانيين يسكنون في هذه المقاطعة ، والصراع قائم فيها بين المسلمين والقاديانيين ، منذ اول الامر في حقول الزراعة والتجارة والصناعة والحرفة والوظائف الحكومية . ولا ينبغي ان يغيب عن البال بهذا الصدد ان هذا النزاع من نوع ذلك النزاع الذي فرق من قبل بين المسلمين والهنادك وبلغ بهم الى الحد الاقصى من التباغض والمعاداة .

٥ — القاديانية منظمة تحدث الفساد والدمار في المجتمع :

من الطبيعي أن يظهر الصراع السياسي بين طائفتين كانوا كانعكاس للصراع في مجالات الدين والاجتماع والاقتصاد،

ولكن هذا الصراع السياسي بـــين المسلمين والقاديانيين له اسباب اخرى اكثر عمقا من كل ذلك .

لقد كان الميرزا غلام احمد واتباعه على شعور تام منذ بداية امرهم بان هذه النبوة الجديدة التي قاموا بدعواها بين المسلمين ، لا بد أن تحدث في المجتمع المسلم شقاقـــاجديدا من جهة الايمان والكفر . وكذلك ما كان يخفى عليهم ان المسلمين لم يصبروا يوما من ايام تاريخهم على قوة تحدث فيهم التفرقة ولم يسمحوا لها بان ترفع رأسهـــا في مجتمعهم منذ عهد الخليفة الاول ابي بكر الصديق الى عهد العثمانيين ، فجعلوا — اي القاديانيون — الاخلاص والولاء للحكومـــة الانكليزية جزءا من ايمانهم منذ بداية حركتهم ، واعتقدوا — لا بألسنتهم فحسب بل بكل اخلاص من اعماق صدورهم — ان بقاءهم وازدهارهم وتقدمهم وفلاحهم انما يتوقف على بقاء حكومة غير مسلمة وامتداد ظلها الوارف .

الخطة التي وضعها الميرزا غلام احمد لنجاحه وأعلنها أكثر من مرة هو وجميع الكتاب والمؤلفين والخطباء الكبار من جماعته في كتاباتهم وخطبهم المتعددة، هي ان يبقى المسلمون مغلوبين على امرهم وأن يكون زمام السلطة والحكم في يد غير المسلمين حتى يتمتع القاديانيون بتأييد هؤلاء الحكام غير المسلمين وحمايتهم ومناصرتهم مقابل أن يخلصوا لهم الود والوفاء وأن يعملوا على تقوية حكومتهم ودعم قواعدها مما يتيح لهم الفرصة للتأثير

في المسلمين المغلوبين على امرهم وايقاعهم في حبائلهم ودجلهم .

وان الانكليز انفسهم لم يتبهوا الى منهج القاديانيين السياسي هذا ولم يتفطنوا له على الوجه التام في بدء امرهم ، فبذل القاديانيون محاولات عظيمة متتابعة لاقناع الانكليز بما لهم في قيام جماعتهم وبقائها وتطورها من المنافع . ثم لما تنبهت الحكومة الانكليزية وجدت فيهم اخلص عنصر جدير بالثقة من عناصر رعيتهم المسلمة كلها ، فاستخدمتهم لاغراضها الاستعمارية في داخل الهند وخارجها .

ثم لما اشتد الصراع القومي في الهند بين المسلمين والهنادك ، اصبح زعماء المؤتمر الهندي الوطني (Indian Naticnal Congress) القوميون ايضا يشعرون بما في القاديانيةمن مواطن الامل ، وذلك مما يرجع الى زهاء سنة ١٩٣٠ الميلادية حينما جرت المناقشة عن القاديانيين بين العلامة اقبال وبين زعيم هندوسي – الباندت نهرو رئيس وزراء الهند الاحل – وحينما اعلن زعيم هندوسي آخر ان القاديانيين هم احب عنصر من المسلمين الينا على حسب نظريتنا لان نبيهم وطني ولان اماكنهم المقدسة كلها في هذا الوطن نفسه . وجملة القول ان موقف القاديانيين السياسي له نوعية خاصة تجعل غير المسلمين ينظرون اليه دائما نظرة ملؤها الحذر والخوف ، فقد ظل المسلمون عامة يرون منذ اول امرهم ان العنصر الذي يكون اداة طيعة في ايدي اعداء الاسلام

لتخريب حصن الاسلام من داخله هو الطائفة القاديانية . والذي اكد هذا الرأى واحكمه في قلوب عامة المسلمين هو انه لما استولى الانكليز على بغداد وبيت المقدس وقسطنطنية بعد الحرب العالمية الاولى ، ما فرحت بذلك طائفة من طوائف المسلمين الا القاديانيين ، فقد زينوا بيوتهم بالانوار واقاموا الافراح وحفلات الابتهاج ، بل قال خليفة القاديانيين بصراحة « ان رقينا وتقدمنا متوقف على رقي الحكومة الانكليزية وتقدمها ، فحيثما اتسعت رقعتها ، تيسر لنا ميدان جديد للدعوة » . فكيف يمكن ان يقال بعد كل هذا ان سوء ظن المسلمين بالقاديانيين هو من غير سبب ولا مبرر .

٦ ـ كتابات القاديانيين المثيرة لعواطف المسلمين :

وهذه المشاحنات التي قامت بين المسلمين والقاديانيين بسبب تكفيرهم المسلمين ومقاطعتهم الاجتماعية ومقاومتهم لهم في الميدان الاقتصادي ، زادتها شدة وعنفا كتابات الميرزا غلام احمد واتباعه ، التي كانت اشد ما تكون تهييجا لمشاعر المسلمين واحاسيسهم وايلاما لقلوبهم . وفيما يلي اذكر من هذه الكتابات على سبيل المثال لتنظر فيها المحكمة وتقدر صعوبة تحملها من قبل فرد من افراد المسلمين :

« قد قال المسيح الموعود في نشرة عنوانها « ازالة الخطأ » ان المراد بمحمد في الهام « محمد رسول الله والذين معه اشداء

على الكفار رحماء بينهم » هو انا ،وانا الذي قيل فيه « محمد رسول الله » في هذه الآية [١] .

« فالنبوة الظلية ما اخرت قدم المسيح الموعود بل قدمتها تقديما حتى اقامته في جنب النبى الكريم » [٢] .

« ظهرت له — اي للنبى صلى الله عليه وسلم — علامة خسوف القمر وظهرت لي علامة خسوف القمر وكسوف الشمس ، فهل تبقى جاحدا ؟ » [٣]

« ها قد نزل محمد فينا مرة اخرى وهو اعلى شأنا وارفع مكانة من ذي قبل ، فكل من اراد ان يرى محمدا ، فلير غلام احمد في قاديان » [٤] .

« وشتان ما بيني وبين حسينكم — واني قتيل الحب لكن حسينكم قتيل العداء فالفرق أجلى وأظهر » [٥] .

« دعوا ذكر ابن مريم فان غلام احمد أعلى منه » [٦] .

« ما كان في يد يسوع غير المكر والخديعة ، ثم الويل لهؤلاء النصارى السفهاء الذين يتخذون مثل هذا الرجل

---

(١) « الفضل » جريدة القاديانيين الرسمية عددها الصادر في ١٥ يوليو ١٩٥١م

(٢) كلمة الفصل لبشير أحمد القادياني بمجلة دراسة الديانات ج ١٢ رقم ٣ ص ١١٣

(٣) الاعجاز الأحمدي للميرزا غلام أحمد القادياني ص ٧١

(٤) القاضي محمد ظهور الدين أكمل القادياني ، المنقول من عدد جريدة « بيغام صلح » (رسالة السلام) بلاهور الصادر في ١٤ مارس ١٩١٤

(٥) نزول المسيح للميرزا غلام أحمد ص ٨١

(٦) دافع البلاء ص ٢٠

الـ ّنها . وايضا كانت اسرته طاهرة مطهرة – يريد اللمز به والطعن فيه – : كانت ثلاث من جداته للاب وللأم بغايا عاهرات وهن اللاتي تكوّن من دمائهن » [1] .

« كل رجل لا يبتغي ولا يدخل في الجماعة الذين بايعوني ويصر على مخالفتي ، فهو مخالف لله ولرسوله وهو من اصحاب النار » [2] .

« وكل من لم يقل بانتصارنا ، يفهم من امره انه يحب ان يكون ولد الحرام » [3] .

« قد آمن بي وصدق بدعوتي المسلمون جميعا الا اولاد البغايا والفساق » [4] .

« كل من خالفني فهو نصراني يهودي مشرك من اصحاب النار » [5] .

« ان اعداءنا خنازير الصحاري وان نساءهم اسوأ من الكلبات » [6] .

---

(1) نور القرآن ج ٧ ص ١٢ و ذيل : مصير آتم ص ٧
(2) الهام الميرزا : تبليغ الرسالة ج ٩ ص ٢٧ .
(3) أنوار الاسلام ص ٣٠
(4) آئينة كمالات « مرآة الكرامات » ص ٥٤٧
(5) نزول المسيح ص ٤ و التذكرة ص ٢٢٧ ، تحفة كولرويه ص ٣١ تبليغ الرسالة ج ٩ ص ٣٧
(6) نجم الهدى ص ١٠ والدر الثمين ص ٢٩٤

٧ ـ مطالبة العلامة محمد إقبال :

فلم تزل العوامل تعمل عملها منذ منتصف القرن الماضي . وكانت قد جعلت القاديانية في بنجاب خاصة مسألة شاغلة بالنسبة للمسلمين ، وهي وان لم تكن مسألة ذات بال عظيم في حد ذاتها ، ولكن كانت مُرة اشد المرارة من حيث شعور الناس وعواطفهم ، وقد كان مئات الالوف من المسلمين يحسون بمرارتها في المدن والقرى على حد سواء . لا شك ان هذه المرارة ما اصبحت قبل الآن باعثة على اضطراب عظيم ، ولكنها ما انفكت خلال الثلاثين أو الاربعين سنة الماضية تحدث مشاجرات مستمرة في المسلمين واسرهم وحاراتهم وقراهم ومدنهم وقد رفع امرها مرارا الى المحاكم في صورة القضايا المدنية والجنائية . واذا صح القول بان طبقات المسلمين العليا المترفة ما ساهمت في هذه المسألة ولم تعرها اهتماما فانه لا ريب ان طبقات المسلمين المتوسطة والعامة ما زالت ولا تزال منذ امد بعيد على امنية شاملة ورغبة شديدة في فصل القاديانيين عن الامة المسلمة وجعلهم في عداد الاقليات غير المسلمة حتى لا يتاح لهم أن يقتحموا مجتمع المسلمين ليغرسوا بذور الشقاق في صفوفهم ويفرقوا شملهم . ورغبة المسلمين وامنيتهم العريضة هذه مثلها العلامة محمد اقبال رحمه الله احسن تمثيل في رسالته الشهيرة « الاسلام والاحمدية »

(ISLAM AND AHMADISM) وجاء يعضدها بدلائل قوية وحجج مفحمة .

رجاء المسلمين في تحقيق مطالبهم من حكومتهم القومية :

وقلما كان المسلمون في العهد الانكليزي يأملون ان تحظا مساعيهم بالنجاح فيما يتعلق بفصل القاديانيين عنهم . فانه لا يكاد يرجى من امة اجنبية بطبيعة الحال ان تهتم بمسألة من مسائل المسلمين الاجتماعية وتتجشم فهمها ثم توجد لها حلا بجد واخلاص وعطف على المسلمين . وكذلك كان المسلمون يشعرون كل الشعور ان الانكليز انفسهم يريدون عمدا ان يبقى القاديانيون منضمين الى صفوف المسلمين حتى يتاح لهم عند الحاجة ان يستخدموهم بكل سهولة ضد مصلحة المسلمين . ولكن لما قامت باكستان هذه الدولة المستقلة . عقد المسلمون طبعا آمالهم على حكومتهم القومية ان تهتم اهتماما بالغا بالمسألة القاديانية التي لا تزال منذ الخمسين سنة الماضية تغرس بذور الشقاق وتشجع عناصر التفرقة في صفوفهم والتي قد نشأ لاجلها في امتهم عنصران متضاربان في ما بينهما من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ثم ما زال هذا الرجاء يقوى مع ما ازداد من عمر باكستان ثم تحول بالتدرج الى اليأس والقلق والشكوى . وفي سنتي ١٩٥٠ و ١٩٥١ قمت

بجولات في اكثر مدن بنجاب وقراها فما زرت في هذه الجولات مدينة من المدن أو قرية من القرى الا وقد القى فيها الناس عليّ الاسئلة عن القاديانيين . فمنذ ذاك الوقت نفسه ادركت ان المسألة التي تجيش بها صدور المسلمين ، ستحدث قلقا شديدا في البلاد يوما من الايام ان لم يعمل على ايجاد حلها .

٩ ـ استفحال المسألة القاديانية بعد قيام باكستان :

وقد ظهر ولا يزال يظهر من القاديانيين بين آونة واخرى امور قد زادت من قلق المسلمين وجعلتهم يحسون بان المسألة القاديانية لا يزال يتضاعف خطرها عليهم وقد اصبحت اكثر ضررا لدينهم وامتهم منها في العهد الانكليزي واريد ان الفت نظر المحكمة الى خمسة امـــور بارزة اثيرت من قبل القاديانيين اذا تجاوزنا عن الامور الهينة :

اولا : صرح الميرزا بشير الدين محمود احمد في خطبة له القاها في كوئتة في ٢٢ يناير سنة ١٩٤٨ بانهم يريدون ان يحولوا بلوجستان الى منطقة قاديانية حتى يتمكنوا مـــن اتخاذها قاعدة (Base) للاستيلاء على باكستان كلهـــا . وهذه الخطبة نشرت في جريدة « الفضل » في عددها الصادر في ١٣ اغسطس سنة ١٩٤٨ . والميرزا ما ابدى هذه الرغبة كرغبة ارتجالية . بل انه ما زال يعلنها ويكررها . فقد أكدها

في خطبته الاخرى المنشورة في عدد «الفضل» الصادر في ٥ يوليو سنة ١٩٥٠ ايضا .فالظاهر ان هذا المشروع مدبر وما زال يتبلور ويقوى في اذهانهم .

ثانيا : للميرزا بشير الدين محمود احمد مشروع آخر أعلنه مرارا، وهو اقحـام القاديانيين في مختلف مصالح الحكومة ودوائرها وفقاً لخطةمنظمة مدبرة لهذا الغرض،حتى يتمكنوا من استخدام الجهاز الحكومي في مصلحة الجماعة القاديانية باستيلائهم على المناصب الحكومية الهامة . واقتصر في هذا المقام على سرد العبارة الآتية من خطبة لخليفتهم وهي اكبر شاهد على ما اقول :

فان كانت فروع الجماعة ــ الجماعة القاديانية ــ في المقاطعات تريد توجيه شبانها الى اكتساب الدنيا . فلتوجههم اليها بطريقة تستفيد منها الجماعة ويكونون لها قوة وشوكة . فلا يرضيني ما عليه الوضع الآن ، فان الشبان اتجهوا الى التقليد في هذا الشأن ، فيهرعون الى مصلحة بعينها . مع ان هناك مصالح كثيرة يمكن للجماعة ان تجعلها وسيلة لنيل حقوقها ودفع الشر عن نفسها . وما دام رجالنا لا يوجدون في المصالح كلها ، فلا يمكن للجماعة ان تنتفع بهم حق الانتفاع . ومن المصالح المهمة الجيش والشرطة والادارة الحكومية والسكة الحديدية والمالية والجمرك والهندسة . وكلهـا من الدوائر المهمة التي يمكن للجماعة ان تجعلها وسيلة للمحافظة على نفسها . ان شبابنا يدخلون بكثرة هائلة في الجيش ،

اكثر من نسبتنا في المصالح الاخرى . فهكذا لا نكاد نؤدي واجبنا نحو المحافظة على حقوقنا . اما المصالح الاخرى فخالية من شبابنا . نعم ، لكم ان توجهوا اولادكم الى الوظائف الرسمية ، ولكن مالكم لا تجعلون مصلحة الجماعة نصب اعينكم في توجيههم ... وعلينا ان نضع في هذا الشأن مشروعا خاصا ثم نعمل على مقتضاه »[١] .

ثالثا : ما زال الخليفة بعد قيام باكستان يحرض اتباعه على مقاومة العدو ويحاول ان ينشيء فيهم الروح العسكرية وعلى سبيل المثال اذكر للمحكمة النبذة التالية من احدى خطبه :

« يفزع الناس (اي اتباع القاديانية) أنهم يخالفون ، ويتذمر الناس أنهم يعادون . ويقلق الناس انهم يؤذون . ولكن اذا لم يكن السبب لهذا الايذاء والسب والشتم غير انهم يرون انفسهم فريستنا فلا ينبغي لنا ان نفزع أو يأخذنا شيء من الهم والقلق ، بل علينا بالفرح والسرور ، فانه لا سبب لذلك الا لأن العدو يشعر انه اذا نشأت فينا حركة جديدة ابتلعنا دينه ابتلاعا »[٢] .

لا حاجة الى بيان ان المراد « بالناس » في هذه العبارة هم القاديانيون و« بالعدو » المسلمون .فالميرزا يعد المسلمين « فريسة جماعته » ويبدي غبطته بأنهم يعتبرون حركتها

---

(١) جريدة الفضل : العدد الصادر في ١١ يناير ١٩٥٢ م

(٢) الفضل : العدد الصادر في ١٦ يوليو ١٩٤٩ م

خطرا مهددا لدينهم . ومثل هذه الخطب المحرضة على مقاومة العدو ومحاربته نشرت ايضا في اعداد الفضل » الصادرة في ٥ يوليو سنة ١٩٥٠ و٧ مايو ١٩٥١م .

رابعا : ما اظهر القاديانيون نياتهم العدوانية وميولهم المخيفة هذه بأقوالهم المحرضة على المقاومة فحسب ، بل انهم ما زالوا يفرغونها في قوالب اعمالهم وتدابيرهم ايضا ، وما زالت اخبارها تنتشر في المسلمين وتحدث فيهم اضطرابا عاما وقلقا هائلا . ومن الامثلة لذلك تأليف كتيبة تضم الجنود القاديانيين وتسمى بكتيبة الفرقان « في الجيش » ، وسيطرة القاديانيين على مصانع متعددة لصناعة الاسلحة . وكونهم متمتعين بتصريح الحكومية باستعمـــال الاسلحة . وقد حاول القاديانيون انفسهم تخويف المسلمين وارهابهم بنشر هذه الامور في اوساطهم .

خامسا : قد بدأ الميرزا بشير الدين محمود احمد وكثير غيره من رجال الجماعة القاديانية يتهددون المسلمين علنا منذ اوائل سنة١٩٥٣وظلت لهجتهم قسوة وحدة يوما بعد يوم. وعلى سبيل المثال اذكر للمحكمة طرفا من عباراته : يقول : سيكتب لنا الفوز والنصر ولتعرضُنَّ علينا كالمجرمين فـــلا تكون عاقبتكم الا مثل ما كانت عاقبة ابى جهل وحزبه يوم فتح مكة » (١) .

ويقول « لا تمضين عليكم سنة ١٩٥٣ قبل أن يشعر

(١) عدد الفضل الصادر في ٣ يناير سنة ١٩٥٣

العدو بقوة الاحمديـــة ويستيقن ان الاحمديـــة لا يمكن محوها وانه لا محيص له عن الانضواء تحت لوائها والالتجـــاء الى حصنها [1] .

ويقول « نعم ، قد حان لنا ان نأخذ ثأر علمائنا الصادقين الذين ما زال هؤلاء الملاؤون [2] الظلمة السفاكو ن للدماء يغرون بهم الاوغاد . فسنأخذ ثأرهم جميعا :

١ ــ من عطاء الله شاه البخاري

٢ ــ ومن الملا البدايوني

٣ ــ ومن الملا احتشام الحق

٤ ــ ومن الملا محمد شفيع

٥ ــ ومن خامس الخمسة الملا المودودي [3] .

١٠ ــ التقليد الشنيع للحكومات الثورية :

هذا هو العامل التاريخي الذي ظل يعمل وراءالاحوال الحاضرة الا انه من دأب الحكومات الثورية التي تقوم على وسائل الارهاب والتنكيل أنه كلما قامت في البلاد حركة شعبية تعارض سياسة الحكومة تتهمها بخيانة الوطن وعمالة القوى الاجنبية .

---

(١) عدد الفضل الصادر في ١٦ يناير سنة ١٩٥٣

(٢) كلمة يستعملها القاديانيون لعلماء المسلمين الراسخين في العلم والدين ازدراء لهم واستخفافاً بشأنهم .

(٣) عدد الفضل الصادر في ١٥ يوليو سنة ١٩٥٣ م

البيان الثاني

لقد قرأت في الجرائد تقارير الشهادات التي قد استمعت اليها محكمة التحقيق منذ اوائل شهر سبتمبر الماضي ، فرأيت كثيرا من الامور والمسائل عرضت فيها على المحكمة معلوما ت خاطئة او ناقصة . فارى واجبا على نفسي ان ازود المحكمة – حسب ما ينتهي اليه علمي – بالمعلومات الصحيحة واساعدها على التوصل الى النتائج الصحيحة في هذه القضية . فالشعور بهذا الواجب هو الذي حملني على ان ابعث اليكم ببيان في اواخر شهر يوليو الماضي ١٩٥٣م . وقياما بهذا الواجب نفسه استأذنكم اليوم في ان اعرض عليكم هذا البيان الثاني .

١ – المسائل المتعلقة بالقاديانيين :

ان ما قام به جمهور المسلمين من المطالب عن القاديانيين – كمطالبتهم باعتبار القاديانيين اقلية منفصلة عن المسلمين في دستور باكستان الجديد ومطالبتهم بان

يفصل ظفر الله خان عن منصب وزارة الخارجية وان ينحي القاديانيون عن المناصب الرئيسية في دواوين الحكومة ومصالحها ـ قد اثيرت فيها في المحكمة اسئلة متعددة . ولكن من دواعي الأسف انه لم يأت عليها احد من الشهود بالاجوبة المصيبة .

١ : مطالب المسلمين حول القاديانيين دينية وسياسية في الوقت نفسه :

قد تساءلت المحكمة مرة بعد مرة عن هذه المطالب : هل هي دينية أو سياسية ؟ وقد اجاب عليها معظم الشهود بأنها مطالب دينية .والحق انه لا يصح هذا السؤال كما لا يصح هذا الجواب الذي اجيب به .

لا شك ان النزاع الذي قام المسلمون بتلك المطالب لاجل حله ، كان مصدره في بادىء الامر اختلافا دينيا لا غير ، الا أن التطور الذي طرأ عليه خلال الخمسين سنة الماضية لم يتركه يبقى نزاعا دينيا فحسب ، بل جعله كذلك قائما في كل من نواحي الاجتماع والسياسة والاقتصاد . وان مسألة من المسائل دينية كانت في اصلها ام خلقية اذا جاءت تخلق في المجتمع ضروبا من المفاسد والمشاكل ، فلا بد أن يوجد حلها بوسائل الدستور والقانون والتدابير الادارية ، ولا يثار النقاش عند ذلك في ان هذه المسألة التي هي دينية أو خلقية ، لماذا يطالب بحلها بالوسائل السياسية . الحق ان ما آل اليه امر النزاع الديني بين القاديانيين وجمهور

المسلمين في هذه البلاد.يتلخص في أنه قد تألفت في المجتمع الاسلامي طائفة مستقلة منظمة تختلف عن المسلمين في العقيدة ، وتقاطعهم في الشؤون الاجتماعية وتعمل – بالطرق المدروسة – على مقاومتهم في حقل الاقتصاد ، ولم تزل تسعى ضد مصالحهم في ميدان السياسة – ومع ذلك وفي الوقت نفسه لا تزال مندمجة فيهم وتستكثر عددها بالدعوة والتبليغ وتزيد المجتمع الاسلامي تشتتا وفوضى داخلية على مر الايام . زد على ذلك كله تلك المخاوف والاخطار التي لا تزال تقلق بال المسلمين وتهددهم من جهة كثرة رجال هذه الطائفة بصورة هائلة في الوظائف الرسمية ومن جهة خططها السياسية التي قد اعلنتها مرةبعد اخرى لاتخاذ مقاطعة (بلوجستان) قاعدة لنفسها ثم الانطلاق منها في ربوع باكستان والاستيلاء على القطر بأجمعه . فيا ليت شعري بأي وجه يمكن ان تعتبر هذه المسألة مسألة دينية فحسب ، وما حيلة من اراد ان ان يوجد لها حلا الا ان يستخدم الوسائل الدستورية والقانونيةوالسياسية. هل نسي الناس ان النزاع الذي قام في العهد الاخير بين المسلمين والهنادك في القطر الهندي المتحد كان في اصله نزاعا دينيا ، ولكن ما قدمه المسلمون من المطالب المختلفة لاجل حله – من مطالبتهم بالانتخابات المستقلة الى مطالبتهم بتقسيم البلاد – كانت كلها ولا شك من النوع السياسي .

ب ــ الاختلافات بين المسلمين والقاديانيين أساسية :

وقد اكثرت المحكمة من السؤال حول الخلاف الواقع بين علماء المسلمين وفرقهم المختلفة ، قياسا منها على النزاع القائم بين المسلمين والقاديانين على ذلك الاختلاف . ولكن الحق ان ذلك خطأ منها وخلطا للحابل بالنابل ، اذ لا وجه للتشابه والمجانسة بين هذين النوعين انه من الواقع الاليم ان علماء بعض الفرق الاسلامية قد كفروا الفرق الاخرى وعلماءها وجاوزوا في فتاواهم حدود الحق والعدل ، الا ان الحق الذي لا يكابر فيه مع ذلك ان المسائل التي كانت مبحث ذلك النزاع ومدعاة تكفير الفرق الاسلامية بعضها بعضا . كانت لا تعدو ان تكون من باب الاختلاف في تفسير بعض المسائل الدينية الفرعية . ولهذا السبب لم تعط الامة المسلمة ــ من حيث هي الأمة ــ الأهمية لفتاواهم التكفيرية ، بل كرهها واستهجنها دائما اهل التقوى والورع من العلماء ، ولم تجتمع كلمة المسلمين قط على اخراج احد من المسلمين او فريق منهم من الامة بل بقي اهل مختلف الفرق من المسلمين يجتمعون في الصلوات ويشاركون في الجنائز ويتزاوجون في ما بينهم . وبين ايدينا آلاف من امثلة التزاوج بين الشيعة واهل السنة . وفوق ذلك كله يشهد الواقع بانه كلما عرضت مسألة من المسائل القومية المهمة ،

بذل المسلمون جميعا جهودا موحدة في سبيلها وظلت مصلحتهم القومية واحدة وعواطفهم القومية واغراضهم السياسية مشتركة . وبالعكس من ذلك فان الخلاف الذي يوجد بين القاديانيين والمسلمين خلاف جوهري ومبدئي .فمن كان يعرف الاسلام ادنى معرفة ، لم يكن ليجهل ان عقيدة النبوة من عقائد الاسلام الاساسية ، وأن ايمان الناس بدعوى من دعاوى النبوة وتكذيبهم بها مما يميز بعضهم عن بعض ويفرق بينهم من حيث الكفر والايمان . ولذلك لما قام الميرزا غلام احمد يدعي النبوة ، نشأ بين المؤمنين بدعواه والمنكرين لها من الخلاف والنزاع ما لم ينشأ قط في ما بين الفرق الاسلامية . فاجمع المسلمون من جميع الفرق على تكفير القاديانيين وجاء القاديانيون ، من الجانب الآخر ، يكفرون جميع من لم يؤمن بنبيهم . ومما يميز هذا التكفير عن تكفير الطوائف الاسلامية بعضها لبعض انه فصل القاديانيين من المسلمين فعلا ،فحصل الافتراق والانشطار بينهم في جميع شؤون الحياة من اجتماع عادي الى عبادة دينية ، واختلفت مصالحهم القومية ومطامحهم السياسية . ثم جاوز الامر حدود الافتراق والانفصال وآل الى النزاع الحاد والخصام العنيف . فانى يمكن اذن ان يصرف النظر عن هذا الفرق الواضح الجلي ؟ وكيف يجوز ان يحكم على الخلاف القائم بين القاديانيين والمسلمين حكم الخلافات الواقعة في ما بين الفرق الاسلامية .

وهب انه يقضي في الامر بموجبه على رغم كل ذلك ، فهل من الممكن ان ينحسم بذلك فعلا هذا النزاع الذي قد شمل ألوفا من العائلات في القرى والمدن وآلافا مؤلفة من الافراد في المكاتب والاسواق .

ج : لا حاجة إلى المطالبة بجعل جميع المارقين من المسلمين أقلية غير مسلمة :

ومما اثير البحث حوله في المحكمة مرة بعد مرة : أنه هل يطالب جمهور المسلمين في جميع من يتبعون نظرية شاذة عن نظريتهم في مسائل الدين الاساسية (كمنكري السنة ومن على شاكلتهم مثلا) كمطالبتهم في امر القاديانيين بان يجعلوا اقلية غير مسلمة ؟ وجوابنا على هذا السؤال وجهان : وجه مبدئي والآخر عملي وواقعي .

فاما الوجه المبدئي ، فهو : فيما يتعلق من ناحية التفسير والاجتهاد والاستنباط جاء الاسلام يتسع كل الاتساع لاصحاب المذاهب ووجهات النظر المختلفة ، وان اكبر خطأ في مثل هذه الامور يعتبر ضلالا ولا شك ، ولكن لا يجوز ان يحكم عليه حكم المروق من الدين . وبخلاف ذلك اذا ما جاء احد يغير في امور الاسلام الاساسية ويبدلها على وجه لا يتسع له الدين ولا يسمح به ، فلا شك ان عمله ذلك يعد خروجا من الاسلام كائنا من كان .

اما القول من جهة الواقع والعمل ، فهو أن هناك فرقا

كبيرا بين ان ينحرف رجل أو افراد مشتتون عن جادة الدين وبين أن ينحرف عنها طائفة تتواطوء فيما بينها داخل المجتمع الاسلامي، وتتحزب ثم تستكثر عددها بدعوتها المستمرة وتحارب المسلمين في ميادين السياسة والاقتصاد . وهذا المروق الجماعي قد تجرع المسلمون مرارته مدة الخمسين سنة الماضية . فاذا حملهم اليوم ذلك على ان يقوموا ببعض المطالب ضده ، فكيف يجوز أن يقاس امرهم على امثلة النوع الاول من الانحراف ؟ أليس من الواضح البين ان معاملة المسلمين الجماعية للمارقين أو المنحرفين من النوع الاول كانت ولا تزال مختلفة اختلافا صريحا عن معاملتهم للمنحرفين من النوع الثاني ؟ ومتى قام المسلمون يطالبون بجعل جميع اهل الضلال والانحراف من المسلمين في عداد الاقليات غير المسلمة ؟

د ـ أسباب مطالبة المسلمين بعزل ظفر الله خان عن منصب وزارة الخارجية :

اما مطالبة المسلمين بعزل ظفر الله خان من الوزارة فليست مبنية على مجرد انه لا يجوزان يتولى احد من غير المسلمين منصب الوزارة في دولة اسلامية ، بل منشأها ايضا ان هذا الرجل قد استغل مكانته الرسمية السامية استغلالا محرما في تقوية الحركة القاديانية قبل انقسام القطر الهندي ، ولم يزل يستغلها كذلك بمزيد من الوقاحة بعد قيام باكستان

ولاجل هذا فقد اصبح بقاؤه في كرسي الحكم والسلطة مبعث شكوى المسلمين بصورة دائمة. ويقال ردا ردا على هذه المطالبة: انه لو عزل ظفر الله خان عن وزارته، لما نالت باكستان من الدولة الامير كية حبة من القمح. فاقول: ان صح ما تزعمون فالامر ادهى وأمر. فان معناه البين ان امير كا قد سلطت عميلا من عملائها المقربين على خارجية دولتنا واشترت منا استقلالنا في السياسة الخارجية بمليون طن من القمح ارادت ان تنعم بها علينا، فيجب علينا اذن ان نطالب بعزله لا لأجل التخلص من الحركة القاديانية فحسب، بل لأجل التخلص من عبوديتنا السياسية لامير كا. اذ هي اشد وانكى. واقول ذلك على افتراض أن الحكومة الامريكية قد صرحت بذلك الى الحكومة الباكستانية علنا أو كناية، الا اني لا اكاد اوقن ان احدا من الساسة الامير كيين قد يبلغ به الحمق والسفاهة بحيث يؤثر ولاء رجل واحد على ولاء سبعين مليونا[1] من اهالي باكستان. ويجعل ذلك العرض الودي الذي قيمته ثمانون واربعمائة مليون روبية تخلق في قلوب الشعب الباكستاني شبهات حول سياسة امريكا دولة وشعبا بدلا من ان يكتسب بها شكرهم وامتنانهم.

---

(1) هذا العدد كان في سنة ١٩٥٣. وبموجب الاحصائيات الأخيرة زاد هذا العدد إلى مائة مليون.

هـ ـ المراد بالمناصب الرئيسية والأدلة على المطالبة بفصل القاديانيين عن الأمة :

وكذلك ان مطالبة الجمهور بطرد القاديانيين من المناصب الرئيسية في الحكومة ليست مبنية على مجرد انه لا يمكن أن يتولى غير المسلمين المناصب الرئيسية في الدولة الاسلامية ، بل قد قدمت هذه المطالبة بناء على ما يأتي من الامور :

اولا : ان هذه الفرقة القاديانية القليلة العدد قد استبدت من الوظائف الرسمية بما يزيد زيادة فاحشة على نسبتها في سكان البلاد وقد تهيأ لها ذلك بفضل ما تمتعت به هذه الطائفة من رعاية الانكليز البالغة ، وعطفهم الخصوصي عليها في ما مضى ، ثم بفضل غفلة الحكام الباكستانيين وضعف شعورهم في عهد الاستقلال .

ثانيا : ان كل من ارتفع من رجال هذه الطائفة الى منصب عال في الحكومة ، لا يألو جهدا في تعبئة الادارة الحكومية الواقعة تحت تصرفه ورئاسته برجال طائفتــه .

ثالثا : ان زعيم هذه الطائفة الميرزا بشير الدين محمود احمد قد اوصى اتباعه علنا بان يحتالوا للتطرق الى جميع اقسام الحكومة بالخطط المرسومة والطرق المدبرة .

رابعا : ان رجال هذه الطائفة من ذوي النفوذ والسلطة

في الحكومة كثيرا ما كانوا يدعون الناس الى فكرتهم تحت إغراء عرض الوظائف في دائرة نفوذهم على كل من يعتنق فكرتهم .

خامسا : انه قد بلغ من طموحهم وجرأتهم أخيرا أن اصبحوا يحلمون بالاستيلاء على مقاليد الحكومة الباكستانية عن هذا الطريق .

فنظرا الى هذه الحال المروعة قد قام الجمهور يطالبون بعزل القاديانيين عن مناصب الحكومة الرئيسية . وليس المراد بالمناصب الرئيسية في سياق هذه المطالبة ما يراد بها في النظرية الاسلامية القائلة بان لا يتولى غير المسلمين المناصب الرئيسية بل المراد من المنصب الرئيسي في مطالبة الجمهور هذه كل منصب خطير يسهل لرجل من الطائفة القاديانية اذا تولاه ان يمتع طائفته بالمنافع غير المشروعة التي مر ذكرها آنفا . والحق ان الذي احدثته هذه الطائفة من الوضع المؤلم بسلوكها واعمالها ، اذا تأمله المرء بعين الانصاف ، فانه لا بد ان يشعر بان تلك المطالبة اقل بكثير مما تقتضيه الحاجة في حقيقة الأمر ، وانه من حق الجمهور ان يضيفوا الى مطالبتهم هذه أن يمنع القاديانيون من التوظف في جميع اقسام الحكومة لمدة العشر سنين الآتية ، حتى تتساوى كفتا الميزان وينعدم ما يوجد الآن من عدم التوازن بين القاديانيين والمسلمين في المصالح الرسمية .

لقد ظهر القاديانيون أمام المحكمة بمظهر غير حقيقي :

ومما ابدي امام المحكمة من الآراء : ان البيان الذي قدمه المحامي بالنيابة عن رئيس الجماعة الاحمدية — والمراد بها الجماعة القاديانية — جوابا على اسئلة المحكمة السبعة ، يزول به كل ما بين المسلمين والقاديانيين من الخلاف . وإني قد قرأت هذا البيان بكل التأمل والامعان . فالذي استقر عليه رأيي بعد كل ذلك هو ان هذا البيان لا يغني شيئا في تغيير الحال بل الأمر ان جميع اسباب النزاع والخلاف التي كانت مبعث الاضطراب الى الآن ، لا تزال باقية كما هي . لقد حاول القاديانيون في هذا البيان بكل لباقة ودهاء ان يسدلوا على موقفهم الحقيقي سترا من التأويل والتدليس ويعرضوا على المحكمة بدلا منه موقفا متصنعا قاصدين بذلك ان يخدعوا المحكمة حتى لا يأتي تقريرها بشأنهم الا وفق ما تشتهيه أنفسهم وان يتمكنوا مع ذلك من البقاء على ما هم عليه الان لا يتزحزحون عنه قيد انملة . وان كل من اتيحت له قراءة عباراتهم السابقة وكان يعرف — ولو أدنى معرفة — سيرتهم وديدنهم الذي ظلوا عليه الى الآن ، يدرك انهم قد بدلوا موقفهم في هذا البيان وحولوه الى ما يشابه موقف طائفة الاحمديين اللاهوريين ، ولكنهم لا يصرحون بانهم تنازلو عن موقفهم الحقيقي رفعا للنزاع القائم بينهم وبين المسلمين ، بل يحاولون ان يخيلوا الى المحكمة كأن هذا الموقف المعدل كان ولا يزال

موقفهم الحقيقي منذ بداية الأمر والحق انه كذب محض وتدليس بيّن ومعناه الصريح انهم يؤكدون بذلك موقفهم السابق ويريدون البقاء عليه في المستقبل ، وانما قد اتخذوا في اثناء هذا التحقيق موقفا موقتا يلائم مقتضى الظروف الحاضرة وسيزول مع انقضاء مدة التحقيق . وان تدليسهم هذا تتجلى حقيقته كالشمس اذا استعرضنا بيانهم استعراضا دقيقا بالتفصيل :

أ — كانت المحكمة سألتهم : هل الذين لا يؤمنون من المسلمين بنبوة الميرزا غلام احمد مؤمنون ومسلمون ؟ فأجاب القاديانيون : (لا يقال لاحد أنه غير مسلم لأنه لا يؤمن بمؤسس السلسلة الاحمدية) ولكنهم لم يلبثوا ان تذكروا أن كتاباتهم السابقة قد جاءت معاكسة لهذا الجواب ومخالفة اياه كل الخلاف . فجاؤوا يؤولونها حسب ما يأتي :

« وقد يحاول محاول ان يسيء ظن الناس بنا بالاستشهاد ببعض كتاباتنا السابقة فنريد ان نصرح في هذا الصدد أن المصطلحات المستعملة في تلك الكتابات . مصطلحات خاصة لجماعتنا لم نستعملها بمعانيها العامة الشائعة بين المسلمين . لاننا لم ننشر هذه الكتب في هذه المسألة مخاطبين غير الاحمديين . بل كان خطابنا في جميع تلك الكتابات موجها الى قسم من جماعتنا ولم يكن من اللازم ان نراعي فيها ما شاع بين سائر المسلمين من المصطلحات » .

ويتضح من هذه العبارة انهم لا ينفون كتاباتهم السابقة

بل يؤكدون عليها ويريدون ان يقنعوا المحكمة بان مفهومها لا يخالف جوابهم المذكور آنفا . وهيا بنا نستعرض كتابتين اثنتين من كتاباتهم السابقة :

١ – ان جميع المسلمين الذين لم يبايعوا المسيح الموعود ، وان كانوا لم يسمعوا باسمه ، كافرون وخارجون عن دائرة الاسلام (١)

٢ – « كل من يؤمن بموسى ولا يؤمن بعيسى ولا يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم) أو يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ولا يؤمن بالمسيح الموعود ، فانه ليس بكافر فحسب ، بل هو كافر عنيد غارق في الكفر وخارج عن دائرة الاسلام » (٢) .

فيبدو عيانا للناظر في هاتين العبارتين انه لمجرد الانكار لنبوة الميرزا غلام احمد ، اعتبر جميع المسلمين كافرين بل غارقين في الكفر وخارجين عن دائرة الاسلام . أمن المحتمل ان كل هذه الالفاظ الثلاثة مصطلحات خاصة بالقاديانيين ولا تشمل مفهوما يكون شائعا بين المسلمين على العموم .وما اسخف تأويل مثل هذه الكتابات ، باننا قد كنا كتبناها مخاطبين لقسم من جماعتنا (اي الاحمديين اللاهوريين) . فمن منا لا يعلم أن النزاع الذي حصل بين الاحمديين

(١) مرآة الصديق ، تأليف الميرزا بشير الدين محمود أحمد ص ٢٥
(٢) كلمة الفصل تأليف الصاحبزادة بشير أحمد القادياني ص ١٠٠

القاديانيين واللاهوريين في مدة الخمس والثلاثين سنة الماضية لم يكن الا على أن القاديانيين كانوا يعدون جميع من لا يؤمن بنبوة الميرزا من المسلمين ، كافرين وخارجين عن دائرة الاسلام ، وكان اللاهوريون يخطئون عقيدتهم تلك ويخالفونهم . واذا لم يكن المراد بكلمات (الكافر) و (الخارج عن دائرة الاسلام) في تلك المناقشة ما هو شائع بين عامة المسلمين ، فما كان اذن مبعث ذلك النزاع ؟

ب – وكانت المحكمة سألتهم ثانيا : « ان من لا يؤمنون بنبوة الميرزا فهل هو كافر ؟ » فأجاب عليه محامي رئيس الجماعة الاحمدية بربوة بما يأتي :

« معنى (الكافر) في اللغة العربية : من ينكر ولا يؤمن . ومن ثم كل من لا يؤمن بشيء ، فلا بد ان يقال له (كافر) في اللغة العربية . وما دام احد يقول : انه لا يؤمن بالشيء الفلاني ، فانه يعد كافرا بذلك الشيء » .

وقد حاول القاديانيون ان يغالطوا المحكمة بهذه العبارة انهم يعتبرون المنكرين لنبيهم الميرزا غلام كافرين بالمعنى اللغوي لا باعتبار المصطلح الاسلامي ، ولكن الحق انه خداع سافر وحيلة واضحة . فان العبارتين اللتين قد نقلناهما عن الميرزا بشير الدين محمود احمد والصاحب زادة بشير احمد قد فسرت فيها كلمة (الكافر) بما يتلوها من كلمة (الخارج عن دائرة الاسلام) ويزيد في تفسيرها ما يأتي من عبارات الزعيمين المذكورين :

« يجب علينا ان لا نعد غير الاحمديين مسلمين ولا ان نصلي خلفهم ، فانهم- على حسب عقيدتنا - منكرون لنبي من انبياء الله »[1]

« الآن وقد تبين انه لا نجاة الا بالايمان بالمسيح الموعود ، فلماذا يحاول بعضنا اثبات أن غير الاحمديين مسلمون »[2].

وما دامت هذه العبارات بين يدي المرء فاني له ان يقتنع بان القاديانيين يعتبرون المسلمين المكذبين بالميرزا : كافرين بمعنى كونهم منكرين له . ثم ما هو اخدع من ذلك في بياناتهم هذا قولهم :

« نعتقد انه لا يكون كفر الناس بمأمور من الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم مرادفا لكونهم قد كفروا بالله وبالنبي صلى الله عليه وسلم ، فخرجوا من الامة المحمدية او اخرجوا من مجتمع المسلمين ».

فقد استعملت الكلمات المرسومة في هذه العبارة بغاية من المكر والدهاء ، وذلك انه لم ينف فيها كون المسلمين خارجين من دائرة الاسلام . بل قد اقر بكونهم داخلين في الامة المحمدية ، كما ان مؤمنا بعيسى عليه السلام يعد من الامة المسيحية وان كان مكذبا بنبينا صلى الله عليه وسلم ، وكما ان مؤمنا بموسى عليه السلام يعد من الامة الموسوية وان كان لا يدين بعيسى عليه السلام . ولكن مثل هذا الرجل لن يعد

(١) أنوار الخلافة ص ٩٠

(١) كلمة الفصل ص ١٤٨

داخلاً في دائرة الاسلام . كذلك ان القاديانيين يجعلــون المسلمين المكذبين بنبيهم الميرزا داخلين في الأمة المحمديـة لانهم ليسوا بالمكذبين بالنبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم يعدونهم خارجين من دائرة الاسلام في كل حال ، فان انكار المرء لنبى واحد من انبياء الله يكفي لان يخرج مــن حظيرة الاسلام . ولا ريب ان الميرزا عند هذه الطائفة نبي مبعــوث من عند الله . ثم انهم لا يقولون في الجملة الثانية : ان غــير الاحمديين غير خارجين من دائرة الاسلام ، بل يتفضلون فيكتفون بقولهم : انهم لم يخرجوا من مجتمع المسلمين ،ومن البديهي ان مجتمع المسلمين ليس بيدهم حتى يخرجوامنه مــن شاؤوا .

(ج) وسألتهم المحكمة ثالثا : وما هي نتائج هذا الكفر في هذه الدنيا والآخرة ؟ فيجيب عليه محامي رئيس الجماعــة الاحمدية بربوة بما يأتي :

« ليس هناك جزاء معين في الدنيا لمثل هذا الكافر ، وله في الدولة الاسلامية من الحقوق ما هو للمسلم . وكذلك له في الشؤون الاجتماعية العامة من الحقوق ما هو لسائر المسلمين ، غير انه لا يجوز ان يكون رئيسا للحكومة الاسلامية الخالصة اما نتائج كفره في الدار الآخرة ، فالله وحده عليم بحقيقتها » .

وهنا مرة اخرى قد ادلى الى المحكمة بمعلومات خاطئة البتة . فان الكفر الذي يحكم به القاديانيون على المسلمين ، قد

بين نتائجه الدنيوية : الصاحب زاده بشير أحمد في مايأتي :

« إن حضرة المسيح ما أباح من المعاملة غير الاحمديين الا بما عامل به النبى الكريم النصارى . وقد فرق بيننا وبين غير الاحمديين في الصلاة ، وحرم علينا ان نزوجهم بناتنا ، ونهينا عن الصلاة على موتاهم ، فأي شيء قد بقي الآن نشاركهم فيه . ان العلاقة بين الناس علاقتان : علاقة دينية وعلاقة دنيوية . فأكبر وسيلة من وسائل العلاقة الدينية هي الاشتراك في العبادة .واهم وسيلة من وسائل العلاقة الدنيوية هي التزاوج . وقد حرمت علينا كلتا هاتين الوسيلتين .فان قلتم انه يجوز الزواج من بناتهم . قلت كما يجوز الزواج من بنات النصارى »[1] .

وأما نتائج هذا الكفر في الدار الآخرة ، فانها حسب ما ألهم به الميرزا غلام أحمد كما يأتي :

« كل من يتبعك ولا يدخل في بيعتك ويظل عاصيا لأمرك ، فانه عاص لله ولرسوله وصائر الى جهنم »[2].

ومما لا يصعب فهمه على احد انه لا يمكن أن يكون بيان المحامي الذي اضطر الى الإدلاء به في هذه المحكمة بصفته نائبا عن رئيس الجماعة الاحمدية ومحاميا له ارجح عند القاديانيين من إلهام الميرزا نفسه . وكذلك ان الوجه الذي ذهب

---

(١) كلمة الفصل ص ٧٩

(٢) تبليغ الرسالة ج ٩ ص ٣٧

اليه في تأويل اقوال الميرزا رجل من أهل بيته لا شك انه أقوى واجدر بالاعتماد عليه من بيان المحامي .

(د) وكان مما سألتهم المحكمة : : هل كان الميرزا يوحى اليه كما كان يوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم بنفس الواسطة التي كان يوحي به اليه ؟ وقد اعترفوا في جوابهم بأن الميرزا كان يأتيه الوحي . وأيضاً قالوا مع ذلك إن هذا الوحي كان أقل درجة وأحط شأناً من الوحي الذي كان ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم » . ولكن الحق انه ليس هذا بالجواب الصحيح على سؤال المحكمة ، فإنه قد اخفى في مطاويه ان وحي الميرزا — حسب العقيدة القاديانية — هو في نوعيته كوحي النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن منزلة الجاحد به كمنزلة الجاحد بالقرآن ، وهذا ما بينه الميرزا غلام احمد نفسه في ما يأتي من اشعاره بعد ترجمتها الى العربية :

ان الذي اسمعه من وحي الله
والله اني اعلم انه منزه
واني اعلم انه منزه من الخطأ كالقرآن
والله هذا هو ايماني
والله ان هذا الكلام مجيد قد نطق به
لسان الله السبوح الوحيد
وإن ثقتي به لا تقل عن ثقة عيسى
بما انزل عليه وعن ثقة كليم الله بالتوراة

وعن ثقة سيد السادات بما اوحي اليه

ولست بأقل من احدهم من حيث اليقين[1]

(هـ) وكان مما سألتهم المحكمة : « هل في مذهب الاحمديين ما ينهاهم عن الصلاة على موتى ألذين لا يؤمنون بالميرزا ؟ فأقرو في جوابهم « بأنه قد ظلت جماعته متفقة الى هذا اليوم على عدم الصلاة على موتى الذين ليسوامن الجماعة » . ثم أضافو إلى جوابهم بعد ذلك انهم قد عثروا أخيرا على كتابة للميرزا تفيد بأنه لا بأس في الصلاة على من لم يكن مكفرا لمؤسس السلسلة الاحمدية أو مكذبا به » . ولكن المرء اذا تأمل الكلمات المرسومة ، تبين له ان ذلك لا يغير شيئاً من موقفهم السابق ، فإنه من الظاهر أن الميرزا قد ادعى النبوة ، فالمرء في شأنه بين أمرين : إما أن يصدق بدعواه أو يكفر بها . وليس بين هذين الموقفين – موقف التصديق والكفر – موقف آخر متباين . فمن كفر بدعوى الميرزا فإنه لا ينجو من ان يكون مكذبا به وان لم يكن مكفراً إياه . فبذلك لا يتغير موقف القاديانيين في الصلاة على موتى غير الاحمديين . بل يظل فعلا على ما لم يزل اليه الى الآن . وليكن مفهوماً أنه إذا ادعى النبوة مدع ، فإن المكذب به لا يكون من يعتبر ذلك المدعي كاذبا بالصراحة فحسب ، بل المكذب به هو ايضا من يكفر بدعواه ولا يؤمن بها .

---

(١) الدر الثمين للميرزا غلام أحمد ص ٢٨٧ ونزول المسيح وديوان الشعر للميرزا ص ٩٩

(و) وقد سألتهم المحكمة بعد ذلك : هل يجوز التزاوج بين الأحمدي وغير الأحمدي، وهل في مذهبهم ما يمنع من هذا التزاوج ؟ » وقد أجاب عليه محاميهم « إنه لا مانع من تزوج الرجل الأحمدي من امرأة غير أحمدية ، ولكن قد ورد النهي عن تزوج الرجل غير الأحمدي من امرأة أحمدية ... وقد كان المقصود بهذا النهي حفظ الفتيات الأحمديات من سوء تأثير الذين يبغضون الاحمدية ويعادونها ... وإنه إذا زوج أحمدي ابنته من غير أحمدي ، فلا يجعل هذا النكاح ملغىً .. » ولكن الحق أن القاديانيين لم يبينوا للمحكمة موقفهم الحقيقي الصحيح في هذه المسألة . فموقفهم الصحيح هو ما ذكـــره الصاحب زادة بشير أحمد في كلمة الفصل بما يأتي من الكلمات :

« ان حضرة المسيح ما اباح معاملة غير الاحمديين الا بما عامل به النبي الكريم النصارى . وقد فرق بيننا وبينهم في الصلاة وحرم علينا ان تزوجهم بناتنا ، ونهينا عن الصلاة على موتاهم ... وإذا قيل فكيف رخص لنا في الزواج مـــن بناتهم . قلت : كيف رخص في الزواج من بنات النصارى ؟

(ز) وقد حاول أيضاً محامي رئيس الجماعة الأحمدية بربوة أن يغالط المحكمة بأن ما سار عليه القاديانيون من تكفير المسلمين ومقاطعتهم في العبادات والاجتماع . لا تختلف في نوعيته مما يعالجه الرجال المختلفون من دعاة الاصلاح مـــن

إنتقاد حالة المسلمين الدينية والخلقية على العموم ، وعما يتبادله علماء مختلف الفرق المسلمة فيما بينهم من فتاوى التكفير. والحال إن بين الامرين فرقا جوهرياً كبيراً . وذلك ان ما قاله أو كتبه دعاة الاصلاح من المسلمين ـ قديما وحديثا ـ من كلمات العذل والملامة منتقدين لحالة الامة المسلمة الدينية والخلقية ، ليس المقصود بها تكفير الأمة المسلمة جمعاء بل المقصود هو حث القوم على الرجوع الى الاسلام الحقيقي الخالص ثم إنهم لا يدعون المسلمين الى شيء بدع ، بل يطالبونهم بإتباع تلك العقائد والاحكام الدينية التي هي مسلم بها عند جميع المسلمين . وكذلك إن ما كتبه علماء مختلف الفرق الاسلامية من العبارات بصدد تكفير بعضهم لبعض ، فأساسه في الاغلب هو أن في رأي عالم من علماء المسلمين ان أهل الفرقة الفلانية قد حادوا عن العقائد الدينية المتفق عليها ، ولا يقوم رأيه هنا على ان القوم لا يؤمنون بشيء جديد قد كان عرضه عليهم . وعلى العكس من ذلك فإن ما قد سار عليه القاديانيون من من تكفير جميع غير الأحمديين والإنحياز عنهم في شعائر العبادة وشؤون المعيشة فمبناه على ان القوم لا يؤمنون بادعاء الميرزا للنبوة . والظاهر أن ادعاء النبوة هذا شيء بدع يخالف عقيدة ختم النبوة التي هي من العقائد الاسلامية المتفق عليها عند جميع المسلمين . وهذا فرق مبدئي جوهري . ثم هناك فرق واقعي عملي بين تكفير العلماء المسلمين وتكفير القاديانيين وهو أنه لم يؤد أي تكفير بين الفرق المسلمة الى فصل فرقة

من المسلمين عن سواد الأمة فعلا . ولكن التكفير الذي تولاه القاديانيون ، قد جاء يفصل فعلا فرقة من المسلمين عن سواد الأمة في العبادات والتزاوج والمصالح الاقتصادية والمطامح والآمال السياسية وجعلها حربا على السواد الاعظم في كل ميدان من ميادين الحياة .

٣ — خطة القاديانيين العدوانية ليست بحادث مفاجيء :

ومما قد أثير في المحكمة من المسائل أنه ان ارتدع القاديانيون عن اتباع خطتهم العدوانية وتركوا سعيهم وراء إقامة دولة داخل الدولة . فهل يطالب بعد ذلك ايضا بجعلهم اقلية غير مسلمة ؟ وجوابنا على هذا السؤال أن ماقد صدر إلى الآن عن القاديانيين ليس بحادث حدث بالمصادفة . بل هو نتيجة طبيعية لازمة لإنشاء أمة أخرى داخل أمة .ومن صميم طبيعة ادعاء النبوة أن تحدث أمة مستقلة متميزة عن جميع الذين لا يؤمنون بتلك الدعوى . وهذه الأمة الجديدة إن انفصلت عن الأمة القديمة بالطريق المعتدل القويم لم تقم بين الأمتين تلك الحالات السيئة من النزاع والاصطدام التي قامت بين المسلمين والقاديانيين . ولكنها إن أرادت أن تظل أمة مستقلة في داخل أمة فلا بد إذن من نشوب النزاع والخصام . وذلك انه لا يصبح من الممكن عندئذ أن يمنع النزاع الديني بين الطائفتين من التحول إلى النزاع الاجتماعي

وإلى النزاع السياسي والاقتصادي بينهما في آخر الامر .فلذلك لا فائدة في أن نرى رأيا يكون على الإفتراضات الوهمية . ولا يكون العمل به ممكنا في واقع الامر ابدا . والحق أنه ليس القاديانيين أن يبقوا مندمجين في جمهور المسلمين إلا بواحدة . هي أن يرتدعوا عن الاعتقاد بنبوة الميرزا . وإذا كانوا لا يستطيعون ذلك . فعليهم أن يعيشوا أمة مستقلة منفصلة عن المسلمين . ومن اللازم أن يسلم بهذا الامر في نصوص الدستور والقانون في المستقبل .

قضية التكفير

وقد أثيرت مسائل أساسية في باب الكفر والتكفير في المحكمة ولكنه لم يجب عليها احد بالأجوبة الواضحة الدافية . وبودنا أن تكون المحكمة على بينة من بضعة أمور في هـــذا الصدد .

أولاً : ليس « الكفر » و « الخروج عن دائرة الاسلام» بشيء واحد في كل حال ومن كل وجه . فإن « الكفر » الذي يخرج المرء عن دائرة الاسلام هو الذي لا يجوز القول به إلا في الحالات الآتية :

١ ـ أن يجحد المرء بعقيدة من العقائد الاساسية التي طلب الاعتقاد بها الإسلام .

٢ — أو أن يأتي بقول أو فعل يكون معناه الصريح الجحود بتلك العقيدة كأن يسجد لصنم أو يشتم النبي صلى الله عليه وسلم أو يهين كتاب الله عمدا أو يأبى التسليم بحكم منصوص عليه من أحكام الله والرسول .

٣ — أو يدخل على العقائد التي يجب الايمان بها تغييرات بالنقصان أو الزيادة أو التحريف — تشوهها في أصلها وجوهرها كأن يخلط التوحيد بالشرك الجلي أو يعد غير نبي في عداد الأنبياء ويعتقد تعاليمه وحياً منزلا من عند الله .

ثانياً : وعلاوة على هذا الكفر الذي بيناه آنفاً فقد ذكرت في القرآن والسنة كثير من الافعال والاخلاق والأفكار التي تنتمي الى الكفر والنفاق . فاستعمل لها اما كلمة (الكفر) أو وصم من يأتونها بأنهم ليسوا بمؤمنين ، أو أطلق عليهم كلمات أخرى من هذا القبيل ترادف انتفاء الإيمان . فمثلاً إن القرآن قد عبر بالكفر عن فعل من لا يحج البيت مع كونه يستطيع اليه سبيلا . وإن السنة قد عدت ترك الصلاة كفرا . ثم إن كلا من القرآن والحديث قد جاء بحكم على المتقاعدين عن الجهاد بالنفاق . ومن صريح السنة في أمر الخائن الغادر بأنه ليس من الدين والإيمان في شيء . فمثل هذه الآيات والأحاديث قد أخطأت بعض الفرق من المسلمين فهمها كالمعتزلة والخوارج وبعض أناس آخرين تنقصهم الحيطة فاعتبروا كل من انطبق عليه ما ورد فيها من أقوال الله تعالى والرسول صلى الله عليه

وسلم خارجاً عن حوزة الإسلام ،إلا أننـــا لا نجد في سياق الكلام في كتاب الله وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن هذا النوع الخاص من الكفر والنفاق يجعل المرء خارجا عن الأمة الاسلامية . كذلك لا يثبت مما أثر مـــن التعامل في عصر النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين في صدر الإسلام أن كل من وجد فيه مثل هذا الكفر والنفاق أخرج من الأمة الإسلامية إخراجا. ولإجل ذلك لم يزل العلماء المتورعون الملتزمون جانب الحيطة والحذر في كل زمان يأخذون الفرق بين هذا الكفر والنفاق وبين الكفر الذي يفضي بالمرء الى الخروج من الأمة بعين الإعتبار . ويشددون النكير عـــلى خلط هذا بذلك. ولئن كان المصلحون قد أطلقوا على مـــن يأتون بمثل هذه الخلال من الكفر والنفاق لقب غير مسلمين. فإنما كان قصدهم بذلك تحذيرهم مغبة الأمر واسترجاعهم الى الطاعة لا إخراجهم عن دائرة الإسلام .

ثالثاً : وإن كان أحدهم قد قال قولا او ارتكب فعلا يكون مرادفا للكفر الصريح . يجب قبل أن يفتى عليه بالكفر :

١ ــ أن يسأل عن فحوى كلامه وغاية فعله .

٢ ــ ثم تستعرض أقواله وأفعاله جميعا ,وينظر أي معنى من معاني قوله أو فعله ذلك يلائم ما عهد منه من الأفكار والاعمال على الوجه العام .

٣ ــ وإن كان قوله أو فعله يحتمل كلا التأويلين ــ الحسن

والسيء — فيرجح التأويل الحسن إلا إذا وجدت للتأويل السيء قرائن قوية جدا .

ولا شك أن العديد من العلماء لم يأخذوا هذه الأمور الإحتياطية الضرورية بعين الاعتبار واسترسلوا في الافتاء بتكفير الناس بدون تأن ولا روية ، ولكن تكفيرهم الذي تولوا كبره بدون تدقيق ولا حيطة ، لم يؤد قط الى اعتبار من وقع عليه خارجاً من الأمة في واقع الأمر . ولم يقف الأمر عند حد تفنيد العلماء الراسخين لحجج هؤلاء المكفرين بدون بينة ، بل إن الشعور الجماعي للامة الإسلامية أبى أن يقبل تلك الفتاوى التكفيرية . ولا تجدون في صفحات التاريخ الإسلامي إلا أمثلة قليلة تعد على أنامل اليد يكون المسلمون قد اتفقوا على جعل فرقة منهم خارجة عن الإسلام . وفي كل مثال من تلك الأمثلة كان سبب إتفاق المسلمين : كفرا صريحا لم يكن يحتمل وجهاً من وجوه التاويل الحسن ، ونذكر من ذلك أمر النصيريين الذين يعتقدون بالوهية علي كرم الله وجهه . أو أمر الفرقة اليزيدية التي كانت تقول بأنه سيبعث بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي آخر ينسخ الشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، أو أمر الفرقة الميمونية التي كانت تنكر كون سورة يوسف من سور القرآن . وها قد أضيفت الى الأمثلة القليلة الطائفة القاديانية التي قد اتفق جميع علماء الاسلام والجماهير المسلمة على تكفيرهم — أي التكفير المؤدي الى الخروج عن الأمة — ذلك لأنهم قد قاموا بأمر لا يمكن

لأجله أن نكون نحن وهم مسلمين ومؤمنين في وقت واحد . فإن كان نبيهم صادقا ، كنا على الكفر . وإن كان كاذبا ، كانوا هم الكافرين .

رابعاً : ولا ريب أنه قد ورد في بعض الأحاديث : إذ نسب أحد غيره الى الكفر وهو بريء منه ، فإن الكفر يرتد الى الذي كفّر . ولكن ليس معناه : أنه ان جاء أحد يكفرني مثلا ، قمت أقابله بالمثل وأحكم عليه بالكفر جزاء له على تكفيره . هذا المفهوم لا يستخرج من الحديث المشار اليه ولا كان النبي صلى الله عليه وسلم ليريد بقوله أن يجعل في أيدي المتخاصمين المتجادلين أداة يستخدمونها في تكفير بعضهم بعضا . وإنما مغزى الحديث أنه يجب على المرء أن يأخذ غاية الحذر قبل إفتائه بكفر أحد عسى أن يكون من يحكم عليه بالكفر بريئاً منه ، فيؤخذ بذنب تكفيره لأحد المسلمين بغير حق .

البيان الثالث

طلبت محكمة التحقيق من العلماء أن يدلوا بتصريحاتهم حول المسائل الآتية :

١ ــ ظهور المسيح والمهدي

٢ ــ هل يكون المسيح وعيسى بن مريم شخصا بعينه ؟

٣ ــ هل يكون المسيح والمهدي بمنزلة نبي من أنبياء الله ؟ وهل يوحى إليهما أو يلهمان ؟

٤ ــ وهل ينسخ أحدهما أو كلاهما حكما من أحكام القرآن والسنة ؟

٥ ــ وهل العقيدة بختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم جزء غير منفك من العقيدة الاسلامية ؟

١ ــ في الجواب عن المسألة الأولى :

(أ) في باب نزول المسيح عليه السلام : إن مسألة نزول

المسيح عليه السلام من السماء الى الأرض في آخر الزمان مسألة ما زال المسلمون متفقين عليها منذ أول أمرهم تستند هذه المسألة الى الكتاب والسنة وإجماع الأمة . فالقرآن وإن لم يصرح بها تصريحا ولكن فيه آيتين تشيران اليها إشارة واضحة وقد فسرهما معظم المفسرين على أن المسيح سينزل من السماء الى الأرض في آخر الزمان. والاولى منهما قوله تعالى : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته . ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا »(١) .

أي قبل موت المسيح عليه السلام . ولا شك أن هذه الآية قد فسرها بعض المفسرين على أن كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته اي قبل موت نفسه . ولكن يمكن أن يكون معنى الآية ما بيناه آنفاً . بل عليه فسر الآية أكثر المفسرين. والثانية قوله تعالى « وإنه لعلم للساعة » . وهذه الآية ايضا فسرت بوجهين : أحدهما أن خلق عيسى بن مريم من الآيات الدالة على إمكان الآخرة . والثاني أنه من الآيات الدالة على قتراب يوم القيامة . والى المعنى الثاني ذهب أكثر المفسرين .

وعلى كل فان القرآن لا يصرح بنزول عيسى عليه السلام بكلمات واضحة . وغاية ما يمكن القول به هو أن القرآن يشير الى نزوله قبل يوم القيامة .

أما كتب الحديث فلا شك انها تصرح بأن النبي صلى الله

---

(١) النساء : ١٥٩

عليه وسلم قد أخبر بنزول عيسى . وقد ورد في هذا المعنى أكثر من سبعين حديثا عن أربعة وعشرين نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . أما الرواة الذين سمعوا هذه الاحاديث عن الصحابة ورووها عنهم،والرواة الذين بلغوها عنهم ممن تبعهم من أصحاب كتب الحديث ، فيكاد يزيد عددهم على مائة نفر ، وأكثرهم من الثقات وهم من سكان مختلف اقطار الارض الممتدة من اليمن الى آذربجان ،ومن مصر الى ما وراء النهر وسيستان . واكثر هذه الروايات متصلة الاسناد والحلقات من أصحاب كتب الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم . فمن الصعب بل من المستبعد أبداً أن يخطر ببالنا عن هذا العدد الكبير من سكان مختلف بقاع الارض وأقطارها المترامية الاطراف أن يكونوا قد عقدوا مؤتمراً واتفقوا فيه في ما بينهم على إصدار قرار باختلاق قصة عن نزول المسيح وينسبونها الى نبى الله صلى الله عليه وسلم ، . ولو أنهم فعلوا ذلك ، لما كان في رواياتهم من التناسب والتوافق ما نجده في الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن نزول المسيح . لا خلاف في نفس ما تحتوي عليه هذه الأحاديث من بيان عن نزول عيسى إلا في موضعين أو ثلاثة مواضع ، وما هو إلا خلاف بسيط لا يؤبه له البتة . فكأن القصة التي تبينها هذه الأحاديث عن كيفية نزول المسيح قصة واحدة مرتبطة عناصرها متناسقة أجزاؤها .

أما فمن الواضح اليقيني الذي لا مجال فيه للريب أن النبي

صلى الله عليه وسلم قد أخبر بنزول عيسى بن مريم الى الأرض قبل يوم القيامة . وهذه حقيقة ثابتة من الشهادات القاطعة التي لا تقبل الريب أو الجدل . فان أمكن رد الروايات التي هذه صحتها وقوتها ، فلا يمكن بعد ذلك أن يكون أي حادث من حوادث التاريخ صالحاً للقبول .

وكذلك فقد أجمع علماء الأمة وفقهاؤها ومفسروها ومحدثوها منذ القرن الاول حتى وقتنا هذا على صحة الخبر بنزول عيسى بن مريم الى الارض مرة أخرى قبل يوم القيامة . وقد ذكرنا في الملحق (أ) ما ثبت عن كبار علماء الأمة من الأقوال في هذه المسألة ، وما أنكرها إلا بعض علماء المعتزلة والجهمية ظنا منهم أنها تتنافى مع عقيدة ختم النبوة .

(٢) المسيح ينزل ولا يولد : والذي يثبت من هذه الروايات وأجمعت عليه الأمة ، ما هو « بولادة مثيل للمسيح » « بل هو » « نزول المسيح » عليه السلام بعينه . وتصرح الروايات كلها من غير استثناء بأن النازل هو عيسى بن مريم فجاء ذكره في مختلف الروايات بمختلف الأسماء كابن مريم أو عيسى بن مريم . والظاهر أن عيسى بن مريم هو اسم رجل معلوم . فليس الخبر بنزوله إلا عن نزول شخصه . فإذا قبل أحد هذا الخبر ، فلا بد له أن يقبله على أنه سينزل الى الارض ذلك الشخص المعروف الذي كان قد ولد من بطن مريم بنت عمران عليها السلام في بني إسرائيل قبل ألفي سنة . وإن أنكر

ذلك ، فلا بد أن ينكر تصور « المسيح الموعود » نفسه . وعلى كل فانه من اللغو أن يحاول أحد إثبات مثيل لعيسى على أساس الروايات الواردة عن نزول عيسى بن مريم . وأكثر سخافة من هذا أن يحاول أحد إثبات فكرة « التجسد » (Incarnation) للمسيح على أساس هذه الروايات وهي الفكرة التي يأخذ بها الهندوس عن أبطالهم الماضين . وأعظم غيّا ولغوا من كل هذا وذاك أن يصير أحد مريم بصورة تمثيلية ، ثم يكون هو نفسه حبلى بصورة تمثيلية ، ثم يولد هو نفسه من بطنه بصورة تمثيلية ، ويعلن في الناس أن عيسى بن مريم الذي أخبر بنزوله قد ولد [1] .

(٣) الغرض من نزول عيسى : إن الغرض الذي تبينه الأحاديث لنزول عيسى ، هو أنه سيظهر في آخر الزمان دجال يعرض نفسه على الناس مدعيا أنه المسيح .

فهناك يتبعه اليهود ويسبب فتنة شاملة وضلالا مطبقا في العالم

---

(١) هكذا ورد عن الميرزا غلام حيث يقول في كتابه : سفينة نوح : « وهو سماني بمريم في الجزء الثالث من البراهين الاحمدية : ثم نشأت في الصفة المريمية إلى سنتين كما هو الظاهر من البراهين الأحمدية ، وما زلت أنمو وأتربى وراء الحجاب ثم . . . نفخ في روح عيسى كمريم وحملت بعيسى على وجه الكناية ، ثم بعد عدة أشهر لا أكثر من عشرة أشهر ، جعلت عيسى بعد أن كنت مريم وذلك بالهام جاءني في آخر الجزء الرابع من البراهين الأحمدية ، فهكذا أصبحت ابن مريم. والله ما أطلعني على هذا السر الخفي عند كتابة البراهين الأحمدية » ص ٤٨ »

كله . فيرجع الله المسيح الحقيقي الى الدنيا لكي يقمع فتنة هذا الدجال وينقذ الناس من شره .والنبي صلى الله عليه وسلم إنما أخبر الناس بظهور الدجال ليكونوا على حذر ولا يروا فيه المسيح ويترقبوا نزول المسيح الحقيقي في زمانه ثم ينصرونه ويؤيدونه في قمع فتنة الدجال وقطع دابره . والنبي صلى الله عليه وسلم ما أخبر به الناس ليتخذ أحد من أقواله حجة ثم يعرض نفسه على الناس « كمثيل للمسيح أو « متجسد المسيح » ويفرق بذلك كلمة المسلمين .

(٤) انقراض الملل كلها بنزول المسيح إلا الاسلام

وأيضا إن هذه الروايات تصرح بأن جميع الملل والديانات ستمحي نتيجة لنزول المسيح ، فلا يبقى في الدنيا إلا ملة الاسلام وحدها . وإما ما جاء في الروايات من كسر عيسى الصليب أو محوه إياه أو تحطيمه إياه أو قتله الخنزير ، فإنما فسره العلماء جميعا بأنه سينتهي بذلك النزاع القائم بين المسيحية والاسلام ويصبحان ملة واحدة . وتدل الروايات على أن اليهودية ستتلاشى مع موت الدجال. وأما ما جاء في هذه الروايات من ذكر سقوط الحرب والجزية والخراج ، فقد أجمع المحدثون على أن معناه أن الحرب ستنتهي إذا إمحت جميع الملل ولم يبق إلا دين الإسلام . فلا ينشأ السؤال إذن عن ضرب الجزية أو الخراج على أحد .

(٥) عقيدة نزول المسيح لاتصطدم مع عقيدة ختم النبوة

والذي يجب أن يلاحظ بوجه خاص هو أن عقيدة نزول المسيح – على نحو ما جاء ذكرها في الأحاديث وفهمها علماء الأمة – لا تصطدم مع عقيدة ختم النبوة ، ولكن التصور القادياني « للمسيح الموعود » يصادم هذه العقيدة بوجه سافر من عدة نواح :

١ – إن عيسى بن مريم قد بعث نبيا من أنبياء الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم . فقد آمن به النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وما زال المسلمون يؤمنون به في كل زمان . والذي لا يؤمن به ، هو كافر خارج من دائرة الاسلام بإتفاق المسلمين. فإذا نزل الى الأرض مرة أخرى فأي مسألة تنشأ عن الإيمان أو الكفر به من جديد ؟ وإذا أمكن أن يكون الخلاف في أمره ، فإنما يكون في معرفته : هل الذي هو نزل عيسى بن مريم أو غيره ؟ ولا يمكن أن يكون الخلاف في أنه إذا كان النازل هو عيسى بن مريم . فهل يؤمن به أو يكفر ؟ فالمسلمون يؤمنون به ولا حاجة الى تجديد الايمان به مرة أخرى عند نزوله ، ولا يمكن أن يحدث نزوله فرقاً جديداً بين الكفر والايمان في المسلمين . وأما الذي لا ينزل ولكن « يولد » ثم يدعي أنه المسيح ويدعو الناس الى الايمان به واتباعه ، فلا بد أن يحدث إدعاوه فرقاً جديداً بين الكفر والإيمان في الأمة الاسلامية ، وهو من أسباب التفرقة وهذا ما حدث عند قيام المسيح القادياني بهذا الإدعاء .

٢ ـ إن الأحاديث لا تعرض المسيح بن مريم النازل من حيث هو يدعي النبوة ويدعو الناس الى الإيمان به ويجعل من الذين يؤمنون به أمة أوجماعة مستقلة ويخرج من الاسلام من لا يؤمن به ، أي إن الأحاديث لا تعرضه كصاحب رسالة جديدة مستقلة ،وإنما تعرضه كرجل ينزل من السماء ويدخل في جماعة المسلمين ويسلم بقيادة من يكون في زمانه أميراً للمسلمين أو إماما لهم ويشاركه في مهمة قمع فتنة الدجال ،فهو إذن على سبيل الحيطة لا يؤم الناس في الصلاة ، بل يصلي خلف إمامهم حتى لا يظن الظانون أنه قد تولى المنصب الذي كان عليه قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم . وتشهد بذلك الأحاديث الكثيرة شهادة ناطقة واضحة . ولكن العقيدةالقاديانية بشأن « المسيح الموعود » تعارض ذلك معارضة شديدة ولا تفضي إلا الى النتائج المعاكسة لذلك تماماً .

٣ ـ إن طبيعة إيمان المسلمين بنزول عيسى بن مريم هي أنه وإن كان في بعثته الاولى نبيا من أنبياء الله ولم يسلب الى الآن شرف النبوة وفضلها ، ولكن فترة نبوته إنتهت مع بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يوجد الى يوم القيامة الا زمان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . فلا يأتي عيسى الآن على أنه هو نبي من من أنبياء الله ، بل يكون مطيعا لمحمد صلى الله عليه وسلم متبعا لأحكام شريعته ،وهو لا يدعو الناس الى نبوته ، أو ينفذ فيهم أحكاما جديدة ،أو يغير شيئا من أحكام الشريعة

الخالدة ، بل إنما تقتصر وظيفته على القيام ــ وفقاً للشريعة المحمدية ــ بالمهمة التي ينزل لإجلها الى الارض . وهذه المسألة توضحها كل الإيضاح تصريحات الامام الرازي والإمام النووي والعلامة التفتازاني والشيخ اسماعيل الحقي والعلامة الآلوسي . ومثل ذلك كمثل شخص كان رئيساً للدولة فيما مضى ولم يسلب بعد شرف كونه رئيساً سابقاً ، ولكن وضعه في عصر رئيس الدولة الجديد لا يكون أكثر من مواطن عادي في الدولة . وعلى هذا يتلاءم نزول المسيح مع عقيدة ختم النبوة ولا يبقى أي أساس من الصحة لظن من يظن أنه ستنشأ بنزوله مسألة اتباع نبي جديد يتوقف على الإيمان به كون المرء مسلما أو غير مسلم . ولكن التصور القادياني المسيح الموعود يدعونا الى متبوع جديد يطالبنا بكل ما يكون للنبوة من الحقوق الاعتقادية والشرعية وتصدر منه جميع الدعاوى التي لا يقوم بها إلا من يأتي برسالة مستقلة . ولا يقلل من خطورة دعوته أن يعتبر نفسه كفرد من الأمة المسلمة، وتابع الشريعة المحمدية، أو يدعي لنفسه مكانة أخرى والذي يجعل طبيعة دعاويه تتضارب مع العقيدة الإسلامية بنزول المسيح في حقيقة الأمر ، هو أن العقيدة الإسلامية بنزول المسيح لا تجعل طاعة متبوع جديد واتباعه أساساً للكفر والإيمان. ولكن العقيدة القاديانية بالمسيح الموعود تجعل طاعة هذا المسيح الموعود واتباعه أساساً للكفر والإيمان .

ب ـ في ظهور المهدي : تختلف مسألة ظهور المهدي إختلافاً عظيما عن مسألة نزول المسيح عليه السلام ، والاحاديث في هذه المسألة على نوعين : أحادبث فيها الصراحة بكلمة « المهدي » وأحاديث إنما أخبر فيها بخليفة يولد في آخر الزمان ويعلي كلمة الاسلام .

ولا نجد سند أي رواية من هذين النوعين من الأحاديث من القوة بحيث يثبت أمام مقياس الإمام البخاري لنقد الروايات. فهو لم يذكر منها أية رواية في صحيحه . وكذلك ما ذكر منها الامام مسلم الا رواية واحدة في صحيحه ولكن ما جاءت فيها أيضا الصراحة بكلمة « المهدي » . أما الروايات في الكتب الاخرى ـ غير الصحيحين البخاري ومسلم ـ فقد جمعناها كلها تقريباً في الملحق (ب) .

١ ـ وفي هذه الروايات عدة وجوه للضعف بصرف النظر عن اسنادها :

أولا : هناك إختلاف واضح في نفس موضوعها . فتقول الروايات الـ ٢ و ٣ و ١٠ و ١٤ و ١٥ إن المهدي من أهل البيت[١]. وتقول الروايتان الـ ٨ أو ١٩ إنه من آل عباس بن عبد المطلب ، وتوسع الرواية الرابعة نطاق ظهوره الى آل عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وتوسع الرواية الخامسة هذا النطاق الى الأمة المسلمة بأسرها. وتقول الرواية الـ ١٧ إنه سيكون

---

(١) راجع الملحق « ب » والأرقام في هذا البحث كما جاءت في الملحق ب ص

رجلا من أهل المدينة . ثم إن الروايتين الـ ١١ و١٣ تقولان إن إسمه يواطيء اسم النبي صلى الله عليه وسلم.واسم أبيه يواطيء اسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم.ولكن تقول الرواية الـ ١٢ — بالعكس من ذلك — إن اسمه (الحارث)وإنه سيمهد الارض لحكم آل محمد صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : تشهد هذه الروايات أن الاحزاب المختلفة المتنافسة في ميدان السياسة في بدء الاسلام ، حاولت جميعا أن تستغل إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بظهور المهدي وتصوغ هذا التنبوء حسب مصالحها وأغراضها ، حتى إن هذه الروايات ما سلمت من أن تكون في أيدي رجالها في ميدان السياسة الحزبية . فقد جاء في الرواية الاولى ذكر الرايات السود من قبل خراسان ، مما يدل دلالة واضحة على أن العباسيين أضافو في هذه الرواية من عند أنفسهم ما يوافق أهواءهم وسياستهم ،لأن اللون الأسود كان شعارا للعباسيين ،وكان أبو مسلم الخراساني هو الذي مهد الارض للدولة العباسية . وكذلك يبدو جلياً بالنظر في الروايات الـ ٢ و ٣ و١٠ و١١ و١٤ و١٥ في جانب ، وفي الروايات الـ ٤ و١٨ و١٩ بالجانب الآخر إن بني فاطمة قد حاولوا استغلال أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بظهور المهدي لمصالحهم السياسية في جانب وحاول بنو عباس مثل هذه المحاولة بالجانب الآخر .

٢ : غير أنه من الصعب على كل حال القول بأن هـــذه الروايات لا حقيقة لها اصلا ، فإننا إذا صرفنا النظر عما ادخل

فيها الناس من تلقاء أنفسهم، فإنها تحمل حقيقة أساسية تشترك فيها جميع هذه الروايات . وهي أن النبي لى الله عليه وسلم أخبر أنه سيظهر في آخر الزمان زعيم معتصم بالكتاب والسنة يملأ الارض عدلا ويمحو عن وجهها أسباب الظلم والعدوان ويعلي فيها كلمة الإسلام ويعمم أسباب السعادة والسلام في خلق الله .

٣: لايقوم تصور المهدي إلا على هذه الروايات، وهي لا تذكر على كل حال أن المهدوية عبارة عن منصب ديني كالنبوة يجب الايمان به شرعا ولو الى حد ما . واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد استعمل هذه الكمة ــ المهدي ــ فإنما استعملها كاسم الصفة لرجل معين إشارة الى أن هذا الزعيم سيكون على هدى الله . وقد جاء في رواية : وهي الرواية ال١٢ « وجب على كل مؤمن نصره .» أو إجابته » .فإن كان هذا القول قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنما معناه أنه كما يجب على المسلمين أن ينصروا كل مجاهد في سبيل الله ، كذلك يجب عليهم أن ينصروا هذا الرجل المشار إليه، ولا يمكن أن يستنبط من هذه الروايات ــ ولو بأي تأويل مستبعد ــ أن في الإسلام منصبا يعرف بالمهدوية يجب على كل مسلم أن يؤمن به ، ويترتب على عدم الإيمان به طائفة من النتائج الاعتقادية والاجتماعية في الدنيا والآخرة . ثم إن هذه الروايات لا أساس فيها البتة للشعوذة التي يأتي بها رجل بين الناس ويدعي كونه من رجال الاسلام ويبدأ مهمته بالمناداة فيهم: « انا المهدي » ثم يصرف معظم جهوده في إقناع الناس بأنه هو« المهدي »..

٤ – ومما يناسب ذكره بهذا الصدد أنه لا توجد عقيدة من عقائد الإسلام تختص بالمهدي ،وجميع كتب أهل السنة للعقائد خالية من ذكر مثل هذه العقيدة . والذين إدعو بالمهدوية في مختلف أزمان التاريخ ثم كفّروا من لم يؤمنوا بهم أوفسّقوهم أو أخرجوهم عن دائرة الإسلام وألفوا حولهم جماعات مستقلة ، قد عارضهم علماء الإسلام ورفضت الأغلبية العظمى من أفراد الأمة ادعاءاتهم بتاتا ..

في الجواب عن المسألة الثالثة :

أما إن المسيح الموعود . الذي يعتقد المسلمون نزوله ،هو عيسى بن مريم ، فهو ثابت من الروايات الكثيرة ومن أقوال العلماء التي جمعناها في (الملحق) أ . وما وجدنا رواية قد ذكر فيها المسيح باسم آخر غير اسم عيسى » أو «عيسى بن مريم » أو « ابن مريم » حتى يأخذ بنا الظن الى أن المسيح النازل يكون رجلا غير عيسى بن مريم . وما هناك في كتب الحديث الا رواية جاءت فيها كلمة « المسيح » غير أن الطرق الأخرى التي وردت عنها هذه الرواية ، قد جاء التصريح فيها بكلمة « عيسى » أو «ابن مريم » مضافة الى كلمة « المسيح » . ولا يوجد أحد من علماء الاسلام الذين يجدر ذكرهم منذ اول الأمر الى اليوم –على قدر علمنا على الاقل – قال في حين من الاحيان . إن المسيح الذي أخبر النبي صلى الله وسلم بنزوله .ما

هو بعيسى إبن مريم وانما يكون رجلا يشبه عيسى في صفاته وأحواله.من أجل ذلك لما فشل الميرزا غلام احمد القادياني في جعل الناس يؤمنون بنظريته القائلة بأنه مسيح مثيل لعيسى بن مريم ، ادعى بكونه « مريم » ثم « عيسى المولود من بطن مريم » بصورة تمثيلية . ثم لما لم يجد الناس راضين بقبول هذا الادعاء : قال « بما أني لست منخرطاً في سلسلة صوفية ولبس هناك من رجل يكون لي كوالد روحي شيخاً ـ في هذه الدنيا : فكأني قد ولدت من غير اب كعيسى بن مريم » .

في الجواب عن المسألة الثالثة :

قد صرح العلماء بأن المسيح لا يكون نزوله الى الارض كنبي من الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم . بل قد جاء بكل وضوح في شرح العقائد للنسفي ، وتفسير روح البيان للشيخ اسماعيل الحقي،وتفسير روح المعاني للالوسي،أن المسيح لا يوحى اليه،ولا هو يحكم بين الناس بشريعة جديدة وكذلك لا يشير أي حديث من الأحاديث الى نزول عيسى الى الارض من حيث هو نبي يتلقى الاحكام الشرعية من عند الله تعالى بالوحي.

أما المهدي ، فلا ينشأ السؤال عن كونه نبيا أو نزول الوحي اليه . ويكفي لإيضاح ذلك ما بيناه آنفا .

في الجواب عن المسالة الرابعه .

ليس من صلاحيات عيسى بن مريم ولا المهدي اصلا أن ينسخ حكما من أحكام الشريعة المحمدية أو يأتي فيه بشيء من التفسير . واما إذا كان رجل يظن بناء على ما ورد في بعض الاحاديث من كلمات « يضع الحرب » أو يضع « الجزية » أو يضع « الخراج » إن عيسى يمنع المسلمين عن الجهاد بالسيف ويعفي أهل الذمة من الجزية والخراج . فإن ظنه هذا لا أساس له من الصحة والواقع . فإن الاحاديث قد صرحت بأن الله تعالى يهلك الملل كلها بنزول عيسى إلا ملة الإسلام . فتوضع الحرب والجزية والخراج من تلقاء نفسها . ثم إنه قد نسب كسر الصليب وقتل الخنزير ووضع الجزية الى المسلمين بدلا من عيسى عليه السلام في إحدى الروايات[1] . والظاهر أنه لا يمكن أن يكون عامة المسلمين مجازين بنسخ الاحكام . ثم إن المحدثين بينوا باتفاقهم نفس المعنى الذي بيناه آنفاً لذلك الحديث.

في الجواب عن المسألة الخامسة :

أما تفسير ختم النبوة بأنه لا يأتي نبي – من أي نوع كان – بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه آخر نبي إنقطعت بوفاته سلسلة النبوة والرسالة ، وأن من إدعى النبوة أو صدقه في دعواه

---

(١) راجع الملحق أ رقم ٢٠

فهو كذاب خارج من دائرة الاسلام ، هذه عقيدة متفق عليها بين المسلمين منذ البداية وليس فيها خلاف بين مختلف الفرق الاسلامية .ويقوم بناء هذه العقيدة على دعائم القرآن والسنة وإجماع الأمة .

أ : ثبوت ختم النبوة من القرآن : قد صرح الله تعالى في القرآن بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين . حيث قال جل شأنه« ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »(١) . وسواء قرأنا الخاتم ، بفتح الميم أو كسرها ، فإن النتيجة بعينها في كلتا الصورتين . و« الخاتم » مشتق من «الختم » ومعناه وضع الطابع. فإن قرأناه « الخاتم » بكسر التاء فهو من يضع الطابع ، ، وإن قرأناه الخاتم بفتح التاء فهو الطابع نفسه . والمعنى في كلتا الصورتين واضح ، وهو أن الله تعالى قد ختم على سلسلة النبوة والرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم . وسياق الكلام في الآية يثبت هذا المعنى اثباتا تاما ولا يدع المجال لمعنى آخر البتة . كان مبدأ التبني فاشيا بين العرب وما كانوا يفرقون بين دعيّ المرء وابنه من صلبه ، وذلك ممـا كان يحرم كثيرا من الناس من وراثة قريب لهم إذا مات ولم يكن له ابن ولا بنت . وكذلك كان وجود الولد المتبني وعيشته في بيت المرء كعيشة ولده الحقيقي من صلبه ، يسبب كثيراً من المفاسد في المجتمع ، فقد ندد الله تعالى بالتبني في أول سورة الاحزاب . ثم لما طلق زيد بن حارثة دعي رسول الله صلى الله

---

(١) الأحزاب : ٤٠

عليه وسلم زوجه زينب بنت جحش رضي الله عنها ، أمـر الله تعالى نبيه أن يتزوج منها ويقضي فعلاً على هذه العادة السيئة المتوارثة بين العرب . ولكن لما تزوج منها النبي صلى الله عليه وسلم ، اتخذ اليهود والمنافقون من هذا الفعل مطعنا في النبي صلى الله عليه وسلم وسبيلاً الى تشويه سمعته لا في المدينة وحدها ولكن في سائر نواحي العرب ايضاً. يقولون للناس إن محمدا تزوج من من زوج إبنه . وإذا قيل لهم إن زيد بن حارثة ليس إبناً له من صلبه ، قالوا إذا كان الزواج من مطلقة الدعي مباحاً في شريعتكم على سبيل الإفتراض ، فهل كان نبيكم لا يجد بدا منه ، وفي الرد على دعواهم أنزل الله تعالى هذه الآيات مـن سورة الأحزاب ، حيث قد بين فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم ما تزوج من زينب إلا بإذن من الله ثم رد عـلى اعتراض المعترضين بثلاثة أجوبة :

١ ــ « ما كان محمد ابا أحد من رجالكم » أي أن زواجه من زينب ليس بزواجه من مطلقة إبنه . فكيف يمكنكم أن تعترضوا عليه ؟

٢ ــ «ولكن رسول الله » أي ليس من واجبه أن يبين أحكام الشريعة فحسب . بل من واجبـه أيضاً أن يعمل بها ويمحو ما يخالفها من عادات قومه .

٣ ــ « وخاتم النبيين » أي قد انقطعت به سلسلة الوحي والنبوة ولا يأتي بعده أي نبي ولا رسول الى يوم القيامة ، فإن

ترك سيئة من السيئات ولم يقومها فلا يرجى أن يأتي بعده نبي آخر يصلحها .

ولا يمكن أن تفسر هذه الآية في هذا السياق كما يفسرها القاديانيون بأنه صلى الله عليه وسلم سيفتح باب النبوة على مصراعيه ويهب لمن يشاء النبوة بوضع خاتمه عليه ، كما لا يمكن تفسيرها بأن خاتم النبيين هو أفضل النبيين تمت عليه فضائل النبوة . ولكن ما انقطعت به سلسلة الوحي والنبوة. فكل من هذين المعنيين المختلفين لا يدع الآية مفهومة المعنى .

ب : ثبوت ختم النبوة من الحديث : قد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية في مختلف المواقف بما لا مجال فيه للريب . ولا يمكن لمن في قلبه شيء من الإيمان أن يمر بخلده تأويل آخر لهذه الآية . فكل من نظر في الأحاديث علم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما بين هذا المعنى للآية مرة أو مرتين في حياته . بل كرره وأكده كل التأكيد في مختلف الأوقات بألفاظ واضحة لا يمكن أن تستخدم لإيضاح هذا المعنى ألفاظ أوضح منها .

ج : ثبوت ختم النبوة من إجماع الأمة : ما زال العلماء منذ قديم الزمان الى يومنا هذا يفسرون هذه الآية بنفس المعنى الذي بيناه آنفاً . وتدل أقوالهم دلالة قاطعة على أن المفسرين في كل زمان وفي كل قطر فسروا الآية بمعنى واحد بعينه ولم ينقل في هذا خلاف .

د : ثبوت ختم النبوة من إجماع الصحابة : قد حارب

الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كل من ادعى النبوة أو صدقها في دعواه . وأول من يذكر بهذا الصدد هو مسيلمة الكذاب الذي انتحل النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم نفسه . وقد دلت الروايات المتعددة الصحيحة على أن مسيلمة هذا لم يكن منكرا لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم . بل كان يعترف له بالرسالة ولكن كان في الوقت نفسه مدعياً لرسالته أيضاً . وقد نقل الطبري في تاريخه كتابه الذي ارسل به الى النبي صلى الله عليه وسلم . . فمما جاء في هذا الكتاب « من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليك . فإني قد أشركت في الأمر معك »(1) . ولكنه على اعترافه بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كفر وأخرج من دائرة الاسلام . ثم إنه قد ثبت من كتب التاريخ أن بني حنيفة آمنوا بمسيلمة بسلامة نية وعن غفلة منهم . وقد ذكر ابن كثير في كتابه : « البداية والنهاية » بكل تفصيل ما أوقع بني حنيفة في هذه الفتنة من الأسباب والدواعي .

ثم لا مجال للقول بأن الصحابة ما أعلنوا الحرب على مسيلمة وبني حنيفة لأجل دعواهم للنبوة ، ولكن لأجل خروجهم على الدولة ، وشقهم عصا الطاعة على الأمير . والدليل على هذا أن الذين تعلن عليهم الحرب في القانون الإسلامي لأجل خروجهم على الدولة وعصيانهم لأحكامها . لا يسبي أسراهم سواء كانوا من المسلمين أو من أهل الذمة . ولكن لما أعلن أبو بكر الصديق

(1) الطبري ج ٣ ص ٣٩٩

الحرب على مسيلمة وأتباعه . أعلن في الوقت نفسه « أن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد غير الاسلام »[1]. فلم يعدهم من أهل الذمة .

وهكذا وقع سبى اسارى بني حنيفة . وقد جاء في البداية والنهاية إن علي بن أبي طالب تسرى بجارية منهم .

فهذا هو الرأي المتفق عليـــه بين الصحابة في مسألة ختم النبوة . ومن المعلوم . أنه لا سند لمبادىء الاسلام وقوانينه بعد القرآن والسنة أقوى وأوثق من إجماع الصحابة . ولا يمكن لمن أوتي ذرة من العقل أن يعتقد أن الصحابة الذين تمتعوا بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ، لا يعتبر إجماعهم على أمر تصويرا صحيحاً لأمور الدين . وأن يزعم أن الدين هو ما ذهب اليه به فلان أو فلان من أبناء هذا الزمان .

ه : ثبوت ختم النبوة من مذاهب العلماء : أما مذهب فقهاء الأمة ومحدثيها ومفسريها في مسألة ختم النبوة ، فلم يقل العلماء من الإمام ابي حنيفة في القرن الاول الى العلامة الآلوسي في القرن الثالث عشر إلا بأمر واحد لا خلاف بينهم عليه .ونذكر منهم أصحاب الفتاوى العالمكيرية من الهند،والإمام الغزالي من فارس،والملا علي القارى من ما وراء النهر،والعلامة اسماعيل الحقي،من تركيا والعلامة محمود شكري الآلوسي ،من العراق والعلامة إبن كثير ،من الشام والامام السيوطي،من مصر والقاضي الشوكاني من اليمن والقاضي عياض،من مراكش والإمام إبن

---

(١) البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١٦

حزم من الاندلس . وإن كنت تجد فيهم الزمخشري من المعتزلة وجدت بجواره الإمام الرازي من الاشعريين . وإن كان فيهم القاضي الشوكاني من أهل الحديث . ففيهم الإمام ابن حزم من الظاهريين . وإن كان فيهم العلامة ابن كثير من الحنابلة . ففيهم الإمام الغزالي من الشافعية . وإن كان فيهم القاضي عياض من المالكية . ففيهم العلامة إسماعيل الحقي والعلامة الآلوسي والعلامة ابن نجيم من الحنيفة . مما هو أكبر دليل على إن عقيدة المسلمين في هذا الباب من الشرق الى الغرب ، ومن الجنوب الى الشمال ، وفي كل قطر ، وفي كل زمان . ومن أهل كل مذهب ، ما زالت عقيدة واحدة بعينها وهي التي نادى بها مؤتمر الجمعيات المسلمة (١) في جلسته المنعقدة في كراتشي .

ز ـ عقيدة ختم النبوة هي الأساس لوحدة المسلمين :

والذي ينبغي أن لا يغيب عن البال في حال من الأحول أن عقيدة ختم النبوة هـــذه ليست بمسألة نظرية يمكن أن لا تتجاوز آثار الخلاف فيها ونتائجه مجال الفكر والرأي ، بل إنما هي الاساس الوحيد الذي يقوم عليه كيان المسلمين القومي بتمامه . والذي يتوقف على بقائه وحدة الأمة الإسلاميـــة

---

(١) المؤتمر الذي عقد أيام حدوث القلاقل في باكستان وثار المسلمون على القاديانيين وكان هذا المؤتمر يمثل جميع الطبقات الدينية والاجتماعية في باكستان .

وعاسكها والذي لايمكن بحال من الاحوال أن تبقى آثاره السيئة محصورة في دائرة الدين بل هي مدمرة لكيان الأمة قاضية على مقوماتها من كل وجهة سواء من الناحية المدنية أو السياسية أو الإقتصادية أو الإجتماعية أو الدولية . ولا شك أن المسلمين قد ظهرت ولا تزال تظهر فيهم خلافات عديدة شديدة في العقائد والأصول والفروع ،وترتبت ولا تزال تترتب عليها آثار سيئة ونتائج وخيمة في حياتنا الإجتماعية . ولكن الحقيقة التي لا ينكرها مكابر أن الذي احتفظ الى الآن بوحدتنا القومية ، وما زال يعرضنا على العالم بصورة أمة واحدة . وسهل علينا أن نعمل متوحدين متعاونين كلما عرضت لنا في تاريخنا الأخطار والمصائب أو المشاكل القومية الخطيرة . انما هو إجماعنا على إتباع رسول واحد (صلى الله عليه وسلم) . فإن وهــن هذا الاساس وتزلزل عن مكانه ــ لا قدر الله ــ وبدأت دعوة الأنبياء الجدد تفرقنا الى أمم مختلفة متضاربة . فأي قوة تحول إذن دون تشتت شملنا وتفرق كلمتنا وتمزق وحدتنا الى أبد الآباد . وأي شيء يبقى في أيدينا يجمع كلمتنا في يوم من أيام المستقبل . فالذين يريدون منا اليوم التسامح في هذه الفتنة . لا يعرفون التسامح وحدوده.ولا يعرفون الإسلام ومقتضياته . بل إنهم يريدون في حقيقة الأمر-بالرغم من إخلاصهم وغفلتهم- من المسلمين أن يئدوا الأمة الإسلامية بأيديهم . وإن خطأهم هذا يجر الهلاك على باكستان على وجه الخصوص . ولا يقدر أكبر أعداء هذه الدولة أن يجني عليها بقدر ما يجني

عليها هؤلاء من دعاة التسامح . ومن المعلوم أن هذه الدولة ما نشأت إلا بآمال المسلمين وجهودهم الجماعية. لا يمكن أن تبقى قائمة كدولة مستقلة إلا بمساندتهم الجماعية . نعم ! قد يمكن لغيرنا من الاقطار الإسلامية أن تجد لوحدتها القومية اساسا آخر غير أساس الإسلام كوحدة اللغة أو وحدة الأصل أو وحدة الحدود الجغرافية . أما باكستان : الدولة التي لا تجمع بين مختلف عناصرها وأفرادها وحدة اللغة ولا وحدة الجنس ، ولا الوحدة الجغرافيية حيث يقع جناحها الشرقي على مسافة أكثر من ألف ميل عن جناحها الغربي فلا يصلح أن نبحث لماعن أساس غير أساس الإسلام لوحدتها القومية ولا يمكن أن يتصور غير ذلك . إلا من يعيش في عالم الأوهام الفارغة التي لا طائل تحتها. وليس هذا من السياسة العملية في شيء .فلا يصلح شيء أن يكون أساساً لوحدة المسلمين في هذا القطر – باكستان – إلا الإسلام .والإيمان بختم النبوة من عقائد الإسلام ومبادئه الأساسية – فإن هدمتم هذا الأساس في سبيل تسامحكم المزعوم فأي قوة تمسك إذن بناء دولتكم عن الإندثار والفناء؟

الباب الثالث

عقيدة ختم النبوة

- عقيدة ختم النبوة كما بينها القرآن
- عقيدة ختم النبوة كما وردت في الاحاديث
- اجماع الصحابة على ختم النبوة
- اجماع علماء الامة عليها
- حقيقة المسيح الموعود
- الملحق « ا » اقوال العلماء في نزول عيسى بن مريم
- الملحق «ب» الاحاديث الواردة في ظهور المهدي

عقيدة ختم النبوة كما بينها القرآن

قال الله تعالى: «ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما» (الاحزاب: ٤٠).

وردت الآية المذكورة في سورة الاحزاب ، حيث إن الله سبحانه وتعالى قد رد على اعتراضات الكفار والمنافقين الذين كانوا يثيرون أنواعاً من المطاعن والإفتراءات على زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب رضي الله عنها .

ولقد كان اعتراضهم الاول أنه صلى الله عليه وسلم قد تزوج بزوجة ابنه، مع أن المرأة إذا تزوجها الإبن تحرم على الأب حتى في شريعته عليه الصلاة والسلام . فقال جلّ جلاله ردا على هذا الإعتراض «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» أي متى كان الرجل الذي تزوج محمد صلى الله عليه وسلم بمطلقته ابنه حتى يحرم عليه الزواج بها ؟

وكان اعتراضهم الثاني أن متبناه زيدا إذا لم يكن ابنا له

حقيقياً ، فزواجه بمطلقته كان مباحا له على أكثر التقدير ، وكان لازما محتوما . فلماذا أقدم عليه بدون حاجة شديدة حقيقية ؟

يقول عز وجل ردا على اعتراضهم هذا « ولكن رسول الله » أي كان من اللازم المحتوم عليه أن يستاصل شافة كل عصبية توجد بينكم ، بشأن ذلك الأمر المباح الذي قد جعلته تقاليدكم الجاهلية المتوارثة حراما بدون ما مبرر معقول . حتى لا يبقى مجال للشك والإرتياب في إباحته ومشروعيته ، ثم إنه سبحانه وتعالى أكد ذلك بقوله « وخاتم النبيين » أي هو آخر نبي بعثناه في العالم ولن يأتي بعده من جانبنا نبي فضلا عن أن يأتي رسول لإصلاح القانون والتقاليد السائدة في المجتمع . لأجل كل هذا فقد كان من الواجب المحتوم عليه صلى الله عليه وسلم أن يتولى بنفسه تحطيم هذا التقليد الجاهلي . ثم قال سبحانه بعد ذلك بمزيد من التأكيد « وكان الله بكل شيء عليما » أي أن الله يعلم : لماذا كان من اللازم تحطيم ذلك التقليد الجاهلي بيد محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك الزمان ويعلم : أي فساد يمكن أن يبقى في المجتمع لو أنه صلى الله عليه وسلم لم يقم بتحطيمه وقطع شأفته ويعلم : أنه لن يبعث بعد محمد صلى الله عليه وسلم رسولا ولا نبيا . فهو إذن لم يحطم هذا التقليد الجاهلي بواسطة آخر انبيائه . فلن يظهر بعد ذلك شخصية أخرى يتحطم هذا التقليد الجاهلي في الدنيا كلها بجهودها . وإذا افترض أن المصلحين بعده سيتولون تحطيمه . فإن فعل أي واحد منهم لن يصبح قاعدة عامة بحيث تأخذ بها الاجيال القادمة وتحذو حذوها في كل زمان . كما أنه لن تبلغ أية شخصية من الشخصيات من القداسة والإحترام

بحيث إن مجرد قيامه بأحد الأفعال لتحطيم عادة معينة يمكن أن يستأصل من قلوب الناس كل تصورات الكراهة حوله .

إن طائفة قد أثارت في هذا الزمان فتنة نبوة جديدة وهذه الطائفة تفسر قوله تعالى « خاتم النبيين » في هذه الآية بـ «طابع النبيين » أي إن جميع الأنبياء الذين يأتون بعد محمد صلى الله عليه وسلم إنما يكونون أنبياء لكونهم مطبوعين بطابعه أو — بكلمات أخرى — لا يعد أحد بعده صلى الله عليه وسلم نبيا من الله ما لم يكن مطبوعا بطابعه صلى الله عليه وسلم .

ولكننا إذا تأملنا قليلا في هذه الآية مراعين السياق الذي وردت فيه ، تبين بدون أدنى ريب أن لا مجال البتة لتفسير هذه الكلمة — خاتم النبيين — بهذا المعنى . بل لو كان هذا هو معنى الكلمة لصارت في غير محلها وكانت مخالفة لفحوى الكلام أيضا فأي مناسبة عسى أن تكون في هذه الآية لبيان محمد صلى الله عليه وسلم هو طابع الأنبياء وأن جميع الأنبياء الذين يأتون بعده لا يكونون أنبياء إلا لكونهم مطبوعين بطابعه عليه الصلاة والسلام . مع أن الآية جاءت هنا في سياق الرد على اعتراضات الكفار والمنافقين وشبهاتهم التي اثاروها حول زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب رضي الله عنها ؟ فهذا البيان غير متلائم مع سياق العبارة بل إنه على عكس ما يريده الله سبحانه وتعالى حيث يضعف الحجة التي وردت آنفاً في رد شبهات الكفار والمنافقين ويؤيد اعتراضاتهم وشبهاتهم . ويعطي لهم الفرصة ليقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنك لو لم تقم بهذا العمل

– (أي تحطيم عادة التبني والزواج بمطلقة المتبني) – بنفسك الآن لما كان هناك خطر عظيم ولقام بهذا العمل نبي من الأنبياء الذين سيأتون بعدك مطبوعين بطابعك .

والتأويل الثاني لهذه الطائفة أنها تفسر « خاتم النبيين » بأفضل النبيين » أي أن باب النبوة لا يزال مفتوحا . غير أن فضائل النبوة قد تمت على محمد صلى الله عليه وسلم – ولكن هذا المفهوم لخاتم النبيين فيه أيضاً نفس تلك المفسدة التي قد ذكرناها آنفاً في التأويل الاول . وهو أيضاً لا يتلاءم مع سياق الآية بل يخالفه مخالفة صريحة . اذ كان للمنافقين أن يقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم إذن : لماذا يا حضرة النبي قد رأيت من الضروري أن تقوم انت بنفسك بهذا العمل . فإنك لو لم تقم به الآن لقام به أحد من الانبياء بعدك على كونه أقل درجة منك ؟

المعنى اللغوي لكلمة « خاتم النبيين » :

فالذي يقتضيه إذن سياق العبارة أن لا نفسر « خاتم النبيين » في هذه الآية إلا بمعنى من قد ختم سلسلة النبوة ، ونعتقد اعتقاداً جازماً أنه لن يأتي بعد محمد صلى الله عليه وسلم أي نبي من الله الى يوم القيامة . ولكن ليس هذا ما يقتضيه سياق الآية فحسب بل هو كذلك مما تقتضيه اللغة . فمعنى « الختم » بموجب لغة العرب وأساليب كلامهم : الطبع والإتمام والسد والوصول الى الإنتهاء يقال ختم الشيء وعليه : إذا بلغ آخره ، وختم العمل

اذا فرغ منه ، وختم الإناء : إذا سده بالطين ونحوه . وختم الكتاب : اذا قرأه كله وفرغ منه ، وختم على قلبه : اذا جعله لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء ، وختام كل مشروب : آخره وختام الوادي : أقصاه ، وخاتمة كل شيء : عاقبته وآخرته ، وخاتم القوم وخاتمهم : آخرهم . (راجع : لسان العرب والقاموس المحيط وأقرب الموارد .) [1]

---

(١) نحن وإن قد ذكرنا الاستشهاد ههنا بثلاثة معاجم اللغة ، ولكنه ليس بمنحصر في هذه المعاجم الثلاثة فحسب ، بل راجع أي معجم شئت من معاجم اللغة العربية . لا تجد فيه لكلمة « الختم » إلا نفس هذا المعنى . ولكن من عادة منكري ختم النبوة وديدنتهم التي درجوا عليها انهم يحملون لقب دين الله وتأويل أحكامه ومبادئه على هواهم بدل أن يستندوا إلى معاجم اللغة يحاولون الاستناد إلى أن أحداً من الناس إذا لقب بخاتم الشعراء أو بخاتم الفقهاء أو بخاتم المفسرين فلا يكون معنى ذلك أنه لن يأتي بعده شاعر أو فقيه أو مفسر وإنما يكون معنى ذلك أن قد تمت عليه فضائل فن الشعر أو الفقه أو التفسير ، مع أن ليس معنى استعمال مثل هذه الألقاب على سبيل المبالغة أن يصير معنى « الخاتم » الحقيقي : الكامل أو الأفضل حتى باعتبار اللغة ويصبح من الخطأ بعده استعمال هذه الكلمة بمعنى « الآخر » بتاتاً . ولعمري ان قولا سخيفاً مثل هذا لا يمكن أن يأتي به إلا من كان على أوفر نصيب من الجهل بقواعد اللغة وأساليب الكلام الإنساني . ليس من قواعد أية لغة في العالم أن كلمة إذا كان الناس يستعملونها مجازاً بمعنى خاص في بعض محاوراتهم ، أصبح ذلك المعنى المجازي هو معناها الحقيقي وامتنع استعمالها بمعناها اللغوي الحقيقي . وماذا ترى ؟ إنك إذا قلت لرجل من العرب « جاء خاتم القوم » فهل يفهم أنك تعني « قد جاء أفضل القوم وأكملهم أم إنما يفهم أنك تعني« قد جاء القوم كلهم حتى آخر رجل منهم » ؟

لاجل هذا فإن علماء اللغة والتفسير مجمعون على أن معنى « خاتم النبيين : آخرهم الذي لا نبي بعده . واذا كان معنى الخاتم : الطابع فليس المراد به بالطابع الذي يطبع به على الرسائل في دائرة البريد عند توزيعها وإنما المراد به الطابع الذي يطبع به على الغلاف لئلا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه .

— ومما يجب أن لا يغيب عن البال مع هذا أن أفراداً من الناس إن كانوا قد لقبوا بخاتم الشعراء أو خاتم المحدثين ، فإنما كان الناس هم الذين لقبوهم بهذه الكلمات ومن المحال إذا لقب الناس أحداً بالخاتم أن لا يأتي بعده من يحمل صفة مثل صفته ، فما مثل هذه الألقاب في الكلام الانساني إلا بمنزلة المبالغة والاعتراف بالكمال . ولكن الله سبحانه وتعالى قال في عبد من عباده أن قد تمت عليه الصفة الفلانية فما ثمة ما يوجب أن نفسر بقول الله أيضاً في معناه المجازي . ولو أن الله قال في أحد من عباده أنه خاتم الشعراء ، لما جاء بعده شاعر أبداً . وهكذا فإنه لما قد قال في نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين ، فمن المحال القطعي أن يأتي بعده نبي إلى يوم القيامة ، وذلك أن الله عالم الغيب وأما الانسان فليس كذلك ، فكيف يجوز أن يكون قول الله في أحد من عباده أنه خاتم النبيين وقول الناس في أحد منهم أنه خاتم الشعراء أو خاتم الفقهاء بمنزلة سواء ؟

عَقيدة ختم النبوّة كما وَرَدَتْ في الأحاديث

هذا هو معنى « خاتم النبيين » لغة وبموجب سياق العبارة وسباقها في آية القرآن . وهو عين المعنى الذي بينه وأكده النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الكلمة في غير واحد من أقواله المروية عنه في الصحاح ، البالغة حد التواتر . وفي ما يلي نذكر عددا من أقواله على سبيل المثال :

١ ـــ قال النبي صلى الله عليه وسلم « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء » . (رواه البخاري : كتاب المناقب ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل) .

٢ ـــ قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » . (رواه

البخاري : كتاب المناقب . باب خاتم النبيين) وقد أخرج مسلم أربعة أحاديث في هذا المعنى في صحيحه : كتاب الفضائل . باب خاتم النبيين . وزاد في الحديث الأخير « فجئت فختمت الأنبياء » وقد أخرج الترمذي هذا الحديث بعين ألفاظه في سننه : كتاب المناقب . باب فضل النبي . وكتاب الآداب . باب الامثال . كما قد أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده في حديث جابر بن عبد الله . وفي آخره قول النبي صلى الله عليه وسلم « فختم بي الأنبياء » . وقد أخرج الإمام أحمد عدة أحاديث في هذا المعنى مع اختلاف يسير في ألفاظها عن أبي بن كعب وابي سعيد الخدري وابي هريرة » .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم. ونصرت بالرعب . وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا . وأرسلت الى الخلق كافة . وختم بي النبيون » . (رواه مسلم والترمذي وابن ماجه) .

٤ ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي » . (رواه الترمذي في سننه : كتاب الرؤيا . باب ذهاب النبوة وقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مرويات انس بن مالك) .

٥ ــ قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا محمد ، وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر

الناس على عقبه وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي » . رواه الشيخان في صحيحهما : كتاب الفضائل باب اسماء النبي ، والترمذي في سننه : كتاب الآداب . باب أسماء النبي . والإمام مالك في الموطأ . كتاب اسماء النبي والحاكم في مستدركه : كتاب التاريخ ، باب اسماء النبي .

٦ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة » (رواه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب الدجال) .

٧ ـ عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت عبد الله بن عمر وبن العاص يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع . فقال : « أنا محمد النبي الامي ثلاثا ولا نبي بعدي » (رواه الإمام أحمد في مسنده في مرويات عبد الله بن عمر وبن العاص) .

٨ ـ قال رسول ا صلى الله عليه وسلم : « لا نبوة بعدي إلا المبشرات » . قيل : « وما المبشرات يا رسول الله ؟ » قال « الرؤيا الحسنة » أو قال « الرؤيا الصالحة » . (رواه أبو داود والنسائي والامام أحمد في مرويات أبي الطفيل) .

٩ ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب » (رواه الترمذي في سننه : كتاب المناقب) .

١٠ – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليٍّ : انت ي بمنزلة هارون من موسى ، . إلا أنه لا نبي بعدي »

رواه الشيخان في صحيحهما : كتاب فضائل الصحابة وقد أخرجه الشيخان في ذكر غزوة تبوك أيضاً . وأخرج الإمام في مسنده روايتين في هذا المعنى وفي آخر إحداهما قول النبي صلى الله عليه وسلم «ألا إنه لا نبوة بعدي ».ويعلم من الروايات التفصيلية التي أخرجها أبو داود الطيالسي والإمام أحمد ومحمد بن اسحاق في هذا الباب أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يخلف عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالمدينة عند توجهه الى تبوك . فقال فيه المنافقون ما قالوا فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « يا رسول الله أتخلفني في الخالفة — المرأة القاعدة في البيت — في النساء والصبيان » ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطمئنه ويخفف من حزنه « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى » ؟ أي إني لا أخلفك بالمدينة بعدي إلا كما خلف موسى هارون على بني إسرائيل حين واعده ربه ودعاه الى جبل طور . ولكن مع ذلك خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبب تشبيهه عليا بهارون نوعا من الفتنة بعده فقال من فوره « ألا لانبي بعدي » .

١١ – عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ...وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » .رواه أبو داود في كتاب

الفتن . كما قد أخرج حديثاً آخر في هذا المعنى عن أبي هريرة في كتاب الملاحم . وقد أخرجهما الترمذي أيضاً عن ثوبان وأبي هريرة وفي آخرهما أن قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله » .

١٢ — قال النبي صلى الله عليه وسلم « لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي أحد فعمر » . أخرجه البخاري في كتاب المناقب . وقد أخرجه مسلم أيضاً في صحيحه وفيه « محدثون » بدلا من « رجال يكلمون »، ولكن لا فرق بين المكلم والمحدث من حيث المعنى والمراد بهما : المشرف بالمكالمة الإلهية أو المكلم من وراء حجاب . ويدل هذا على أنه لو كان في هذه الأمة رجل مشرف بالمخاطبة الإلهية بغير نبوة لكان عمر رضي الله عنه .

١٣ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتي » . رواه الطبراني والبيهقي : كتاب الرؤيا .

١٤ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد [1] » رواه مسلم في كتاب

---

(١) يستدل منكرو ختم النبوة بهذا الحديث على أن النبي صلى الله عليه =

لحج : باب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة .

هذه هي أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في ختم النبوة قد رواها عنه جماعة كبيرة من الصحابة ونقلها عنهم عدد عظيم من المحدثين بطرق قوية . والذي يتبين من دراستها بكل

= وسلم كما قد قال وان مسجدي آخر المساجد مع أن ليس مسجده آخر المساجد ، وقد بني بعده ما لا يحصى من المساجد في الدنيا ، كذلك انه لما قال « أني آخر الأنبياء » فإن قوله هذا لا يمنع أن يأتي بعده الأنبياء ، غير أنه آخر الأنبياء وان مسجده آخر المساجد من حيث الفضل. ولكن الذي تدل عليه مثل هذه التأويلات السخيفة أن القوم قد حرموا نعمة فهم كلام الله ورسوله ، لأن نظرة شاملة في كل الروايات التي وردت حيث ورد هذا الحديث في صحيح مسلم أكثر من الكافي لتبين بأي معنى قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن مسجده أنه آخر المساجد ؟ فالروايات التي أخرجتها مسلم عن أبي هريرة وعبد الله ابن عمرو وأم المؤمنين ميمونة رضي الله عنهم ونقلها في صحيحه مع هذا الحديث ، قيل فيها انه ليس في الدنيا إلا ثلاثة مساجد لها الفضل على سائر المساجد والصلاة فيها خير من ألف صلاة في غيرها ، فلا يجوز للناس -- على هذا -- أن يشدوا الرحال للصلاة في أي مسجد آخر غير هذه المساجد الثلاثة وهي : المسجد الحرام بمكة المكرمة ، الذي بناه ابراهيم عليه السلام ، والمسجد الأقصى ببيت المقدس ، الذي بناه سليمان عليه السلام . والمسجد النبوي بالمدينة المنورة ، الذي بناه نبينا صلى الله عليه وسلم فمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما كان آخر الأنبياء ولا يأتي بعده إلى يوم القيامة نبي آخر فلا يبقى في الدنيا بعد مسجده مسجد رابع تكون الصلاة فيه خيراً من الصلاة في المساجد الأخرى ويجوز شد الرحال للصلاة فيه .

وضوح وجلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صرح في مختلف المواضع وبمختلف الألفاظ وأساليب البيان بأنه آخر نبي ، وأنه لن يأتي بعده أي نبي آخر الى يوم القيامة وأنه قد انتهت به سلسلة بعث الأنبياء والرسل من الله وإن كل من قام بدعوى النبوة أو الرسالة بعده ، فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل[1]

فأي تفسير لقول الله عز وجل « وخاتم النبيين » عسى أن يكون أكثر صحة وأقوى إسنادا وأقطع ثبوتا وأوضح دلالة من هذا التفسير ؟ إن قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حد ذاته حجة ويزداد قوة في الحجة إذا كان شرحا لنص من نصوص القرآن . ومن ذا عسى أن يكون أعرف بالقرآن وأحق بتفسير

---

(١) وهل تعرف أيها القارئ، بماذا يعارض منكرو ختم النبوة هذه الأقوال للرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ما يعارضونها إلا برواية عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « قولوا انه خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده » وأقول : ليست معارضة الأقوال الصريحة للنبي صلى الله عليه وسلم بقول من أقوال أحد أصحابه إلا تماد في الغي والضلال وإمعان في في الجهل ، إساءة الأدب مع مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وفوق هذا فليست الرواية التي ينقلون فيها هذا القول عن عائشة رضي الله عنها بحجة في نفسها إذ لم يذكرها عالم من علماء الحديث في كتاب من كتب الحديث ، وإنما نقلها صاحب « الدر المنثور » كتاب من كتب التفسير — وصاحب « تكملة مجمع البحار » كتاب لغة الحديث — ولا علم لأحد بإسنادها .

معانيه من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يبين لحم النبوة معنى غير المعنى الذي بينه صلى الله عليه وسلم فنراه جديرا بالإلتفات اليه فضلا عن أن نقبله ونعترف بصحته ؟ أعاذنا الله من الغي بعد الهدى والجهل بعد العلم والعمى بعد البصيرة .

إجماع الصحابة على ختم النبوة

وإن إجماع الصحابة له الأهمية الكبرى بالدرجة الثالثة بعد القرآن والسنة .

ومما قد اتفقت عليه الروايات التاريخية الموثوق بها أن الصحابة حاربوا بإجماعهم كل من قام بدعوى النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا بنبوته وعاونوه على إظهار أمره .

وأحق بالذكر في هذا الشأن مسيلمة الكذاب ولم يكن منكرا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان من دعواه أنه قد أشرك مع محمد صلى الله عليه وسلم في أمر النبوة . وقد جاء في رسالته التي ارسلها الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته عليه الصلاة والسلام : « من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليك فإني اشركت في الأمر معك (١) » ، وفوق هذا فقد روى

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٩٩ طبعة القاهرة .

الطبري أن كان من كلمات الأذان التي اتخذها مسيلمة « اشهد أن محمدا رسول الله » .

ولكن على هذا الإقرار الصريح بالرسالة المحمدية أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على تكفيره واعتباره خارجاً من دائرة الإسلام وعلى ذلك قاتلوه . وقد ثبت من التاريخ كذلك أن كان بنو حنيفة آمنوا به وأيدوه في أمره عن إخلاص وصفاء نية (In Cood Faith) وحقاً كانوا قد انخدعوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نفسه قد اشركه معه في أمر النبوة وذلك بأن رجلا كان تعلم القرآن في المدينة المنورة ذهب الى بني حنيفة وقرأ عليهم بعض آيات القرآن موهما إياهم أنها نزلت على مسيلمة [(١)] ولكن على الرغم من ذلك فإن الصحابة ما اعترفوا بإسلامهم وخرجوا لقتالهم . ثم إنه لا مجال للقول في هذا الصدد بأن الصحابة ما خرجوا لقتالهم بناء على ارتدادهم عن الإسلام وإنما خرجوا لقتالهم بناء على خروجهم على الدولة الإسلامية وشقهم عصا طاعتها . وبموجب القانون الإسلامي إذا قوتل البغاة الذين خرجوا على الدولة الإسلامية وشقوا عصا طاعتها، فإنه لا يستعبد رجالهم ولا تسبى نساؤهم، بل لا يجوز ذلك حتى بالنسبة لأهل الذمة فضلا عن المسلمين . ولكن الصحابة خرجوا لقتال مسيلمة وأتباعه وأعلن أبو بكر الصديق رضي الله عنه « أن يحرقوا بالنار وأن يقتلوا كل قتلة وأن تسبي نساؤهم وذراريهم ولا يقبل من أحدهم غير الإسلام » . وفعلا إنهم لما أسروا استعبد رجالهم وسبيت نساؤهم ومنهم تسرى علي بن أبي

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٥ ص ١٥١ .

طالب بجارية ولدت له ابنه محمد بن الحنيفة [1]

وقد اتضح بذلك جليا أن الجريمة التي من أجلها خرج الصحابة رضوان الله عليهم لمحاربة بني حنيفة ، ما كانت جريمة الخروج على الدولة وإنما كانت أن قام رجل منهم بدعوى النبوة وآمن به سائرهم . وقد وقع كل ذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على الفور وتحت قيادة أبي بكر الصديق وعلى إجماع من الصحابة كلهم ولعله لا يوجد على إجماع الصحابة مثال أوضح من ذلك .

---

(١) الحنفية أي امرأة من بني الحنيفة .

إجماع علماء الأمة عليها

وإن إجماع علماء الأمة بعد عصر الصحابة هو الحجة في مسائل الدين بالدرجة الرابعة بعد اجماع الصحابة . ونحن إذا نظرنا من هذه الجهة وجدنا علماء الأمة في كل زمان وفي كل مكان بعد القرن الأول الى يومنا هذا مجمعين بكل معنى الكلمة على العقيدة بأنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم . وإن كل من قام بعده بدعوى النبوة أو صدقه في دعواه هو كافر خارج دائرة الإسلام وجماعة المسلمين وإليك عدة شواهد بذلك :

١ – الإمام أبو حنيفة (٨٠ – ١٥٠ هـ) : تنبأ رجل في زمن أبي حنيفة رحمه الله وقال : أمهلوني حتى أجيء بالعلامات فقال أبو حنيفة : من طلب منه علامة فقد كفر لقوله عليه السلام « لا نبي بعدي »[١]

---

(١) تفسير القرآن ، ج ٢٢ ص ١٢

٢ ــ العلامة ابن جرير الطبري (٢٢٤ ــ ٣١٠ هـ) :
«ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده الى قيام الساعة .»[١]

٣ ــ الإمام الطحاوي (٢٣٩ــ٣٢١ هـ) يقول بصدد بيانه عقائد أئمة السلف ولا سيما الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله في كتابه العقيدة السلفية : «وإنه خاتم النبيين وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين وكل دعوى النبوة بعده فغيّ وهوى »[٢] .

٤ ــ العلامة ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ ــ ٤٥٦ هـ) :
« وإن الوحي قد إنقطع مذ مات النبي صلى الله عليه وسلم ، برهان ذلك أن الوحي لا يكون إلا الى نبي وقد قال عز وجل « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »[٣] .

٥ ــ الإمام الغزالي (٤٥٠ ــ٥٠٥ هـ) :إن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ (أي لا نبي بعدي) ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم نبي بعده أبدا وعدم رسول بعده أبدا ، وإنه ليس

---

(١) روح البيان ٢٢ ص ١٨٨ ، ومناقب الإمام الأعظم لابن أحمد المكي طبعة حيدر آباد ج ١ ص ١٦٠

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية المطبوع بدار المعارف بمصر ص ١٥ ، ٨٧ ، ٩٦ ــ ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢

(٣) المحلى : ج ١ ص ٢٦

فيه تأويل ولا تخصيص فمنكر هذا لا يكون إلا منكر الاجماع [١].

٦ ــ محي السنة البغوي (٥١٠ هـ) : « ختم الله به النبوة فهو خاتمهم ... ويروى عن ابن عباس أن الله تعالى حكم أن لا نبي بعده » [٢].

٧ ــ العلامة الزمخشري (٤٦٧ ــ ٥٣٨ هـ) : « فإن قلت كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان ، قلت معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبيء قبله ، وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته » [٣].

٨ ــ القاضي عياض (ف ٥٤٤ هـ) : ومن ادعى النبوة لنفسه أو جوز إكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتهما كالفلاسفة وغلاة المتصوفة ، وكذلك من ادعي منهم أنه يوحي اليه وإن لم يدع النبوة ...فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين لا نبي بعده وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس . وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وإن مفهومه والمراد به دون تأويل ولا تخصيص ، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا إجماعا وسمعا » [٤].

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد : ص ١١٣ (المطبعة الأدبية ــ مصر)
(٢) تفسير القرآن « معالم التنزيل » ج ٣ ص ١٥٨
(٣) تفسيره للقرآن « الكشاف » : ج ٢ ص ٢١٥
(٤) الشفاء : ج ٢ ص ٢٧٠ ــ ٢٧١

٩ ـ العلامة الشهرستاني (ف٥٤٨ ﻫ) : وكذلك من قال . وإن بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا غير عيسى بن مريم عليه السلام فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره »[١] .

١٠ ـ الإمام الرازي (٥٤٣ ـ ٦٠٦ ﻫ) :« وخاتم النبيين وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده ، وأما من لا نبي بعده ، فيكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد »[٢].

١١ ـ العلامة البيضاوي (ف٦٨٥) : « أي آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به ، ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل كان على دينه »[٣] .

١٢ ـ العلامة حافظ الدين النسفي (ص ٧١) : «وخاتم النبيين أي آخرهم ، يعني لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبىء قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه عليه وسلم كأنه بعض أمته »[٤] .

١٣ ـ العلامة علاء الدين علي بن محمد البغدادي (ف٧٢٥ ﻫ) : وخاتم النبيين ، ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده ولا معه ..

---

(١) الملل والنحل : ج ٣ ص ٣٤٩
(٢) التفسير الكبير ج ٦ ص ٥٨١
(٣) أنوار التنزيل : ج ٤ ص ١٦٤
(٤) مدارك التنزيل : ص ٤٧١

وكان الله بكل شيء عليما . أي دخل في علمه أنه لا نبي بعده »[1].

١٤ ــ العلامة ابن كثير الدمشقي (ف٧٧٤) : « فهذه الآية نص على أنه لا نبي بعده واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الاولى والأحرى . لأن مقام الرسالة اخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس »[2].

١٥ ــ العلامة جلال الدين السيوطي (ف ٩١١ هـ) : « وكان الله بكل شيء عليما أي عليماً بأن لا نبي بعده وإذا نزل عيسى يحكم بشريعته »[3].

١٦ ــ العلامة ابن نجيم (ف ٩٧٠هـ) . إذا لم يعرف أن محمداً صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء فليس بمسلم لأنه من الضروريات[4].

١٧ ــ الملاّ علي القاري (ف ١٠١٦هـ) : ودعوى النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم كفر بالإجماع[5].

١٨ ــ الشيخ إسماعيل الحقي (ف ١٣٧ هـ) : « وخاتم النبيين . قرأ عاصم بفتح التاء وهو آلة الختم بمعنى ما يختم بـــه

---

(١) الخازن : ص ٤٧١ ــ ٤٧٢

(٢) تفسير للقرآن : ج ٣ ص ٤٩٣

(٣) تفسير الجلالين : ص ٧٦٨

(٤) الأشباه والنظائر ، كتاب السر ، باب الردة : ص ١٧٩

(٥) شرح الفقه الأكبر : ص ٢٠٢

كالطابع بمعنى ما يطبع به ، و، مني :، كان آخرهم الذي ختموا به ...وقرأ الباقون بكسر التاءأي كان خاتمهم أي فاعل الختم... فكانت علماء أمته ورثته عليه السلام من جهة الولاية ، وانقطع إرث النبوة بختميته ولا يقدح في كونه خاتم النبيين نزول عيسى بعده لأن معنى كونه خاتم النبيين أنه لا ينبأ بعده أحد كما قال لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » وعيسى ممن تنبأ قبله وحين ينزل إنما ينزل على شريعة محمد عليه السلام مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته فلا يكون اليه وحي ولا نصب احكام بل يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) .

١٩ ــ وفي « الفتاوى العالمكيرية » التي ألفها عدد عظيم من كبار علماء الهند في القرن الثاني عشر على أمر من الملك العالمكير أورنك زيب : « إذا لم يعرف الرجل أن محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء فليس بمسلم ولو قال « أنا رسول الله » أو قال بالفارسية «من بيغمبرام » (أنا نبي) يريد به من بيغام من برم (أنا آتي بالرسالة يكفر) (٢) .

٢٠ ــ القاضي الشوكاني (ف ١٢٥٥ هـ) : «قرأ الجمهور « خاتم » بكسر التاء وقرأ عاصم بفتحها ومعنى القراءة الأولى أنه ختمهم أي جاء آخرهم ، ومعنى القراءة الثانية أنــه صار

---

(١) روح البيان : ج ٢٢ ص ١٨٨
(٢) ج ٢ ص ٢٦٣

كالخاتم لهم الذي يختمون به ويتزينون بكونه منهم »[1].

٢١ ـ العلامة الآلوسي (ف ١٢٧٠) : «والمراد بالنبي ما هو أعم من الرسول فيلزم من كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين . والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في احد من الثقلين بعد تحليه عليه السلام بها في هذه النشأة...وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السنة وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصر [2] .

هذا ما صرح به في ما يتعلق بختم النبوة أكابر العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين في كل بلد من بلاد العالم من الهند الى مراكش وأندلس ومن تركيا الى اليمن . وقد ذكرنا مع أسمائهم سني ولادتهم ووفاتهم ، مما يستطيع القارىء إذا ألقى نظرة أن أن يعرف أن فيهم أكابر الأمة الاسلامية في كل قرن منذ بدء التاريخ الإسلامي الى أواخر القرن الثالث عشر الماضي. ونحن وإن كان بوسعنا أن نضيف الى أقوالهم أقوال علماء الاسلام في القرن الرابع عشر الجاري . ولكن قد صرفنا عنها النظر ولم نذكرها عمدا لأن لرجل أن يحتال ويقول جوابا عليها إن العلماء في القرن الجاري إنما بينوا هذا المعنى لختم النبوة عنادا لمن قام بدعوى النبوة في زمانهم ، لهذا فإننا لم نذكر إلا أقوال علماء الإسلام قبل القرن الجاري والظاهر في أمرهم أنهم لم يكونوا على

---

(١) فتح القدير : ج ٤ ص ٢٧٥

(٢) روح المعاني ج ٢٢ ص ٣٢ و ٣٩

عناد لرجل في هذا القرن .

وبما يثبت بهذه الأقوال قطعا أن العالم الاسلامي منذ القرن الاول الى هذا اليوم ما زال يرى معنى « خاتم النبيين » : آخرهم الذي لا نبي بعده . وإنه ما زال المسلمون مجمعين على العقيدة بانسداد باب النبوة الى أبد الآباد بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لم يختلف إثنان منهم قط في ان كل من قام بدعوى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أو صدقه في دعواه وآمن بنبوته الزائفة ، هو كافر خارج من دائرة الأسلام .

ولكل ذي عينين أن يرى الآن بنفسه الى أي حد يجوز أن يفسر قوله تعالى « خاتم النبين » بمعنى غير المعنى الذي هو ثابت من اللغة وكلام العرب ، وهو ظاهر من سياق العبارة وسباقها في نص القرآن ، وهو ما قد صرح به النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، وهو ما أجمع عليه الصحابة ، وهو ما لم يختلف فيه اثنان من علماء الأمة الإسلامية منذ عصر الصحابة الى الوقت الحاضر في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي ، وكيف يجوز بعد ذلك أن يفتح باب النبوة لمن دعاها لنفسه في هذا الزمان ، وكيف يجوز الإعتراف باسلام الذين ما أعلنوا رأيهم ببقاء باب النبوة مفتوحاً فحسب ، ولكن قد آمنوا كذلك بنبوة رجل ولج عن طريقه الى حرم النبوة .

وهناك ثلاثة أمور أخرى يجب التفكر فيها في هذا الصدد :

١ ـ هل الله عدو لإيماننا ؟

أولها أن ليس أمر النبوة بأمر هين . بل هو في غاية من الأهمية والخطورة والإرهاف لأن النبوة بموجب نصوص القرآن من العقائد الأساسية التي يتوقف على الإيمان أو عدم الإيمان بها إسلام المرء وكفره . ومن ذلك أن رجلا إن كان نبياً فلم نؤمن به . فقد كفرنا ، وهو إن لم يكن نبيا فآمنا به ، فقد كفرنا . ولذلك لا يرجى من الله تعالى عدم الوضوح في مثل هذا الأمر الخطر المرهف بطريق الاولى ، وهو لو كان مرسلا أحدا بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، لصرح به بكلمات واضحة في كتابه ، وأمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يصدع به بين الناس ، وما أدرك صلى الله عليه وسلم منيته قبل أن ينبه أمته تنبيهاً مكرر مؤكدا على أن الأنبياء سيأتون من بعده فعليهم أن يؤمنوا بهم ويعززوهم وينصروهم . وقل لي بالله أي حقد كان يضمره الله ورسوله علينا حتى أبيا أن يخبرانا بأن باب النبوة لا يزال مفتوحاً وأنه سيأتي بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي آخر يتوقف على الإيمان به إسلامنا ونجاتنا في الآخرة ، إن كان باب النبوة مفتوحاً وكان لنبي أن يأتي بعد محمد صلى الله عليه وسلم في حقيقة الأمر ؟ ليس هذا فحسب : بل قالا ما جعل الأمة تعتقد لثلاثة عشر قرناً ولا تزال تعتقد حتى اليوم وهو أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء وأنه ليس لأحد أن ينبأ بعده أبدا .

وإن كان باب النبوة لا يزال مفتوحا (كما يقول به بعض الضالين المضلين) وجاءنا من الله نبي لغرض المحال ، فلنا أن نكذبه تكذيبا ونرد عليه دعواه بدون ما خوف على أنفسنا ، إذ لا خوف إلا من بطش الله وعقابه ، فهو إن سألنا يوم القيامة : لماذا لم تؤمنوا بفلان وكنت بعثته إليكم نبياً ؟ وضعنا بين يديه كل هذا السجل الذي ذكرنا آنفاً لأقواله جلّ شأنه وأقوال رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقلنا له — والعياذ بالله — إن كتابك وسنة رسولك هما اللذان أضلانا وعرّضانا لهذا الخطر . ونرجوا أن الله لن يعاقبنا على عدم إيماننا بنبي جديد إذا وضعنا بين يديه هذا السجل لأقواله وأقول رسوله .

هذا ، إن كان باب النبوة لا يزال مفتوحا ، وأما إن كان مسدودا وما كان لاحد أن ينبأ بعد محمد صلى الله عليه وسلم في حقيقة الأمر ، ولكن على رغم هذا آمن شخص بنبي كذاب فعلى هذا الشخص أن يتفكر ملياً : أي سجل يستطيع أن يضعه بين يدي الله يوم القيامة ويرجو على أساسه النجاة من بطشه وعقابه ؟ عليه أن يستعرض منذ الآن كل ما قد أعد من المواد للدفاع عن نفسه قبل أن يحضر في محكمة الآخرة ، ويرى بمقارنة مواده بموادنا التي ذكرنا : هل يجوز له إن كان عاقلا أن يعرض نفسه لخطر عقاب الله معتمدا على مثل هذه المواد ؟

٢ — هل الإنسانية في حاجة إلى نبي جديد ؟

والأمر الثاني الجدير بأن نتفكر فيه ، هو أن ليست النبوة

صفة تنشأ في كل من يجعل نفسه أهلاً لها بالارتقاء والتقدم في العبادة وعمل الصالحات ، ولا هي جائزة يمنحها الله عبدا من عباده مكافأة له على بعض خدماته وأعماله المرضية ، وإنما هي منصب يوسده الله تبارك وتعالى الى من يصطفيه من عباده لإنجاز مهمة خاصة : بحيث إن هذه الحاجة إذا إقتضت أن يكون لها من يحققها أسندها الله تعالى الى من يشاء من عباده ، وإذا لم تكن هناك هذه الحاجة أو لم تبق ، فإن الله لا يرسل نبيا لتحقيقها أصلا .

ونحن إذا تتبعنا أي القرآن بغية أن نعرف الأسباب التي لإجلها ظهرت الحاجة الى إرسال نبي في أمة من أمم الأرض . علمنا أن هذه الأسباب أربعة :

١ ــ كانت هذه الأمة ما جاءها من الله نبي من قبل ولا كان لتعاليم نبي مبعوث في أمة غيرها أن تصل اليها .

٢ ــ كان قد أرسل اليها نبي من قبل ولكن كان تعليمه قد انمحى أو لعبت به يد النسيان والتحريف حتى لم يعد بإمكان الناس أن يتبعوه إتباعاً كاملا صحيحا .

٣ ــ كان قد أرسل اليها نبي من قبل ولكن تعاليمه ما كانت كاملة ولا هدايته كانت شاملة فالحت الحاجة الى المزيد من الأنبياء لا كمال الدين .

٤ ــ كان قد أرسل اليها نبي ولكن كانت الحاجة تقتضي أن يرسل معه نبي آخر لتصديقه وتأييده ،والظاهر أن كل سبب من هذه الاسباب الأربعة قد زال بعد النبي محمد صلى الله عليه

وسلم فلا حاجة للأمة الإسلامية ولا لأية أمة أخرى في العالم الى أن يرسل اليها نبي جديد بعد محمد صلى الله عليه وسلم :

قد تولى القرآن بنفسه بيان إن كانت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ولهداية الدنيا كلها . «قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا» وأيضاً مما يدل عليه تاريخ الحضارة في الدنيا أن الظروف في العالم ما زالت منذ بعثته صلى الله عليه وسلم ولا تزال مهيأة بحيث من الممكن أن تصل دعوته الى كل صقع من أصقاع العالم والى كل أمة من أممه ، فلا حاجة بعد ذلك الى نبي جديد الى أمة من أمم الدنيا أو صقع من أصقاعها ،فبذلك قد زال السبب الأول .

ومما يشهد به القرآن كذلك وتؤيده عليه ذخيرة كتب الحديث والسيرة أن التعليم الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم لايزال حيا محفوظا على صورته الحقيقية ولم تلعب به يد النسيان ولا التحريف والتبديل . اما الكتاب الذي جاء به فما وقع التحريف ولا النقص ولا الزيادة في أي حرف من أحرفه ولا من الممكن أن يقع الى يوم القيامة . وأما الهداية التي أعطاها للناس بأقواله وأفعاله فإننا نجد آثارها حتى اليوم حية مصونة كأننا امام شخصه صلى الله عليه وسلم وفي زمانه . فبذلك قد زال السبب الثاني أيضا .

ثم إن القرآن ليصرح كذلك بأن الله تعالى قد أكمل دينه بواسطة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فبذلك قد زال السبب الثالث أيضاً .

ثم ان الحاجة لو كانت تقتضي إرسال نبي مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم لتأييده وتصديقه لأرسل في زمانه صلى الله عليه وسلم . فبذلك قد زال السبب الرابع أيضاً » .

فأي سبب خامس بعد زوال هذه الأسباب الأربعة عسى أن يقتضي بعثة نبي جديد بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؟... وإن قيل إن الأمة قد فسدت فالعمل على إصلاحها يحتاج الى بعثة نبي جديد . قلنا : هل بعث نبي في الدنيا لمجرد الإصلاح حتى يبعث في هذا الزمان لمجرد هذا الغرض ؟ إن النبي لا يبعث إلا ليوحى اليه . ولا تكون الحاجة الى الوحي الا لتبليغ رسالة جديدة أو إكمال رسالة متقدمة أو لتطهيرها من شوائب التحريف والتبديل . فلما قد قضيت كل هذه الحاجات الى الوحي بحفظ القرآن وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وإكمال الدين على يده صلى الله عليه وسلم . فلم تبق الحاجة الآن الى الأنبياء وإنما هي الى المصلحين .

ما النبوة الجديدة برحمة للأمة وإنما هي لعنة من لعنات الله :

والأمر الثالث الذي يدعونا الى التفكر في هذا الشأن هو أن النبي لا يبعث في أمة إلا وينشأ فيها — بدون ما تأخير — قضية الكفر والإيمان . وذلك أن الذين يؤمنون به يكونون أمة . والذين لا يؤمنون به يكونون أمة أخرى لا محالة . والإختلاف بين هاتين الأمتين لا يكون اختلافا فرعيا وإنما يكون اختلافاً

اساسيا . اختلاف الكفر والإيمان ، الذي من شأنه أن لا يسمح لهما بالإتحاد والإجتماع ما لم تتخل إحداهما عن عقيدتها ، ولا بد ـ الى ذلك ـ أن يكون مصدر الهداية والقانون لإحداهما غير مصدرهما للاخرى فعلا ، لأن إحداهما إنما تستمد القانون لحياتها من وحي وسنة نبيها الذي تؤمن به ، بينما تأبى الأخرى أن تعترف بوحيه وسنته مصدرا للقانون أصلا ، فلا إمكان ـ لهذا ـ أن تكونا من بينهما مجتمعا موحدا أبدا .

ولعمر الحق ان الانسان اذا وضع هذه الحقائق نصب عينيه ، فإنه لا يلبث أن يعرف جليا أن ختم النبوة من أعظم نعم الله وبركاته على الأمة الإسلامية ، إذ به وحده أصبحت لهذه الأمة أن تظهر في الدنيا بمظهر أخوة عالمية خالدة ، وهو الذي قد صان المسلمين من أن يذهبوا ضحايا كل اختلاف أساسي قد يثير بينهم الفرقة والشقاق الى أبد الآباد ، فكل من يعتقد الآن بقيادة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى الرشد والصلاح الا في هديه صلى الله عليه وسلم ، ولا يستمد القانون والهداية من مصدر غير تعليمه صلى الله عليه وسلم ، هو فرد من أفراد هذه الأخوة ، أو له أن يكون كذلك إذا شاء . أما لو كان باب النبوة مفتوحا ، لما كان لهذه الأمة أن تتمتع بمثل هذه الأخوة ، وكان من شأنها أن تتفرق قددا كلما ظهر في الدنيا نبي جديد .

وهو إذا تفكر في هذه القضية قتيلا بعيدا عن العناد والعصبية الطائفية ، فلا بد أن يشهد عقله بأن الله تعالى لما قد بعث نبيا واحداً للعالم كله ، ولما قد أكمل الدين بواسطة هذا النبي ، ولما قد أخذ

على نفسه أن يحفظ تعاليمه الى يوم القيامة كان من اللازم — حقاً — أن يوصد باب النبوة بعده ، حتى يجتمع على اتباعه وتحت رايته أهل الإيمان كلهم ولا يشكلوا في الدنيا الى قيام الساعة إلا أمة واحدة ولا يتفرقوا مرة بعد مرة الى أمم شتى مع بعثة كل نبي جديد بدون ماحاجة اليها .

وسواء أكان النبي « ظليا » أو « بروزيا » أو « أمتيا » أو « صاحب كتاب » و« صاحب شريعة » ، فإنه لا بد أن يكون من نتيجة بعثته — كلما كان مبعوثا من الله — أن يشكل المؤمنون به أمة مستقلة . ولا يكون كل من لا يؤمن به إلا كافرا . والفرقة على هذا الوضع لا مندوحة عنها إن كانت ثمة حاجة حقيقة الى بعثة نبي جديد . ولكنه من البعيد عن حكمة الله ورحمته بعباده أن يعرضهم للصراع بين الكفر والإيمان ولا يدعهم يظهرون في الدنيا بمظهر أمة واحدة حتى ولو لم تكن ثمة حاجة حقيقية الى بعثة نبي جديد . إذن ...فالذي هو ثابت من القرآن والذي هو ثابت من السنة وإجماع الأمة ، هو الذي يعترف العقل بصحته وسداده . ومن مقتضاه أن لا يكون باب النبوة إلا مسدودا .

حقيقة المسيح الموعود

يقول دعاة النبوة الجديدة للذين لا يعلمون من المسلمين عامة إن الأحاديث قد ورد فيها الخبر بمجيء « المسيح الموعود » وان المسيح كان نبيا ، فلا يقدح مجيئه في ختم النبوة ، أي لا شك أن ختم النبوة حق ولكن من الحق كذلك مجيء « المسيح الموعود »

ومما يقولون في هذا الصدد ان ليس عيسى بن مريم هو المراد بالمسيح الموعود في الأحاديث لأنه قد مات . وإنما الذي تخبر الأحاديث بمجيئه هو « مثيل المسيح » أي « مسيح مثل عيسى بن مريم » وهو فلان الذي قد ظهر ، فما الإعتقاد بـه بمعارض لعقيدة ختم النبوة .

ولكشف هذا الدجل نسرد في ما يلي ما يتعلق بهذه المسألة من الروايات المستندة المذكورة في أصح كتب الحديث لمعتبرة . ولكل شخص أن يعرف بالنظر في هذه الأحاديث : ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم وما يؤول به اليوم ؟

الأحاديث في نزول عيسى بن مريم :

١ – عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« والذي نفسي بيده ليوشكن فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير [١]. ويضع الحرب – وفي رواية يضع الجزية [٢] – ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها . »[٣]

٢ – وعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم

---

(١) ومعنى كسره الصليب وقتله الخنزير أنه يقضي على المسيحية كدين مستقيم إن المسيحية لا يقوم كل بنيانها إلا على العقيدة القائلة بأن الله قد أمات ابنه الوحيد « أي عيسى ابن مريم » مصلوباً ميتة « اللعنة » فأصبح بذلك كفارة بذنوب البشر . ومن المزايا الخاصة بالمسيحيين دون سائر أمم الأنبياء أنهم اقتصروا على العقيدة ورفضوا شريعة الله بتاتاً حتى استباحوا الخنزير وكان حراماً في شرائع الأنبياء جميعاً ، فعندما يأتي عيسى عليه السلام ويعلن بنفسه أنه ليس ولد الله ولا قد مات مصلوباً ولا صار كفارة عن ذنوب أحد ، فلا يبقى أساس ما لعقيدة المسيحيين . وكذلك أنه عندما يبين أنه ما أحل الخنزير لأتباعه ولا حللهم من قيود الشريعة ، يكون في ذلك قضاء على المزية الثانية للديانة المسيحية .

(٢) معناه أن الاختلافات بين الملل والنحل ستنتهي عند ذاك وسيدخل الناس كلهم في ملة واحدة هي ملة الاسلام فلا تكون ثمة حرب ولا توضع الجزية على أحد .وهذا ما يدل عليه الحديثان السادس والخامس عشر الآتيان .

(٣) البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى . ومسلم : باب بيان نزول عيسى والترمذي : أبواب الفتن ، باب في نزول عيسى والامام أحمد : مرويات أبي هريرة

الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم ...» ثم قال بعد ذلك ما قد ذكر في الرواية السابقة [1] .

٣ ــ وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «وكيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم [2] ؟

٤ ــ وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال ، حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء [3] فيحج منها أو يعتمر ، أو يجمعهما (شك من الراوي) [4]

٥ ــ وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (بعد ذكر خروج الدجال) :...فبينما هم ــ أي المسلمون ــ يعدون للقتال يسوون الصفوف إذا أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فأمهم فإذا رآه عدو الله يذوب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لا نذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته » [5].

(١) البخاري : كتاب المظالم ، باب كسر الصليب ، وابن ماجة : كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال .

(٢) أي إن عيسى لا يؤمكم في الصلاة وإنما يصلي خلف إمام المسلمين في تلك الأيام والرواية للبخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى . ومسلم : بيان نزول عيسى ، والإمام أحمد : مرويات أبي هريرة .

(٣) موضع على مسافة ٣٥ ميلا من المدينة .

(٤) مسلم : كتاب الحج ، باب جواز التمتع في الحج والقران ، والإمام أحمد : مرويات أبي هريرة .

(٥) مشكاة المصابيح : كتاب الفتن ــ باب الملاحم نقلا عن صحيح مسلم

٦ — وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس بيني وبينه نبي (يعني عيسى) وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ، بين مصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون (١) .

٧ — وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « ...فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم تعال فصل فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض امراء تكرمه الله هذه الأمة » (٢).

٨ — وعنه (في قصة ابن صياد) فقال عمر بن الخطاب : إئذن لي فاقتله يا رسول الله » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان يكن هو فلست صاحبه ، إنما صاحبه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، وان لا يكن فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد (٣) .

---

(١) أبو داود : كتاب الملاحم باب خروج الدجال . والإمام أحمد : مرويات أبي هريرة .

(٢) مسلم : بيان نزول عيسى بن مريم . والإمام أحمد : مرويات جابر بن عبد الله .

(٣) مشكاة المصابيح كتاب الفتن ، باب قصة ابن صياد نقلا عن شرح السنة للبغوي .

٩ ــ وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (في قصة الدجال) : ... فإذا هم بعيسى بن مريم عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له : تقدم يا روح الله فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا اليه » ، فحين يرى الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي اليه فيقتله حتى أن الشجر والحجر ينادي : ياروح الله : هذا اليهودي فلا يترك ممن كان يتبعه احدا إلا قتله (١).

١٠ ــ وعن النواس بن سمعان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (في قصة الدجال) : ... « فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق مهرودتين (٢) واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد (٣) فيقتله (٤) » .

---

(١) الإمام أحمد : مرويات جابر بن عبد الله

(٢) ثوبين أصفرين مصبوغين بالمود وهو طين أصفر

(٣) هو في هذه الأيام موضع في فلسطين المحتلة على مسافة بضعة أميال من تل أبيب ويعرف بالانكليزية بـ « Lydda » وقد أنشأ فيه اليهود مطاراً عظيماً .

(٤) مسلم : ذكر الدجال وأبو داود : كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذي : أبواب الفتن ، باب في فتنة الدجال . وابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال .

١١ ــ وعن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج الدجال في امتي فيمكث أربعين (لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو اربعين عاما) [١].فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة . » [٢]

١٢ ــ وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ،فقال: « ما تذكرون »؟ قالوا : « نذكر الساعة » ، قال : إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات » ، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج وثلاثة وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم . » [٣]

١٣ ــ عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم :عصابتان من أمتي احرزهما الله تعالى من النار عصابة تغزو الهند ، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام . » [٤]

---

(١) قول من عبد الله بن عمرو بن العاص

(٢) مسلم : ذكر الدجال

(٣) مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة . وأبو داود : كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .

(٤) النسائي : كتاب الجهاد ، والإمام أحمد : مرويات ثوبان

١٤ ـ وعن مجمع بن جارية قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقتل ابن مريم الدجال بباب لد »[١].

١٥ ـ عن أبي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (في حديث طويل في ذكر الدجال) « ...فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي قهقرى ليقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم ، فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام : إفتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج ، فإذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا ويقول عيسى إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند الباب اللد الشرقي فيهزم الله اليهود ...وتملأ الارض من المسلم كما تملأ الاناء من الماء ، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد الا الله تعالى . »[٢]

١٦ ـ وعن عثمان بن أبي العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ... وينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم: يا روح الله تقدم» فيقول : هذه الأمة لامراء بعضهم على بعض ، فيقدم أميرهم فيصلي بهم فإذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته فيذهب

---

(١) الإمام أحمد والترمذي : أبواب الفتن

(٢) ابن ماجة : كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال

نحو الدجال فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضع حربته بين شندوبته فيقتله وينهزم أصحابه . ليس يومئذ شيء يواري منهم احدا . حتى إن الشجرة لتقول يا مؤمن هذا كافر ويقول الحجر يامؤمن هذا كافر »[1] .

١٧ ــ وعن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم (في حديث طويل) ...« فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيهزمه الله وجنوده حتى إن أجذم الحائط أصل الشجر لينادي: يا مؤمن هذا كافر يستتر بي فتعال اقتله »[2] .

١٨ ــ وعن عمران بن الحصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوءهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام »[3].

١٩ ــ وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (في قصة الدجال) : ...فينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث عيسى عليه السلام في الارض أربعين سنة إماما عادلا وحكما مقسطاً »[4].

٢٠ ــ وعن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (في قصة الدجال) :

---

(١) أحمد والطبراني والحاكم .
(٢) مسند الإمام أحمد وحاكم
(٣) مسند الإمام أحمد
(٤) مسند الإمام أحمد .

..فينزل عيسى عليه السلام فيقتله الله تعالى عند عقبة أفيق [١]

٢١ — وعن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (في ذكر الدجال) : ...فلما قاموا يصلون نزل عيسى بن مريم أمامهم فصلى بهم ، فلما انصرف قال هكذا فرجوا بيني وبين عدو الله ... ويسلط الله عليهم المسلمين فيقتلونهم حتى ان الشجر والحجر لينادي ياعبد الله يا عبد الرحمن ! يا مسلم ! هذا اليهودي فاقتله ، فيفنيهم الله تعالى ويظهر المسلمون ، فيكسرون الصليب ويقتلون الخنزير ، ويضعون الجزية . » [٢]

هذه رواية عن ١٤ صحابيا وردت بالطرق الصحيحة في أصح كتب الحديث . ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وإن قد ورد ذكره في روايات كثيرة أخرى أيضاً، ولكننا لم نذكرها هنا خشية طول الكلام وانما اكتفينا بذكر الروايات القوية اسنادا .

ماذا تدل عليه هذا الروايات :

وكل من يقرأ هذه الأحاديث ، ير بنفسه أنه ما ورد فيها

(١) هي آخر مدينة على الحدود بين سوريا ودويلة إسرائيل وهي معروفة هذه الأيام بـ «فيق» . وأمامها من جهة الغرب بحيرة طبرية التي ينحاز منها نهر الأردن ، وفي جهتها الجنوبية الغربية طريق جبلي ينحدر إلى نحو ألفي قدم حتى يصل إلى الموضع الذي ينبع فيه نهر الأردن من بحيرة طبرية . فهذا الطريق الجبلي هو المعروف « بعقبة أفيق » .

(٢) رواه الحاكم وقد رواه مسلم أيضاً مختصراً وصححه الحافظ في فتح الباري : ج ٦ ص ٤٥٠

ذكر « مسيح موعود » أو « مثيل للمسيح » أو « مظهر للمسيح » أصلا ، ولا هي تترك مجالا لشخص يولد في هذا الزمان من بطن أم ونطفة والد ثم يقوم بين الناس بدعوى أنه ذلك المسيح الذي أخبر بمجيئه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . وانما الذي تدل على نزوله دلالة واضحة قاطعة هو عيسى عليه السلام ، ذلك المسيح الذي ولد قبل ألفي سنة من بطن مريم عليها السلام بغير أب . ولسنا في هذا المقام بحاجة الى إثارة البحث حول موته أو وجوده حيا في موضع من المواضع لأننا إن فرضنا أنه قد مات ، فالله قادر على بعثه بعد موته [١] ، والا فليس بعزيز على الله أن يبقي عبدا من عباده حيا يرزق الى آلاف من السنين ويسكنه حيث شاء في كونه الفسيح ثم يعيده الى الدنيا متى أراد .

مهما يكن الأمر ، فإنه لا بد لمن كان على إيمان بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعترف بأن الذي يجيء هو عيسى ابن مريم عليهما السلام وإنه ينزل ولا يولد . وأما من كان لا يؤمن بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فليس له أن يعتقد بمجيء أحد أبدا . لأن العقيدة بمجيء أحد لا تقوم على شيء غير أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكن من المضحك المبكي أن تؤخذ العقيدة القائلة بمجيء أحد من أحاديث الرسول

(١) من شك في ذلك فليقرأ قوله تعالى : « أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه » (البقرة : ٢٥٩) .

صلى الله عليه وسلم ولكن يصرف النظر ــ في الوقت ذاته ــ عما في هذه الأحاديث من التصريح بأن الذي يجيء هو عيسى ابن مريم لا مثيل للمسيح .

والأمر الثاني الذي هو ظاهر من هذه الروايات بمثل هذا الوضوح نفسه ، هو أن عيسى بن مريم لا ينزل نزوله هذا كنبي مبعوث من الله تعالى اذ لا ينزل عليه الوحي ، ولا يأتي من الله برسالة جديدة أو أحكام جديدة ولا يضيف الى الشريعة المحمدية شيأ لا ينقص منها ، ولا يعاد الى الدنيا لتجديد الدين أو لدعوة الناس الى الإيمان به أو لتشكيل أمة مستقلة من الذين يؤمنون به [1] . وإنما يعاد ليقوم بمهمة خاصة هي استئصال فتنـــة الدجال ، وهو لهذا الغرض ينزل بطريق لا يدع المسلمين الذين يرونه نازلا يشكون في أنه عيسى بن مريم قد نزل في موعده كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه بعد نزوله يضم نفسه الى جماعة المسلمين ويصلي خلف إمامهم [2] ويقتدي بأميرهم . وذلك ليقطع كل شبهة بأنه قد أعيد لاستئناف القيام بواجبات النبوة في عهده السابق . والظاهر ان جماعة من الناس اذا كان

---

(١) راجع الذيل الأول .

(٢) وقد ورد في الروايتين : ٥ و ٢١ من الروايات المذكورة آنفاً أن عيسى ابن مريم حين ينزل يصلي بالمسلمين إلا أن أكثر الروايات وأقواها إسناداً (وهي رقم ٣ و ٧ و ٩ و ١٥ و ١٦ (توضح أنه عليه السلام يرفض الإمامة ويقدم إمام المسلمين آنذاك ويصلي خلفه . وهــذا مما قــد اتفق عليه جميع المحدثين والمفسرين رحمهم الله تعالى .

فيهم رسول من الله ، فلا تكون الإمامة والإمارة لأحد غيره .
فكأنه بضمه نفسه الى جماعة المسلمين كفرد منهم ، يعلن أنه ما أعيد الى الدنيا كنبي من الله ، وبناء على ذلك لا ينشأ السؤال قطعا عن افتضاض خاتم النبوة بنزوله .

انما يكون مجيئه في نوعيته – لا في مشابهته – كمثل أن يأتي في عهد رئيس للدولة رئيس سابق ويؤدي تحت سلطته ووفق احكامه وظيفة من وظائف الدولة . إنه لمما يعرفه كل من له أدنى نصيب من العقل والفهم إن مجرد مجيء رئيس سابق في عهد رئيس قائم المنصب لا يخالف الدستور وإنما تحصل مخالفة الدستور في احدى حالتين : اما أن يحاول الرئيس السابق بعد مجيئه أن يتسلم منصب الرئاسة ويؤدي واجباته ، أو أن ينكر أحد حتى الإعتراف برئاسته السابقة لانـــه بذلك يتحدى مشروعية كل الأعمال التي كانت قد تمت في عهد رئاسته .
وإما اذا لم توجد أية من هاتين الحالتين ، فإن مجرد مجيء الرئيس السابق لا يؤثر شيئاً في الوضع الدستوري. وهكذا فإن مجرد عودة عيسى عليه السلام الى الدنيا لا تؤثر شيئاً في ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وانما هي تحصل لدستور الله للنبوة لو جاء عيسى عليه السلام وتسلم منصب النبوة ثم بدأ يؤدي واجباته ، أو لو أنكر أحد حتى الإيمان بنبوته السابقة . والاحاديث قد سدت الطريق الى كل من هاتين الحالتين بكل ايضاح وتفصيل : تصرح من جانب بأن لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم وتخبر من جانب آخر بنزول عيسى بن مريم عليه السلام مرة

أخرى ، فالظاهر من هذا أن نزوله لا يكون لاداء واجبات النبوة .

كما أنه لا تنشأ بنزوله قضية جديدة للإيمان والكفر بين المسلمين لأن نبوته السابقة اذا لم يؤمن بها أحد حتى اليوم ، ما عد مسلما وقد كان يؤمن بها محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، وأيضاً تؤمن بها أمته منذ أول عهدها الى يومها هذا . وهكذا يكون الوضع تماما بعد نزوله عليه السلام ، لأن المسلمين عند ذاك لا يؤمنون بنبوة جديدة وانما يؤمنون بنبوته السابقة كما يؤمنون بها اليوم . وكل هذا كما لا يخالف ختم النبوة اليوم كذلك لا يخالفه في تلك الأيام .

وآخر ما جاء بيانه في هذه الأحاديث وفي أحاديث كثيرة أخرى أن الدجال – الذي ينزل عيسى بن مريم عليه السلام لاستئصال فتنته العظيمة – يكون من اليهود ويعرض نفسه على الناس بدعوى أنه المسيح . ومن المحال على أحد أن يدرك حقيقة هذا ما لم يكن على المام بتاريخ اليهود وعقائدهم الدينيـة ومخططاتهم البغيضة :

إن بني إسرائيل لما ظلوا ينحدرون الى التدهور والزوال يوماً فيوماً بعد سليمان عليه السلام حتى استعبدتهم مملكتا بابل وأسيريا ، ومزق جمعهم في الارض . أخذ أنبياؤهم يبشرونهم بظهور مسيح يخرجهم مما صاروا فيه من البؤس والذلة والمسكنة ، فكانوا بناء على تنبؤات الأنبياء هذه يتوقعون ظهور مسيح ملكاً يفتح البلاد بقتال أهلها ويجمع بني إسرائيل في فلسطين ويؤسس لهم فيها دولة عظيمة ، ولكن لما جاءهم عيسى بن مريم عليهما

السلام مسيحا من عند الله ولم يأت بجيش لفتح البلاد ، أبوا أن يؤمنوا بمسيحيته ودبروا الحيل لقتله . ومنذ تلك الايام الى ايامنا الحاضرة فإن اليهود في العالم لا يزالون منتظرين للمسيح الموعود (Promised Messiah) الذي كانوا قد بشروا بظهوره على السنة أنبيائهم ، وان كتبهم مليئة بذكر الأحلام المعسولة عن عهده الذهبي ولا يزالون منذ عدة قرون يعللون أنفسهم باللذة الخيالية بصفتها المرسومة في التلمود وأدبيات الربيين . ويرجون أن يكون هذا المسيح الموعود زعيما سياسيا محنكا وقائدا مربيا عظيما يسترد لهم ما بين النيل والفرات — وهو ما يرونه أرضهم الموعودة ودولة أجدادهم وآبائهم — ويدعو اليهود من كل أنحاء العالم يحشدهم مرة أخرى في دولتهم هذه .

هذا ، واذا ألقينا الآن نظرة على الظروف الراهنة اليوم في الشرق الاوسط وتأملنا فيها على ضوء النبوءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علمنا أن المسرح قد تهيأ تماما لظهور الدجال الاكبر الذي سيقوم في الشعب اليهودي بإسم المسيح الموعود وفق تنبوءات النبي صلى الله عليه وسلم . فقد أخرج المسلمون من الجزء الاكبر من فلسطين . وقد اقيمت فيه دولة يهودية باسم إسرائيل . وفي هذه الدولة قد تجمع اليهود ولا يزالون يتجمعون من كل أنحاء العالم وقد جعلتها امريكا وبريطانيا وفرنسا قوة حربية عظيمة ولا يزال علماء اليهود وخبراؤهم الفنيون يعملون ليل نهار على ترقيتها معتمدين على ما ينالون من المساعدة المالية الواسعة من الصهيونيين في سائر

أنحاء العالم حتى أصبحت قوتها هذه خطرا مخيفاً لما حولها من الشعوب الإسلامية . وإن زعماء هذه الدولة ما عمدوا قطّ ولا حاولوا إخفاء أمنيتهم لاسترداد دولة أجدادهم وآبائهم . ولك أن تلاحظ في الرسم الآتي خريطة دولة اليهود في المستقبل كما يرسمها وينشرها اليهود علنا في كتبهم وجرائدهم منذ مدة ، ويظهر من هذا أنهم يريدون الاستيلاء على سورية كلها ولبنان كله والاردن كله والعراق كله تقريبا ، ومع كل هذا يريدون الاستيلاء على منطقة الاسكندرونة من تركيا وسينا والصعيد من مصر وشمال الحجاز ونجد من السعودية ، بما فيها المدينة المنورة وهذا إن دل على شيء فانما يدل على أنهم سوف يحاولون الاستيلاء على هذه المناطق مستغلين الاوضاع الملائمة التي يمكن أن تنشأ في حرب عالمية ثالثة قادمة ، وفي تلك الأيام يمكن أن يقوم فيهم باسم المسيح الموعود دجالهم الاكبر الذي ما اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ظهوره ، ولكن أخبر كذلك أن المسلمين في زمانه تحيط بهم المصائب والمحن حتى ليشعرون باليوم الواحد كأنه سنة ، ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يعوذ بالله من فتنته ويلقن المسلمين أن يعوذوا بالله من فتنته

ولقتال هذا المسيح الدجال لا يبعث الله ومثيلا للمسيح ، وانما ينزل ذلك المسيح الحقيقي الذي ابى اليهود قبل الفي سنة أن يؤمنوا بمسيحيته ثم صلبوه وفرغوا من أمره بزعمهم الباطل . اما موضع نزوله فلا يكون في الهند ولا في افريقيا ولا في امريكا

وانما يكون في دمشق لكونها في تلك الايام على عين جبهة الحرب . وراجع من فضلك الرسم الآتي تجد فيه أن دمشق لا تبعد عن حدود اسرائيل أكثر من ٥٠ أو ٦٠ ميلا ، وان كنت مع ذلك مستذكرا في ذهنك موضوع مانقلنا في الصفحات الماضية من الأحاديث عن نزول عيسى عليه السلام فلا تجد أي صعوبة في إدراك أن المسيح الدجال سوف يدخل سوريا مع ٧٠ الف رجل من اليهود حتى يصل الى ظاهر مدينة دمشق . ففي مثل هذه المرحلة الحاسمة سينزل عيسى عليه السلام وقت صلاة الفجر على منارة بيضاء في شرقي دمشق ثم يخرج بالمسلمين بعد صلاة الفجر لمحاربته . وهناك ينهزم عدو الله ولا يستطيع الوقوف امام هجومه فيرجع القهقري الى اسرائيل عن طريق عقبة أفيق (الحديث رقم ٢١) فيطارده عيسى السلام حتى يدركه عند مطار اللد ويقتله (الاحاديث رقم ١٠و١٤ و١٥) وسيقتل اليهود بعد ذلك شر قتلة وتنقرض الملة اليهودية) (الأحاديث رقم ٩ و ١٥ و ٢١) كما أن المسيحية لا تبقى لها باقية بعد اعلان عيسى براءته منها وإظهاره الحقيقة (الاحاديث رقم ١ و ٢ و٤ و ٦) وسوف تنضم الملل كلها الى ملة واحدة؛ ملة الإسلام (الحديثان رقم ٦ و ١٥) .

ثم بقيت في وجه صاحبنا مشكلة أخرى هي أن عيسى إنما كان لينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بموجب الاخبار المذكورة في الاحاديث ، فرفع هذه المشكلة بأنه بنى في مدينة « قاديان » المذكورة منارة سماها المنارة البيضاء . ومن عسى

أن تكون له الفرصة للتفكر والتثبت في أن المنارة التي ورد عنها الذكر في الأحاديث هي منارة تكون موجودة قبل أن ينزل المسيح وان المنارة القاديانية قد بناها حضرة « المسيح الموعود » هذا بنفسه بعد مجيئه .

ولعمر الحق ان الانسان إذا نظر في كل هذه التأويلات بفكر ثاقب ، فإنه لا يلبث أن يعرف أن ليس كل هذا الا دجل صريح وشعوذة سافرة وعمل بوهيمي .

الملحق "ل" أقوال العلماء في نزول عيسى بن مريم

أقوال الفقهاء والمحدثين والمفسرين وتصريحاتهم بأن عيسى لاينزل الى الارض كنبي من أنبياء الله وانما ينزل كمتبع لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فلا ينافي نزوله عقيدة ختم النبوة .

وقد ذكرنا تصريحات الزمخشري والبيضاوي وحافظ الدين النسفي والسيوطي والشيخ اسماعيل حقي في الذيل الخامس . أما تصريحات العلماء الآخرين ، فنذكرها فيما يلي :

١ ــ العلامة ابن حزم (٣٨٤ ــ ٤٥٦ ﻫ ٩٩٤ ــ ١٠٦٤م)

لا يقدح في كونه خاتم الأنبياء والمرسلين نزول عيسى بعده لأنه يكون على دينه مع أن المراد أنه آخر من نبيء »[1] .

٢ ــ الإمام الرازي (٥٤٣ ــ ٦٠٦ﻫ ــ ١١٤٩ ــ ١٢٠٩م)

« قال بعض المتكلمين إنه لا يمنع نزوله من السماء الى الدنيا ، إلا أنه إنما ينزل عند ارتفاع التكاليف أو بحيث لا

(١) المحلى ج ٥ ص ٢٦٧

يعرف ، إذ لو نزل مع بقاء التكليف على وجه يعرف أنه عيسى لكان إما أن يكون نبيا ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم أو غير نبي وذلك غير جائز على الأنبياء . وهذا الإشكال عندي ضعف لأن إنتهاء الأنبياء الى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فعند مبعثه انتهت تلك المدة فلا يبعد أن يصير بعد نزوله تبعا لمحمد » (١)

٣ – الإمام النووي (٦٣١ – ٥ ١٢٣٣ – ١٢٧٧ م)

« ينزل عيسى بن مريم حكما أي حاكما بهذه الشريعة ولا ينزل برسالة مستقلة وشريعة ناسخة ، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة » (٢) .

تلك هي الحقيقة تبدو جلية ناصعة مما ذكرنا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا يترك مجالا للريب والإشتباه . وهل من شك بعد ذلك في أن « التجارة » التي أقيمت في بلادنا سوقها باسم « المسيح الموعود » ما هي في حقيقة أمرها إلا زيف ودجل .

ومن النواحي المضحكة لهذا العمل الزائف أن فلانا الذي حاول أن يجعل من نفسه مصداقا للتنبؤات المذكورة في هذه الأحاديث ، جاء بالتأويل الآتي تبريرا لدعوى كونه المسيح بن مريم :

---

(١) التفسير الكبير ج ٣ ص ٣٤٣
(٢) شرح مسلم ج ٢ ص ١٨٩

« وانه – ويعني به الله سبحانه وتعالى – سماني مريم في الجزء الثالث من البراهين الأحمدية ، ثم إني ، كما هو ظاهر من البراهين الاحمدية ، تلقيت التربية لستتين في صفة مريمية ثم نفخ فيّ روح عيسى كما كان نفخ في مريم وجعلت « حاملا » في اسلوب الاستعارة وأخيرا بعد عدة أشهر لا تزيد بحال عن عشرة أشهر حولت الى عيسى من مريم بذلك الإلهام الذي هو مذكور في الجزء الرابع من البراهين الاحمدية ، فهكذا يصح القول بأني ابن مريم » [1] . أي صار أولا مريم ثم حمل بنفسه ثم ولد من بطنه بصورة عيسى بن مريم . ثم لما واجهت له المشكلة بأن عيسى إنما كان لينزل في دمشق بموجب الأخبار المذكورة في الأحاديث ، وهي مدينة معروفة في ديار الشام منذ آلاف من السنين ولا تزال حتّى اليوم موجودة على وجه الخارطة بهذا الإسم نفسه أزاح هذه المشكلة بتأويل طريف آخر هو أن قال :

« ولتعلم أني قد نبئت من جانب الله في ما يتعلق بتفسير كلمة « دمشق » وهو أن المدينة التي أشير اليها (وهي مدينة قاديان) سميت دمشق لكون أكثر أهلها يز يديو الفطرة يتبعون عادات يزيد الخبيث وأفكاره ... هذه مدينة « قاديان » بينها وبين دمشق نوع من التشابه والتناسب لسبب أن أكثر أهلها الذين يسكنونها هم يزيديو الطبع » [2] .

---

(١) سفينة نوح (بالأردية) : ص ٨٧ ، ٨٩

(٢) هامش إزالة الأوهام : ص ٦٣ – ٧٣

وقال : «وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم ، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى «وخاتم النبيين» وبقوله صلى الله عليه وسلم «لا نبي بعدي» وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا وأن شريعته مؤبدة الى يوم القيامة لا تنسخ . وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الاحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق في كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حكما مقسطا يحكم شرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس»[1] .

٤ ــ علاء الدين البغدادي (صاحب تفسير الخازن ٧٢٥هـ)

فإن قلت قد صح أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبي : قلت أن عيسى عليه السلام ممن نبيء قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصلياً الى قبلته كأنه بعض أمته»[2] .

٥ ــ العلامة التفتازاني (٧٢٢ ــ ٧٩٢ هـ ١٣٢٢ ــ ١٣٩٠م)

فإن قيل قد ورد في الحديث نزول عيسى بعده ، قلنا نعم ، لكنه يتابع محمدا عليه السلام لأن شريعته قد نسخت فلا يكون اليه وحي ونصب الاحكام بل يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم»[3].

---

(١) شرح مسلم ج ١٨ ص ٧٥

(٢) تفسير الخازن ص ٤٧١ ، و ٤٧٢

(٣) شرح العقائد النسفي ص ٩٧

٦ ــ العلامة ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ ١٤٤٩م)

يتزل فيكم حكما أي حاكما ، والمعنى أنه ينزل حاكما بهذه الشريعة فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ بل يكون عيسى حاكما من حكام هذه الأمة » [١].

وقال في موضع آخر : « عند أحمد في قصة الدجال إذ يقال لعيسى تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم. وقال أبو الحسن الحسعي في مناقب الشافعي « تواترت الأخبار بأن عيسى يصلي خلف المهدي » ذكره ردا للحديث عن أنس وفيه لا مهدي الا عيسى ... وقال ابن الجوزي « لو تقدم عيسى إماما لوقع في النفس إشكال ولقيل أتراه تقدم نائبا أو مبتدئا شرعا؟ فصلى مأموما لئلا يتدنس بغبار الشبه وجه قوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي » [٢].

٧ ــ العلامة بدر الدين العيني (٨٥٥هـ : ١٤٥١ م) :

وفي كتاب الفتن لابي نعيم « ينزل ابن مريم فيجد خليفتهم يصلي بهم فيتأخر فيقول للخليفة صل فقد رضي الله عنك فإني إنما بعثت وزيرا ولم أبعث أميرا » .... لا ينزل بشريعة متجددة بل ينزل على شريعة نبينا محمد ويكون من أتباعه [٣].

---

(١) فتح الباري ج ٦ ص ٣١٥
(٢) فتح الباري ج ٦ ص ١١٧
(٣) عمدة القاري ج ١٦ ص ٤٠

٨ ـ العلامة القسطلاني (٨٥١هـ ـ ٩٢٣هـ : ١٤٤٨ ـ ١٥١٧م) :

خاتم النبيين أي آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل يكون على دينه صلى الله عليه وسلم مع أن المراد أنه آخر نبي »[١].

٩ ـ إبن حجر الهيثمي (٩٠٩ ـ ٩٧٣هـ : ١٥٠٤ ـ ١٥٦٥م) :

الذي نص عليه العلماء بل أجمعوا عليه أنه يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملته ... وفي حديث ابن عساكر : « الا أن ابن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول الا إنه خليفة في أمتي من بعدي » . وقد صرح السبكي بأنه يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة[٢] .

١٠ ـ الشيخ عبد الحق الدهلوي (٩٥٨ ـ ١٠٥٢ هـ ١٥٥١ ـ ١٦٤٢م)

قد ثبت بالتحقيق من الأحاديث الصحيحة أن عيسى سينزل ويكون تابعا لدين محمد صلى الله عليه وسلم ويحكم بشريعته صلى الله عليه وسلم »[٣] .

---

(١) إرشاد الساري ج ٦ ص ١٨
(٢) الفتاوى الحديثية ص ١٢٨ و ١٢٩
(٣) أشعة اللمعات شرح المشكاة ج ٤ ص ٢٧٣

١١ — العلامه الزرقاني (١١٦٢ هـ)

وعيسى إذا نزل إنما يحكم بشرعه ... وإرادة الله أن لا ينسخ شريعته ، من شرفه نسخها لجميع الشرائع ولهذا إذا نزل عيسى انما يحكم بها » [١] .

١٢ — القاضي محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٥ هـ) :

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان ... ويحكم بين العباد بالشريعة المحمدية » [٢] .

١٣ — العلامة محمود شكري الآلوسي (١٢٧٠ هـ ١٨٥٣م

ثم إنه عليه السلام حين ينزل باق على نبوته السابقة لم يعزل عنها بحال لكنه لا يتعبد بها لنسخها في حقه وحق غيره وتكليفه بأحكام هذه الشريعة اصلا وفرعا فلا يكون اليه عليه السلام وحي ولا نصب أحكام بل يكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحاكما من حكام ملته بين أمته » [٣] .

---

(١) شرح المواهب اللدينة ج ٣ ص ١١٦

(٢) فتح القدير

(٣) روح المعاني ج ٢٢ ص ٣٢

الملحق ب: الأحاديث الواردة في ظهور المهدي

قد ذكرنا في هذا الباب نوعين من الأحاديث : أحاديث ذكر المهدي فيها بالصراحة ، وأحاديث انما أخبر فيها بظهور خليفة عادل بدون تصريح « بالمهدي » ، ولما كانت هذه الأحاديث من النوع الثاني تشابه الأحاديث من النوع الاول في موضوعها ، فقد ذهب المحدثون الى أن المراد بالخليفة العادل فيها هو « المهدي » .

أحاديث من النوع الأول :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فاتوها فان فيها خليفة الله المهدي[١]

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي منا اهل البيت يصلحه الله في ليلة »[٢] .

---

(١) مسند الإمام أحمد عن ثوبان البيهقي في دلائل النبوة . وقد روى ابن ماجة رواية في هذا المعنى في سننه (كتاب الفتن : باب خروج المهدي)

(٢) مسند الأمام أحمد عن علي .

٣ ــ عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله لي الله صلى عليه وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة » (١)

٤ ــ قالت ام سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي » (٢)

٥ ــ قال النبي صلى الله عليه وسلم يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع والا فتسع فتنعم فيه أمتي » (٣)

٦ ــ عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني ، أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ويملك سبع سنين » (٤)

٧ ــ عن أبي سعيد في قصة المهدي قال فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني فيحثى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله » (٥)

٨ ــ عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... كيف تهلك أمة وأنا أولها والمهدي وسطها والمسيح آخرها » (٦)

---

(١) أبو داود ، كتاب الفتن والملاحم . باب ذكر المهدي
(٢) ابن ماجة ، كتاب الفتن . باب خروج المهدي
(٣) المصدر نفسه
(٤) أبو داود ، كتاب الفتن والملاحم . باب ذكر المهدي
(٥) مشكاة المصابيح . باب أشراط الساعة عن الترمذي
(٦) مشكاة المصابيح باب ثواب هذه الأمة عن رزين .

أحاديث من النوع الثاني :

٩ ــ لو لم يبق من الدنيا الا يوم لبعث الله عز وجل رجلا منا يملؤها عدلا كما ملئت جورا » [١] .

١٠ ــ عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا » [٢] .

١١ ــ قال علي رضي الله عنه ونظر الى ابنه الحسن فقال إن ابني سيد كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم صلى الله عليه وسلم يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخلق ، ثم ذكر قصة يملأ الارض عدلا [٣] .

١٢ ــ عن علي قال النبي صلى الله عليه وسلم « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطيء أويمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره أو قال أجابته » [٤] .

١٣ ــ لا تقوم الساعة حتى يلي ــ وفي رواية لا تنقضي

(١) مسند الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه .
(٢) أبو داود ، كتاب الفتن والملاحم . باب ذكر المهدي
(٣) أبو داود ، كتاب الفتن باب ذكر المهدي
(٤) المصدر نفسه .

« يوم حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطي اسمه اسمي »[1].

١٤ — عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لولم يبق من الدنيا الا يوم — وفي رواية لطول الله ذلك اليوم — حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي واسم أبيه أبي » . وفي رواية « يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا . وفي رواية « لا يذهب أولا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطي إسمه إسمي »[2]

١٥ — عن أبي سعيد الخدري قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد ملجأ يلجأ اليه من الظلم ، فيبعث الله رجلا من عترتي وأهل بيتي فيملأ به الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض لا تدع السماء من قطرها شيئا الاصبته مدرارا ولا تدع الارض من نباتها شيئاً الا أخرجته حتى يتمنى الاحياء الاموات يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان سنين »[3].

١٦ — عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده » وفي رواية

---

(١) مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود

(٢) أبو داود : كتاب الفتن والملاحم . باب ذكر المهدي

(٣) مشكاة المصابيح في باب أشراط الساعة عن المستدرك للحاكم

« يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا ولا يعده عدا »[1]

١٧ - عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا الى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء فاذا رأى الناس ذلك أتاه إبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث الكلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقي الإسلام بجرانه الى الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون »[2].

١٨ - عن أبي هريرة مرفوعاً « يا عم إن الله تعالى إبتدأ الإسلام بي وسيختمه بغلام من ولدك وهو الذي يتقدم عيسى بن مريم »[3].

١٩ - عن عمار بن ياسر مرفوعا « يا عباس إن الله تعالى بدأ بي هذا الأمر وسيختمه بغلام من ولدك يملؤها عدلا كما ملئت جورا وهو الذي يصلي بعيسى عليه السلام »[4].

---

(١) مشكاة المصابيح باب أشراط الساعة عن مسلم
(٢) أبو داود ، كتاب الفتن والملاحم باب ذكر المهدي
(٣) كنز العمال ج ٧ ص ١٨٨
(٤) كنز العمال ج ٧ ص ١٨٨

رواية منفردة ومختلفة عن كلا النوعين من الأحاديث :

٢٠ ــ عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ولا يزداد الأمر الا شدة ولا الدنيا الا إدبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدي الا عيسى بن مريم »[(١)].

ملاحظة : إن هذه الرواية تخالف كل ما ورد في كتب الحديث من الروايات في المهدي وعيسى بن مريم ولا يؤيدها أي رواية أخرى . يقول الحافظ بن حجر العسقلاني إن هذه الرواية تخالف جميع الاحاديث الصحيحة[(٢)].

---

(١) ابن ماجة : كتاب الفتن باب شدة الزمان

(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٣٥٨

وأيضاً استشهد المؤلف في الأصل بكتاب الحاوي للفتاوي ونقل منه عبارة عن العلامة القرطبي وعبارة عن ابن كثير مؤداهما أن هذه الرواية ضعيفة الإسناد وهي تخالف جميع الأحاديث الصحيحة .

« المترجم » .

الفهرس